

**الاتجاه الإصلاحى
فى الفكر الشىعى
فى العصر الحديث**

حقوق الطبع محفوظة

الاتجاه الإصلاحِي
فِي الفِكرِ الشَّيعِي فِي العَصْرِ الحَدِيثِ

تأليف

دكتور عبد التواب محمد عثمان

إهداء

إلى كل نفس تواقه إلى وحدة المسلمين..

إلى كل روح متشوقة إلى عز الإسلام..

إلى كل من يسعى إلى تحقيق: واعتصموا، ولا تفرقوا..

إلى والدي الكريمين...

أهدي هذا العمل المتواضع

ناجياً من الله تعالى أن يكون لبنة في صرح الاتحاد

**أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل
درجة العالمية (الدكتوراة) في الدراسات الإسلامية
والعربية تخصص عقيدة وفلسفة من كلية
الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر.**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد

مما لا شك فيه أن كل مؤمن مهتم بأمور المسلمين يحزنه انقسام الأمة الإسلامية إلى فرق ومذاهب وطوائف مختلفة، وأحيانا متنازعة، وقد يصل الأمر إلى أن يكفر بعضها بعضا، ويتمنى المنصفون أن يوجد سبيل لإنهاء هذه الخصومات المذهبية أو الحد منها، وذلك عبر تفهم متبادل بين علماء طوائف المسلمين، يتعرف به كل منهم حقيقة مذهب الآخر وهو أمر يحتاجه المسلمون اليوم أكثر من أي وقت مضى، حيث يواجه المسلمون أعتى التحديات وأشرس العداوات والحروب من أعداء الإسلام وخصومه في الشرق والغرب.

والحق أن الفرق المخالفة لأهل السنة كثيرة الانقسام والاختلاف فيما بينها؛ وهذه نتيجة طبيعية لبعدها عن مصادر العقيدة الصحيحة، مما يجعلها عرضة للتغيير الناتج عن الأهواء والآراء.

ونتيجة لذلك كثرت الفرق والحركات الهدامة المنبثقة عن الفرق المخالفة لأهل السنة، وإنما كان ذلك بسبب الانحراف الذي أصاب عقائد مؤسسي هذه الفرق والحركات.

والشيعية من الفرق التي أصابها انحراف شديد عن أصلها الذي تأسست عليه،

وتأثرت كثيرا بالعقائد المنحرفة التي دخلت إليها من الفرس وغيرهم، هذه الانحرافات باعدت كثيرا بين واقع الشيعة وبين التشيع الأول.

ومن هنا فإن البحث عن تنقية مذهب الشيعة من الشوائب والأدران كان الهدف الأساس لدى الكثير من الباحثين والعلماء في الطائفة الشيعية، وقد استطاع هؤلاء المهتمون أن يكتشفوا الخلل الذي أصاب أفكارهم السابقة ويجاهدوا في تصحيحها. وقد أصبحت جهود هؤلاء الرجال مرجعاً لمن بعدهم، ودليلاً لمعالجة من بقي متمسكاً بجاهليته الفكرية والعقدية. وهنا كان لزاماً علينا أن نقلي الضوء على الاتجاه الإصلاحي الذي برز على الساحة الشيعية في العصر الحديث، والذي ترك أثراً واضحاً في الطائفة وما زال يواصل مسيرة الإصلاح والنقد.

لذلك رأيت أن يكون موضوع رسالتي للعالمية «الدكتوراه»:

«الاتجاه الإصلاحي في الفكر الشيعي في العصر الحديث»

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب منها ما يلي:

أولاً: الخلافات الحادثة والفتن المعاصرة التي يعاني منها العالم الإسلامي نتيجة الاختلاف القائم بين السنة والشيعة، وتأثير هذه الخلافات على المسلمين، واستغلال الأعداء لها وتركيتها؛ الأمر الذي يساعدهم على تحقيق مخططاتهم للسيطرة على العالم الإسلامي بعد تمزيقه، عملاً بالمبدأ الاستعماري القديم (فرق تسد)، وأكثر ما أعان الأعداء على تحقيق غاياتهم إنما هو الخلاف السني الشيعي، الذي يتطور في كثير من الأحيان إلى تفرق يدفع إلى الاقتتال.

ثانياً: الأمل الذي يتطلع إليه كل مسلم، والغاية التي يهفو إليها كل قلب غيور على هذه الأمة، والمنهج الذي رسمه الله تعالى للأمة في كتابه الكريم: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]، وحذر تبارك وتعالى من التخلي عنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩]، ألا وهو وحدة الأمة بجميع فرقها وطوائفها على كتاب ربها ونهج نبيها، وأعظم الوحدة التقاء السنة والشيعية على كلمة سواء تلتزم النهج الصواب، وتسير مع الحق حيث سار، وتتبع الدليل حيث كان.

فأيت أن دراسة هذا الاتجاه عند الشيعة تسهم في تحقيق هذا الأمل وتسعى في إزالة أسباب الخلاف، وتُقرب بين الآراء، ولعلها -بعون الله تعالى- تكون عاملاً في التقريب بين السنة والشيعة.

ثالثاً: أن كثيراً من أهل السنة ينظر إلى الشيعة نظرة واحدة، ويحكم على جملتهم حكماً إجمالياً، وينظر إليهم نظرة عامة، إما نظرة سلبية، وإما نظرة إيجابية.

ويهدف هذا البحث إلى التمييز بين طوائفهم ورجالهم، فبعضهم أعدل من بعض، وبعضهم أقرب إلينا من الآخرين، فنعطي كل ذي حق حقه، ونعامل الناس بما ظهر لنا من أعمالهم دون غلو يهضم الحقوق، أو تفريط يتجاوز الثوابت.

رابعاً: الصلة القائمة بين هذا البحث وبحثي في رسالة التخصص (الماجستير)، فقد كان عنوان الماجستير «أثر آراء الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر»، وقد اعتنى بإبراز تأثير السابقين في اللاحقين المعاصرين من خلال آراء فرقة الخوارج.

ويعتنى بحثى فى رسالة الدكتوراه ببيان مدى إصلاح اللاحقين لآراء السابقين فى مذهب الشيعة.

لهذه الأسباب - وغيرها - اخترت هذا الموضوع، مع قصر باعى وقلة بضاعتى، ومع علمى بما يكتنفه من صعوبات، وما يعترضه من عقبات.

صعوبات الدراسة:

كان من أشهر ما واجهنى من صعوبات فى بحثى ما يلى:

أولاً: صعوبة الحصول على المراجع الشيعية:

وقد كانت هذه من أكبر الصعوبات التى واجهتني، نظراً لأن رموز التيار الإصلاحى ينقسمون إلى فريقين:

فريق يكتب باللغة الفارسية، وقد ترجمت بعض أعماله إلى اللغة العربية، وفريق يكتب باللغة العربية، ومع ذلك فإن كتبهم ومؤلفاتهم ليست موجودة فى الساحة بكثرة، إما لنفاد طبعاتها، أو لعدم توفرها فى المكتبات العربية.

وقد استعنت فى تذليل هذه الصعوبة - بعد الله تعالى - بما يلى:

١- الحصول على بعض هذه الكتب من دول مختلفة، فقد هيا الله تعالى أشخاصا حصلت بواسطتهم على عدد من الكتب من المملكة العربية السعودية، ومن بيروت، وقد يسر الله تعالى أيضا حضور بعض الأشخاص معرض طهران الدولى للكتاب فحصلت عن طريقهم على عدد من الكتب التى تتعلق بالدراسة.

٢- عن طريق شبكة المعلومات الدولية «الانترنت» حيث تعرض بعض المواقع عددا من الكتب والأدبيات التى تعرض هذه الأفكار والرؤى.

٣- عن طريق المراسلات الشخصية، فقد راسلت عددا من رموز الإتجاه الإصلاحي الشيعي، وعلى رأسهم الأستاذ أحمد الكاتب، فأفادني كثيرا في توجيه بعض مسارات البحث، وفي الاقتراب من طرق ومناهج هؤلاء الرموز فجزاه الله خيرا.

ثانيا:

ومن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث التزام الموضوعية في عرض الآراء، خاصة حين يكتب باحث ينتمي إلى أهل السنة عن الشيعة، أو عن الإصلاحيين في مذهب الشيعة، فيتسارع إلى الذهن الاتهام بالانحياز، وعدم الموضوعية. وقد حاولت قدر استطاعتي أن أدخل إلى بحث الموضوع دون تصور مسبق أو فكرة معينة تسيطر على الذهن، كما حاولت أن أبحثه مجردا عن الهوى والشهوة اللذين يصرفان الإنسان دائما عن تبين الحق واتباعه، كذلك حاولت ألا يكون للعاطفة مجال في البحث، وألا تتدخل في تسيير موضوعاته إلا عاطفة الإسلام المتقدة في قلب كل مسلم، شريطة ألا تدفع إلى الاعتداء في القول، أو الافتراء على المخالفين.

والتزاما بهذا النهج فإنني قد امتنعت عن الإفادة من كتاب مشهور في أوساط أهل السنة لمؤلف يعدونه من رموز الإصلاحيين الشيعة، ألا وهو كتاب (الله ثم للتاريخ) لمؤلفه: حسين الموسوي، من علماء النجف (١)، وقد ذكر أنه كتب الكتاب باسم مستعار خوفا على نفسه لإقامته بين الشيعة في العراق.

والشيعة ينكرون هذا الكتاب، ويرون أنه لا يوجد في النجف من تنطبق عليه

(١) طبع الكتاب في الدول العربية طبعات عديدة.

أوصاف المؤلف، ويشككون في نسبته إلى أحد من الشيعة.

يقول الشيخ علي آل محسن: «ومع أن الكاتب يدعي أنه كربلائي، وأنه حاز على درجة الاجتهاد بتفوق، وتربطه علاقات وثيقة بمراجع الشيعة وعلمائهم، إلا أن الأوساط العلمية الشيعية لا تعرف عالما كربلائيا مجتهدا متصفا بالصفات التي وردت في الكتاب»^(١).

والتزاما بالموضوعية في البحث، والتحقق من نسبة الأقوال إلى قائلها لم أعتمد عليه في بحثي، لعل هذا يكون أدعى لقبول البحث بين عموم الشيعة، وأقرب إلى الإفادة منه.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتم تقسيمه إلى مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة:

أما المقدمة فتشتمل على:

- أسباب اختياره الموضوع وأهميته.
- صعوبات الدراسة.
- منهج البحث.

التمهيد: يشتمل على ستة مطالب:

أولاً: بيان معنى الشيعة.

ثانياً: نشأة التشيع.

(١) الرد الوجيز على كتاب الله ثم للتاريخ، ٧، الشيخ علي آل محسن، دار الهادي للطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

ثالثا: أصول وعقائد الشيعة.

رابعا: طوائف الشيعة.

خامسا: أسماء أطلقت على الشيعة.

سادسا: المؤثرات الخارجية فى التشيع.

الباب الأول: عقائد الشيعة التى تناولها التيار بالإصلاح

وينقسم إلى أحد عشر فصلا:

الفصل الأول: الإمامة والنص على الأئمة.

الفصل الثانى: عصمة الأئمة وولايتهم التكوينية.

الفصل الثالث: المهدي والغيبة والرجعة.

الفصل الرابع: ولاية الفقيه.

الفصل الخامس: التقية.

الفصل السادس: دعوى تحريف القرآن.

الفصل السابع: الموقف من الصحابة.

الفصل الثامن: الخمس.

الفصل التاسع: إباحة نكاح المتعة.

الفصل العاشر: الشعائر الحسينية.

الفصل الحادى عشر: الفروع الفقهية.

الباب الثانى: أبرز رموز الإصلاح،

وينقسم إلى فصلين:

الفصل الأول: إصلاحيون نقدوا أكثر مفردات المذهب

وينقسم إلى ستة مباحث:

المبحث الأول: شريعت سنكلجي.

المبحث الثاني: أحمد الكسروي.

المبحث الثالث: حيدر قلمداران.

المبحث الرابع: أبو الفضل البرقي.

المبحث الخامس: موسى الموسوي.

المبحث السادس: أحمد الكاتب.

الفصل الثاني: إصلاحيون نقدوا بعض مفردات المذهب

وينقسم إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: محسن الأمين.

المبحث الثاني: محمد بن محمد مهدي الخالصي

المبحث الثالث: علي شريعتي.

المبحث الرابع: محمد حسين فضل الله.

الباب الثالث: دراسة عن الاتجاه الإصلاحي.

ويشتمل على ستة فصول:

الفصل الأول: جذور الإصلاح في صفوف الشيعة.

الفصل الثاني: عوامل الإصلاح.

الفصل الثالث: بين الإصلاح والتقريب.

الفصل الرابع: موقف الشيعة من الاتجاه الإصلاحى.

وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: مؤيدو الاتجاه الإصلاحية.

المبحث الثانى: معارضو الاتجاه الإصلاحى.

الفصل الخامس: موقف أهل السنة من الاتجاه الإصلاحى.

وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: تأييد الاتجاه الإصلاحى.

المبحث الثانى: رفض الاتجاه الإصلاحى.

الفصل السادس: عوامل نجاح الاتجاه الإصلاحى

وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: واجب أهل السنة.

المبحث الثانى: واجب الاتجاه الإصلاحى.

وأما الخاتمة: فتشتمل على أهم النتائج المستخلصة من البحث والتوصيات.



منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على ثلاثة مناهج بحثية:

الأول: منهج الاستقراء والتتبع:

وقد سلكت هذا المنهج، متوصلاً به للأقوال التي بنيت عليها الرسالة، واستقراء كلام الإصلاحيين في المسألة مدار البحث.

الثاني: المنهج النقدي.

وبه توصلت إلى الحكم على أقوال الإصلاحيين، وبيان مدى صحتها، والقدر التي قامت به في نقد عقائد الشيعة، وكذلك في عرض موقف جمهور الشيعة وجمهور أهل السنة من الإصلاحيين وأقوالهم.

الثالث: المنهج التاريخي الاستردادي.

وبه توصلت إلى تتبع جذور أقوال الإصلاحيين عبر التاريخ، وتأصيلها التاريخي، وكذلك في تراجم الأعلام.

وقد اتبعت في هذا البحث الخطوات التالية:

- ١- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من كتاب الله تعالى.
- ٢- تخريج الأحاديث النبوية من مظانها، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، وما كان في غيرهما اجتهدت في تتبعه في مظانه الممكنة مع نقل كلام الأئمة في الحكم عليه.
- ٣- توثيق المادة العلمية من مصادرها الأصلية، واجتهدت في نقل أقوال الشيعة من كتبهم ما أمكنني ذلك.
- ٤- ترجمة الأعلام - غير المشهورين - المذكورين في البحث - خاصة الشيعة - ترجمة موجزة تكفي للتعريف بهم في أول موضع يرد ذكرهم فيه من البحث.

٥- حرصت عند عرض رأي أو قول لأحد القائلين به ألا أتدخل فى كلامه وعرضه إلا بالقدر الذى يسمح بعرض فكره ورؤيته الخاصة به.

٦- عرضت أقوال الإصلاحيين بالقدر الذى يسمح ببيان الفكرة المراد بيانها، ولم أتوسع فى عرض أقوالهم، فليس الغرض حشد كافة الآراء فى المسألة، وإنما الغرض بيان كيفية نقدهم للعقائد الشيعية، وطريقتهم فى ذلك.

٧- جمعت خلاصة عن كل باب، وجعلتها فى خاتمة الرسالة كتناج للبحث.

٨- قمت بعمل فهرس علمية فى ذيل البحث، وهى (*):

أ- فهرس الآيات القرآنية.

ب- فهرس الأحاديث النبوية.

ج- فهرس الأعلام.

د- فهرس المراجع.

هـ- فهرس الموضوعات.

ولا يسعنى فى هذا المقام إلا أن أقدم من الشكر أجزله، ومن الثناء أعطره، ومن المدح أتمه، ومن العرفان أعمه إلى شيوخى الأكارم وأساتذتى الأفاضل: فضيلة الأستاذ الدكتور: فتحى أحمد عبد الرازق، وفضيلة الأستاذ الدكتور: إبراهيم عبد الشافى إبراهيم.

على كريم إفضالهما، وحسن فعالهما، وعظيم اهتمامهما، وسابغ كرمهما.

فلهما - من شخصى الضعيف - كل الدعاء أن يبارك الله فىهما وأن ينفع بهما

الإسلام والمسلمين..... اللهم آمين،،،

(*) اكتفيت هنا بذكر فهرسى المراجع والموضوعات فقط.

وبعد فهذا موضوع متشعب الجوانب، متعدد الآراء، وجهدي جهد متواضع، فلا أدعي أنني قد وفيت الموضوع حقه، واستكملته من جميع جوانبه، ولكن حسبي أنني لم أدخر في سبيل ذلك وسعا، فإن كنت قد أدركت بعض ما أملت وأصبته، فهو محض فضل من الله وحده، وإن كانت الأخرى

فمني، وأستغفر الله من سوء عملي، فالكمال لله وحده، والعصمة لرسوله عليهم السلام، وإلا فحسبي أنني قد حاولت الخير جهدي، وأسأل الله تعالى لي ولكل مجتهد التوفيق والأجر، وأستغفر الله تعالى من السهو والخطأ والتقصير.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يغفر به لوالدي، ولمشايخي، وأهلي وذريتي، وكل من أعانني في هذا العمل، أو دعا لي بخير، وللمسلمين والمسلمات، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٨٦].



التمهيد

تعريف عام بمذهب الشيعة

ويشتمل على مطالب:

أولاً: بيان معنى الشيعة.

ثانياً: نشأة التشيع.

ثالثاً: أصول وعقائد الشيعة

رابعاً: طوائف الشيعة.

خامساً: أسماء أطلقت على الشيعة

سادساً: المؤثرات الخارجية في التشيع

أولاً: بيان معنى الشيعة

لغة:

يدور معنى شيعة وتشيع ومشايعة حول المتابعة والمناصرة والاجتماع والموافقة.

فالشيعة: أتباع الرجل وأنصاره، والفرقة من الناس، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو له شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيع، والشيعة: القوم الذين يجتمعون على الأمر (١).

واستعملها القرآن الكريم بهذا المعنى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الصفات: ٨٣]. يقول الراغب الأصفهاني: «الشيعة من يتقوى بهم الإنسان وينتسرون عنه ومنه قيل للشجاع مشيع، يقال شيعة وشيع وأشيع، قال: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾» (٢).

اصطلاحاً:

تتعدد تعريفات الشيعة بين تفصيل وإجمال، فبعضها يحتوي مجموعة من آرائهم وعقائدهم، وبعضها يكتفى فيه بذكر أبرز ما يختص به الشيعة عن غيرهم من

(١) انظر: لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي مادة «شيع» دار صادر - بيروت - لبنان، تاج العروس من جواهر القاموس. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. مادة «شيع» دار الهداية، مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. مادة «شيع» تحقيق: محمود خاطر. دار الرشد، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، مادة «شيع»، تحقيق محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

الفرق الإسلامية، وبعض التعريفات في اصطلاح الشيعة، وبعضها في اصطلاح أهل السنة، وبعضها في اصطلاح المحدثين، وهذه بعض التعريفات:

أولاً: في اصطلاح الشيعة:

١- تعريف النوبختي^(١): «فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام المسمون بشيعة علي عليه السلام في زمان النبي ﷺ وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته»^(٢).

ويلاحظ على هذا التعريف أنه جعل للشيعة وجوداً في عهد النبي ﷺ، ولم يذكر أيّاً من عقائدهم الخاصة بهم؛ حيث قال: «والقول بإمامته» وهذا متفق عليه، ولم يذكر الوصية ولا النص عليها.

٢- تعريف الشيخ المفيد^(٣): «أتباع أمير المؤمنين صلوات الله عليه على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد رسول الله صلوات الله عليه وآله بلا فصل،

(١) الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد النوبختي، توفي ٣١٠هـ ٩٢٢م، من أهل بغداد، له تصانيف كثيرة من أهمها: فرق الشيعة، الآراء والمقالات، فرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي ١١، تحقيق الدكتور/ عبد المنعم الحفني. دار الرشد، القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، الأعلام، خير الدين الزركلي ٢/ ٢٢٤، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة ١٩٨٠، لسان الميزان أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ٢/ ٢٥٨ رقم ١٠٧٥. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة الثالثة.

(٢) فرق الشيعة ٢٨.

(٣) محمد بن محمد بن نعمان العكبري. ت ٤١٣هـ ١٠٢٢م، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف، له نحو مائتي مصنف منها: الإرشاد، أوائل المقالات، سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. ٣٤٤/ ١٧، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٣، الطبعة التاسعة، أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين ٩/ ٤٢٠، حققه وأخرجه حسن الأمين، دار المعارف للمطبوعات، الطبعة الخامسة، الأعلام ٧/ ٢١.

ونفي الإمامة عن تقدمه في مقام الخلافة وجعله في الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء»^(١).

٣- تعريف الشهيد الثاني^(٢): «الشيعية: من شايح عليا أي اتبعه وقدمه على غيره في الإمامة»^(٣).

٤- وعند بعضهم الشيعة: «علم على من يؤمن بأن عليا هو الخليفة بنص النبي ﷺ»^(٤).

وقد اقتصر في هذا التعريف على أخص عقائد الإمامية وهي القول بالنص من النبي ﷺ على إمامة علي عليه السلام.

ثانيا: في اصطلاح أهل السنة:

١- تعريف الأشعري^(٥): «هم الذين شايحوا عليا رضوان الله عليه وقدموه على

(١) أوائل المقالات، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ٣٥، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان. الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) زين الدين بن علي بن أحمد العاملي الجبعي، توفي ٩٦٦هـ ١٥٥٩م، ولد في جبج ببلبنان، عالم بالحديث، من مصنفاته: الاقتصاد في معرفة المبدأ والمعاد، الإيمان والإسلام وبيان حقيقتهما. أعيان الشيعة ٧/١٤٣، الأعلام ٣/٦٤،

معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة، ٤/١٩٤، مكتبة المشى - بيروت.

(٣) شرح اللمعة للشهيد الثاني ٢/٢٢٨، نقلا عن: الشيعة في التاريخ، السيد عبد الرسول الموسوي ١٢. مكتبة مدبولي الطبعة الثانية ٢٠٠٤م.

(٤) الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية ١٥. دار التعارف للمطبوعات.

(٥) علي بن إسماعيل بن إسحق أبو الحسن الأشعري، توفي عام ٣٢٤هـ مؤسس مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة، تقدم في مذهب المعتزلة ثم رجع عنه وجاهر بخلافهم، بلغت مصنفاته ثلثمائة كتاب، منها «مقالات الإسلاميين»، «الإبانة عن أصول الديانة»، «استحسان الخوض في علم الكلام»، طبقات الشافعية أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، ٢/٢٤٥، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٠٧، الأعلام ٤/٢٦٣.

سائر أصحاب رسول الله ﷺ» (١) .

٢- تعريف الشهرستاني (٢): «هم الذين شايعوا عليا على وجه الخصوص وقالوا بإمامته نصا ووصية إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك» (٣) .

ويلحظ على هذا التعريف أنه ذكر كثيرا من عقائد الشيعة التي تتميز بها عن غيرها من الفرق الأخرى وهي: النص على إمامة علي رضي الله عنه، وتتابع الأوصياء من بعده، والقول بعصمة الأئمة، والتقية.

٣- تعريف ابن حزم (٤): «من اعتقد أن عليا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ»

(١) مقالات الإسلاميين أبو الحسن الأشعري ١ / ٦٠. تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد.

المكتبة العصرية - صيدا بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٢) محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني، توفي ٥٤٨هـ من فلاسفة الإسلام، ولد في شهرستان، انتقل إلى بغداد عام ٥١٠هـ وأقام بها ثلاث سنوات، ثم عاد إلى بلده، وتوفي بها، له مصنفات كثيرة منها «الملل والنحل»، «نهاية الإقدام في علم الكلام»، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٢، الأعلام ٦/ ٢١٥.

(٣) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ١/ ١٤٤ - ١٤٥، صححه وعلق عليه الأستاذ / أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، بدون.

(٤) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، توفي ٤٥٦هـ، الفارسي الأصل ثم الأندلسي كان والده من كبراء أهل قرطبة، حافظ عالم بعلوم الحديث والفقه، كان شديدا على مخالفيه، له مصنفات جمة أشهرها: المحلى، الفصل في الملل والأهواء والنحل، سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٨٤، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ٣/ ٣٢٥ تحقيق:

وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعى» (١).

وقد وافق بعض الشيعة على هذا التعريف حتى قال بعضهم: «إنه أشمل التعاريف وأقربها للتصديق» (٢).

ثالثا: عند الباحثين المحدثين:

٤- تعريف محمد فريد وجدي (٣): «هم الذين شايعوا عليا فى إمامته واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده ويقولون بعصمة الأئمة من الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً إلا فى حال التقية إذا خافوا بطش ظالم» (٤).

ونخلص من هذه التعاريف أن أخص ما يميز الشيعة أنهم ناصرُوا علياً (عليه السلام) واعتقدوا أن النبي (صلى الله عليه وآله) أوصى بالخلافة من بعده لعلي ولولده من بعده، وأن الخلافة لا تخرج عنهم إلا بظلم من غيرهم أو تقية منهم.

وهذا ما يجتمع عليه الشيعة - عدا الزيدية على ما سيأتى بيانه - وما عداه من العقائد ففيه خلاف بين فرق الشيعة.

إحسان عباس، دار الثقافة - لبنان، تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، ٣/ ٢٢٧، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى.

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي ١/ ٣٧٠. وضع حواشيه / أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(٢) الشيعة فى التاريخ، السيد عبد الرسول الموسوي ١٢.

(٣) محمد فريد وجدي: توفى سنة ١٩٥٤م، عالم وكاتب وُلد بالأسكندرية، اشتغل بالصحافة، وتولى تحرير مجلة الأزهر، من تصانيفه: «دائرة معارف القرن العشرين»، «الإسلام فى عصر العلم»، «الإسلام دين عام خالد». الأعلام ٦/ ٣٢٩، معجم المؤلفين ٣/ ٥٨٦.

(٤) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي ٥/ ٤٢٤. دار المعرفة - بيروت.

ثانياً: نشأة التشيع

يختلف المؤرخون وكتاب الفرق والمقالات - من السنة والشيعية - في تحديد بداية التشيع اختلافاً كبيراً، وسوف أعرض هذه الآراء فيما يلي:

الرأي الأول: بداية التشيع في عهد النبي ﷺ:

وهو رأي جمهور علماء الشيعة، حيث يقولون إن بداية التشيع ظهرت في عهد النبي ﷺ، وأن عدداً من الصحابة لازموا علياً ﷺ وكانوا شيعته.

يقول محمد حسين آل كاشف الغطاء^(١): «أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو صاحب الشريعة نفسه، يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعهدا بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت في حياته ثم أثمرت بعد وفاته»^(٢).

ويرون أن بداية التأريخ للشيعة تتزامن مع بداية التأريخ العام للإسلام.

يقول بعضهم عن بداية التشيع: «لا نجد له تاريخاً سوى تأريخ الإسلام والنصوص الواردة عن الرسول»^(٣).

ويرون أن النبي ﷺ هو مؤسس التشيع، والنصوص النبوية هي التي أسست لعقائد الشيعة، وأن الرسول ﷺ هو واضع حجر الأساس، ويعتبر عصر الرسول ﷺ

(١) محمد حسين بن علي بن الرضا كاشف الغطاء، توفي سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، مجتهد أديب من أهل النجف، من أعضاء المؤتمر الإسلامي في القدس، صنف كتباً كثيرة منها: أصل الشيعة وأصولها، الدين والإسلام، الآيات البينات، الأعلام ٦/١٠٦، ١٠٧، معجم المؤلفين ٩/٢٥٠.

(٢) أصل الشيعة وأصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة، محمد حسين آل كاشف الغطاء ١١٨. دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م.

(٣) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، الشيخ جعفر السبحاني ١٨.

عصر تأسيس النظرية الشيعية (١).

ويرون أن من الصحابة رضوان الله عليهم من كان من شيعة علي عليه السلام، ويؤكدون: « أن عددا ليس بقليل اختصوا في حياة النبي صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام ولازموه وجعلوه إماما مبلغا عن الرسول وشارحا ومفسرا لتعاليمه وأسرار حكمه وأحكامه، وصاروا يعرفون بأنهم شيعة علي، كعلم خاص بهم» (٢).

وأرى أن هذا الرأي ليس إلا محاولة من جانب متكلمي الشيعة للتخلص من دعوى خصومهم القائمة على رد معتقدات الشيعة إلى أصول أجنبية.

الرأي الثاني: بداية التشيع بعد موقف السقيفة:

يرى أصحاب هذا الرأي أن بداية ظهور شيعة علي كان بعد اختلاف الصحابة في السقيفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في أمر الخلافة، وأن جماعة من الصحابة الفضلاء كانوا يرون أن عليا عليه السلام أحق بالخلافة من غيره فناصروه وشايعوه.

يقول ابن خلدون (٣): «لما توفي الرسول صلوات الله وسلامه عليه وكان أهل

(١) تاريخ التشيع الفكري والسياسي، صدر الدين القبانجي ٢٨، مركز الأبحاث العقائدية، إيران، وانظر لمزيد من الإيضاح حول هذا الرأي: هوية التشيع، الدكتور/ أحمد الوائلي ٢٦ وما بعدها، دار الصفوة. بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.

(٢) أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين آل كاشف الغطاء ١٢١.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن الحسن الحضرمي المكي، المعروف بابن خلدون، توفي سنة ٨٠٨ هـ، عالم أديب، ومؤرخ اجتماعي حكيم، أول من تكلم في علم الاجتماع، له مؤلفات، منها: «العبر وديوان المبتدأ والخبر»، «تاريخ ابن خلدون». النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ١٣/ ١٥٥، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، العلامة محمد بن علي الشوكاني ٣٣٧/ ١، دار المعرفة - بيروت بدون بيانات.

البيت يرون أنهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش، ولما كان جماعة من الصحابة يتشيعون لعلي ويرون استحقاقه على غيره، ولما عدل به إلى سواه تأففوا من ذلك وأسفوا له»^(١).

ويرون أن هذا الموقف من هؤلاء الصحابة يمكن أن يكون بداية لانحياز بعض الصحابة رضوان الله عليهم إلى علي والتشيع له.

ويعتبر اليعقوبي^(٢) - وهو شيعي - أن من تخلف عن بيعة أبي بكر هم النواة الأولى للتشيع، ومن أشهرهم: سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود والعباس بن عبد المطلب^(٣).

وممن يرى هذا الرأي أحمد أمين^(٤) يقول: «كانت البذرة الأولى للشيعية الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي ﷺ أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه، وأولى أهل البيت العباس عم النبي وعلي ابن عمه، وعلي أولى من العباس»^(٥).

والتحقيق أنه لا يمكن اعتبار أصحاب هذا الموقف من الصحابة رضوان الله عليهم من شيعة بالمعنى الاصطلاحي، غاية ما يمكن قوله - على فرض صحة هذا

(١) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ٣/ ٢١٣ - ٢١٤ بتصرف، دار القلم - بيروت لبنان الطبعة الخامسة ١٩٨٤ م.

(٢) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، توفي بعد ٢٩٢ هـ مؤرخ جغرافي كثير الأسفار من أهل بغداد، صنف كتباً كثيرة منها: تاريخ اليعقوبي، البلدان. الأعلام ١/ ٩٥، معجم المؤلفين ١/ ١٦١.

(٣) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح اليعقوبي ٢/ ١٢٤، دار صادر - بيروت لبنان.

(٤) أديب ومؤرخ، كان عميداً لكلية الآداب بالجامعة المصرية، عضو في عدة مجامع لغوية، مكث في التصنيف له: فجر الإسلام، ضحى الإسلام، ظهر الإسلام. الأعلام ٦/ ٢٩.

(٥) فجر الإسلام، أحمد أمين ٢٦٦، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩١٤ م، مطبعة الاعتماد، مصر.

الادعاء - أنهم كانوا يرون أن علياً عليه السلام أحق بالخلافة فلما اجتمع المسلمون على أبي بكر رضي الله عنه وتوحدت كلمتهم رضوا باختيار المسلمين وبايعوا أبا بكر رضي الله عنه حتى وإن بقوا على ولائهم ومحبتهم لعلي، وهو الموقف المطلوب من كل مسلم تجاه علي رضي الله عنه.

الرأى الثالث: بداية التشيع بمقتل عثمان وتولية علي:

أصحاب هذا الرأى يرون أنه مع مقتل عثمان رضي الله عنه حصل الانقسام بين المسلمين وبدأ ظهور أمر الشيعة.

ويرون أن مقتل عثمان وما تبعه من تولية علي ومعارضة بعض الصحابة واختلافهم حول قتلة عثمان كان بداية ظهور الفرق فى الإسلام

يقول ابن حزم: «ولى عثمان رضي الله عنه فزادت الفتوح، واتسع الأمر، فلورام أحد إحصاء مصاحف أهل الإسلام ما قدر، وبقي كذلك اثني عشر عاماً حتى مات، وبموته حصل الاختلاف وابتدأ أمر الروافض» ^(١).

ويقول يوليوس فلهوزن ^(٢): «بمقتل عثمان انقسم المسلمون إلى حزبين: حزب علي وحزب معاوية بن أبي سفيان، والحزب فى العربية يعنى الشيعة» ^(٣).

وممن يرى هذا الرأى من الشيعة: النوبختي حيث يرى أن بداية التشيع كانت مع بداية خلافة علي بن أبي طالب ^(٤).

(١) الفصل، أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي ١ / ٣٣٤.

(٢) يوليوس فلهوزن (١٨٤٤-١٩١٨) ألماني، بدأ دراسة اللاهوت لنقد التوراة، ثم تخرج باللغات الشرقية على إيفالد فى «جوتنجين»، آثاره كثيرة، منها: «تاريخ اليهود»، «محمد فى المدينة»، «التمهيد للتاريخ الإسلامى». المستشرقون، نجيب العقيقي ٢ / ٣٨٦-٣٨٧، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

(٣) أحزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الإسلام الخوارج والشيعة، يوليوس فلهوزن ١٤٦، ترجمه عن الألمانية الدكتور / عبد الرحمن بدوي. وكالة المطبوعات - الكويت. الثالثة ١٩٧٨ م.

(٤) فرق الشيعة ٤ - ٥.

الرأي الرابع: بداية التشيع بمعركة الجمل:

وصاحب هذا الرأي المؤرخ الشيعي ابن النديم (١) حيث يقول: «ولما خالف طلحة والزبير علياً عليه السلام وأبيا إلا الطلب بدم عثمان بن عفان وقصدهما علي عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئاً إلى أمر الله جل اسمه، تسمى من اتبعه علي ذلك الشيعة» (١).

الرأي الخامس: بداية التشيع بمقتل الحسين:

يرى أصحاب هذا الرأي أن بداية إطلاق مصطلح الشيعة كعلم خاص بفرقة معينة لهم آراء خاصة يمتازون بها عن غيرهم من الفرق الأخرى إنما كان بعد مقتل الحسين.

يقول مصطفى كامل الشيبلي: «التشيع عاصر بدء الإسلام باعتباره جوهره له وظهر كحركة سياسية بعد أن نازع معاوية علياً الإمارة وتدير شؤون المسلمين، ويتبين بعد ذلك أن تبلور الحركة السياسية تحت اسم الشيعة كان بعد قتل الحسين عليه السلام مباشرة، وإن كانت الحركة سبقت الاصطلاح.... التشيع كان تكتلاً إسلامياً ظهرت نزعتة أيام النبي وتبلور اتجاهه السياسي بعد قتل عثمان واستقل الاصطلاح الدال عليه بعد قتل الحسين» (١).

(١) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، توفي ٤٣٨هـ - ١٠٤٧م، بغدادي شيعي كان وراقاً يبيع الكتب، صاحب كتاب الفهرست. الأعلام ٦/ ٢٩.

(٢) الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج ابن النديم ٢٤٩، دار المعرفة - بيروت - لبنان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع، مصطفى كامل الشيبلي ٢٣. دار المعارف. وانظر أيضاً: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الدكتور / علي سامي النشار ٢ / ٢٤. دار المعارف. الطبعة الثامنة.

ويمكن القول بأن نزعة التشيع بمعنى مناصرة علي كانت سابقة على إطلاق مصطلح الشيعة على جماعة مخصوصة تنفرد بهذه الآراء، وأن استقلال هذه الفرقة بهذا الاسم كان بعد مقتل الحسين عليه السلام.

تطور مصطلح الشيعة في التاريخ:

والذي يظهر من هذه الآراء أن مصطلح الشيعة مر بأطوار عدة في استعماله عبر التاريخ، وأنه قد حدث تطور في استعمال اللفظ.

فقد كان أول استعمال له إنما هو بالمعنى اللغوي يعني الأتباع والأنصار، وذلك في بداية الخلاف بين علي ومعاوية عليهما السلام، حيث استخدم اللفظ للإشارة إلى أنصار علي وكذلك إلى أنصار معاوية. فقد جاء في وثيقة التحكيم التي كتبت بين الإمامين علي ومعاوية: «هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما»^(١).

وورد استعماله في أنصار الفريقين في حديث حكيم بن أفلح لعائشة رضي الله عنها: «ما أنا بقارها - يعني عائشة - لأني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً فأبت فيهما إلا مضياً»^(٢).

وهذا يعني أن اختصاص لفظ الشيعة بأتباع علي لم يكن معلوماً في ذلك الوقت، وقد استخدم اللفظ معاوية في الإشارة إلى أتباعه وأنصاره حين وجه بعض قواده إلى اليمن فقال في كتابه له: «ثم امض حتى تأتي صنعاء فإن لنا بها شيعة»^(٣).

(١) الأخبار الطوال، الدينوري ١٩٤ - ١٩٦، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

(٢) صحيح مسلم، جزء من حديث، كتاب «صلاة المسافرين وقصرها»، باب «جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض» رقم ٧٤٦.

(٣) تاريخ يعقوبي ١٩٧ / ٢.

ثم تطور لفظ الشيعة فصار يدل على مناصرة علي في الفتنة، والاعتقاد بأنه أحق بالخلافة وتجب مناصرته، مع تصحيحهم لخلافة أبي بكر وعمر وعدم تفضيل علي عليهما.

يقول ليث بن أبي سليم^(١): «أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون علي أبي بكر وعمر أحدا»^(٢).

وكان الشيعة الأوائل يعترضون على من يفضل عليا علي أبي بكر وعمر، ويرون أن التشيع الحق معناه الإقرار بخلافة أبي بكر وعمر وأفضليتهما علي، ولهذا لما سئل شريك بن عبد الله بن أبي نمر^(٣) - وهو من الشيعة الأوائل - أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر. فقال له السائل: أتقول هذا وأنت من الشيعة؟ فقال: نعم إنما الشيعي من قال مثل هذا والله لقد رقي علي هذه الأعواد - يعني عليا - فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. أفكنا نرد قوله؟! أفكنا نكذبه؟! والله ما

(١) ليث بن أبي سليم بن أبي زنيم. محدث الكوفة وأحد علمائها الأعيان، معدود في صغار التابعين، مات ١٨٣هـ على اختلاف في تاريخ وفاته. سير أعلام النبلاء ٦/١٧٩، ميزان الاعتدال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ٣/٤٢٠، تحقيق الشيخ/علي محمد معوض، والشيخ/عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ١/٣٦١. تحقيق/ محب الدين الخطيب.

(٣) شريك بن عبد الله بن أبي نمر، يكنى بأبي عبد الله، من أهل الكوفة، روى عن أنس بن مالك، مات بعد سنة ٤٠هـ. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي ٤/٢٣٦، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزني ١٢/٤٧٥، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ٤/٣٦٠، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى - ١٣٩٥ - ١٩٧٥.

كان كذاباً» (١).

ثم صار لفظ الشيعة يطلق على من فضل علياً علياً سائر الصحابة وعلى أبي بكر وعمر، ولما علم علي رضي الله عنه بهذا غضب وقال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وبعد أبي بكر عمر ولو شئت أن أحدثكم بالثالث لفعلت» (٢).

وتوعد رضي الله عنه من يفضله على أبي بكر وعمر فقال: «لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترين» (٣).

ثم تطور أمر التشيع مع ظهور بعض العقائد التي دخلت فيه عند ظهور شخصية عبد الله بن سبأ (٤)، كالقول بالعصمة، والوصية، والرجعة، وتكفير بعض الصحابة.

(١) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية ١ / ١٤، تحقيق الدكتور / محمد رشاد سالم. مؤسسة قرطبة. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٦ / ٣٥١ كتاب «الفضائل» باب «ما ذكر في أبي بكر لصديق رضي الله عنه».

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ابن عبد البر ٣ / ٩٧٣ تحقيق / علي محمد البجاوي. دار الجيل - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٤) عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية، كانت تقول بألوهية علي رضي الله عنه، أصله من اليمن، كان يهودياً وأظهر الإسلام، دخل دمشق أيام عثمان وأخرجه أهلها، فجهر ببدعته بمصر، كان يقول بالرجعة. لسان الميزان ٣ / ٢٨٩، تهذيب ابن عساکر ٧ / ٤٢٨.

وينكر أغلب الشيعة وجود شخصية عبد الله بن سبأ، ويعتبرونها من اختلاق أهل السنة للإساءة إلى الشيعة. انظر: عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى لمرتضى العسكري. دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١م.

ولمطالعة وجهة نظر أهل السنة وإثبات الأدلة على وجود عبد الله بن سبأ ودوره في اختراق التشيع وتحويل مساره انظر: عبد الله بن سبأ ودوره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام. الدكتور / سليمان بن حمد العودة. دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض، آراء الخوارج. عمار طالبي ٦٦ وما بعدها. المكتب المصري الحديث.

وعلى هذا يمكن القول: إن بداية التشيع كانت لا تعني أكثر من اتباع الجماعة المعتمدة في مولاة علي ومناصرتة في الفتنة^(١)، وقد كان كثير من الصحابة على هذا الرأي، ولم يكن هذا تشيعاً بالمعنى الذي تعارف عليه الشيعة بعد ذلك، وإنما هو تشيع للجماعة الإسلامية ومن يمثلها، وهو تشيع مقبول، لم يختلط به غلو ولا شطط ولا تنقيص للصحابة أو تكفير لبعضهم، وإنما حدث الغلو في الطور الأخير من التشيع.

ولهذا يقول الذهبي^(٢): «فالشيعي الغالي في زمان السلف وعُرفِهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة وطائفة ممن حارب علياً عليه السلام، وتعرض لسبهم، والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي كفر هؤلاء السادة وتبرأ من الشيخين أيضاً فهذا ضال مفتر»^(٣).

وفي المقابل يرى الشيعة أن هذا التطور طبيعي في أي مذهب، ولا خلاف بين الشيعة الأوائل ومن أتى بعدهم، غاية القول أن آراء الأولين كانت مجملة وتكتفي ببيان ما يحتاجونه في وقتهم، فلما أتى من بعدهم فصلوا هذه الآراء.

(١) رأي أهل السنة أن الصواب في هذه الفتنة كان مع علي عليه السلام، يقول ابن تيمية: «لم يسترب أئمة السنة وعلماء الحديث أن علياً أولى بالحق وأقرب إليه كما دل عليه النص» مجموع الفتاوى ٤/٤٣٩. دار الوفاء. الطبعة الثالثة ٢٠٠٥م.

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل ثم الدمشقي، ولد ٦٧٣هـ، توفي ٧٤٨هـ ١٣٤٨م، يعتبر مؤرخ الإسلام الأول، له تصانيف كثيرة منها: سير أعلام النبلاء، تذكرة الحفاظ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، طبقات الشافعية. أبو بكر بن أحمد بن قاضي شعبة ٣/٥٥ عالم الكتب، بيروت ١٤٠٧هـ، الأعلام ٥/٣٢٦،

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١/ ١١٨ - ١١٩ في ترجمة أبان بن تغلب.

يقول الدكتور أحمد الوائلى (١): «كمية الأفكار والمعتقدات فى المضمون الشيعى تتسع فى الأزمنة المتأخرة عما كانت عليه فى الصدر الأول دون شك فى ذلك، ولكن هذه الزيادة ليست أكثر من المضمون الأصلى للتشيع وإنما هى تفصيل وبيان لمجمله، إنها ليست بإضافة أجزاء وإنما هى ظهور جزئيات انطبق عليها المفهوم الكلى للتشيع وقد ظهرت هذه الجزئيات بفعل تطور الزمن» (٢).

لكن يرد هذا الكلام أن بين المفاهيم الأولى للتشيع وهذه الجزئيات المتأخرة بون واسع، فمن تفضيل أبى بكر وعمر أو على الأقل عدم تخطئة خلافتهم إلى ما ظهر عند بعض فرق الشيعة من سبهما والغلو فى أمرهما، ومن تصويب الخلفاء قبل على إلى القول بالنص والوصية، وهذا يعنى أن التطور الذى حدث لمفهوم التشيع فصل الشيعة المتأخرين عن الشيعة الأوائل، ولم يكن تفصيلا وبيانا لمجمل المفهوم الكلى للتشيع.



(١) أحمد ابن الشيخ حسون اللبى الوائلى، من مواليد النجف الأشرف، نال درجة الدكتوراة من دار العلوم المصرىة، كان خطيبا مفوها، من مؤلفاته: هوية التشيع، أحكام السجون. انظر: موقع الدكتور أحمد الوائلى: <http://www.al-waeli.net>

(٢) هوية التشيع. الدكتور الشيخ / أحمد الوائلى ١٦. دار الصفوة.

ثالثاً: أصول وعقائد الشيعة

للشيعة أصول وعقائد تميزهم عن بقية الفرق الإسلامية هي:

١- الإمامة والنص على الأئمة:

وهي المحور الذي تدور حوله عقائد الشيعة، وهي قطب الرحى في المذهب الشيعي، ولا يعتبرونها من الفروع كما هو الحال عند أهل السنة؛ بل هي من الأصول التي لا يتم إيمان المرء إلا بها.

يقول محمد رضا المظفر^(١): «الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها ولا يجوز فيها تقليد الآباء بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة»^(٢).

ويعتبر الشيعة الإمامة منصب إلهي، بل هو من أركان الدين، يقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء بعد أن تحدث عن أركان الإسلام:

«ولكن الشيعة زادوا ركناً خامساً^(٣) هو الاعتقاد بالإمامة، ويعني أن يعتقد أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة

(١) محمد رضا بن الشيخ محمد بن عبد الله المظفر، من النجف الأشرف، عالم وفيلسوف، له مصنفات كثير منها: عقائد الإمامية، الفلسفة الإسلامية. انظر: عقائد الإمامية، ترجمة المؤلف، مركز الأبحاث العقائدية. إيران.

(٢) عقائد الإمامية، العلامة الشيخ محمد رضا المظفر ٨٥ - ٨٦، عني بتحقيقه والتعليق عليه / محمد جواد الطربجي.

(٣) يقول: الإسلام والإيمان يطلقان على ثلاثة أركان: التوحيد والنبوة والمعاد، وركن رابع وهو العمل بالدعائم التي بني عليها الإسلام، وهي الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد، فهذه الأركان الأربعة هي أصول الإسلام. أصل الشيعة وأصولها ١٣٤.

والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ **مَا كَانَتْ لَهُمْ الْخِيَرَةُ** [سورة القصص: آية ٦٨] فكذاك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه إماما للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي»^(١).

وذهبوا إلى أن النبي ﷺ نص على إمامة علي بالتعيين المباشر، وأنها ليست بالاختيار أو الانتخاب من الناس، ولذلك يذهبون إلى القول ببطلان إمامة من تقدم على علي ﷺ، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله هاديا ومرشدا لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه.

وكما نص النبي ﷺ على علي من بعده فإن عليا يوصى بالإمام من بعده، وكذلك ينص كل إمام على من يخلفه ويأتي بعده ويوصى به.

«وأن عليا نص على ابنه الحسن، ثم الحسين، والحسين على علي بن الحسين، وكذلك من بعده إلى صاحب الوقت الثاني عشر»^(٢).

٢ - عصمة الأئمة:

أضفى الشيعة على أئمتهم صفات كثيرة، وأناطوا بهم من الأعمال والأحكام والقيام بالأمور الكثير؛ ولذلك قالوا بعصمة الأئمة عن المعاصي الصغيرة أو الكبيرة طوال حياتهم.

فعندهم الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما

(١) أصل الشيعة وأصولها ١٣٤.

(٢) مروج الذهب. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ٣/ ٢٣٧ - ٢٣٨ كتاب التحرير -

ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمدا وسهوا، كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان؛ وتعللوا بأن الأئمة حفظة الشرع القوامون عليه، حالهم في ذلك حال النبي، والذي اقتضاهم الاعتقاد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضيه أن يعتقدوا بعصمة الأئمة بلا فرق.

وهذا مذهب الإمامية وجميع الشيعة - سوى الزيدية - .

يقول الشيخ المفيد: «إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام، معصومون كعصمة الأنبياء وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة وأنه لا يجوز منهم سهو في شيء من الدين ولا ينسون شيئا من الأحكام وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم» (١).

ويغالي بعضهم في دعوى العصمة حتى تؤدي به إلى القول بتفضيل الأئمة على الأنبياء من ناحية العصمة فتجوز المعصية على الأنبياء ولا تجوز على الأئمة.

يقول الأشعري حاكيا قولهم: «الرسول ﷺ جائر عليه أن يعصي الله، وأن النبي قد عصى في أخذ الفداء يوم بدر، فأما الأئمة فلا يجوز ذلك؛ عليهم لأن الرسول إذا عصى فالوحي يأتيه من قبل الله والأئمة لا يوحى إليهم ولا تهبط الملائكة عليهم وهم معصومون فلا يجوز عليهم أن يسهوا أو يغلطوا» (٢).

(١) أوائل المقالات، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان ٦٥.

(٢) مقالات الإسلاميين ١ / ١٢١، وقد كتب بعض المعاصرين كتابا بعنوان «تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء عليهم السلام» تأليف / السيد علي الحسيني الميلاني - مركز الأبحاث العقائدية التابع للسيد السيستاني.

٣- المهدي:

فكرة المهدي موجودة عند أهل السنة (١) وجماهير المسلمين، لكن للشيعفة فى المهدي تصور خاص بهم، حيث يعتقدون أن المهدي المنتظر وهو محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر من الأئمة، وأنه قد غاب عن الأنظار حين أعلن عن دخوله السرداب عام ٣٢٩هـ وهو ما يعرف بالغيبة الكبرى ولن يخرج إلا فى آخر الزمان.

يقول السيد محمد باقر الصدر (٢): «فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم إلى الأفضل قد جاءت فى أحاديث الرسول الأعظم عموماً وفى روايات أئمة أهل البيت خصوصاً، وأكدت فى نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها الشك، ولقد أحصى أربعمائة حديث عن النبي ﷺ من طريق إخواننا أهل السنة، كما أحصى مجموع الأخبار الواردة فى الإمام المهدي من طرق الشيعة والسنة فكان أكثر من ستة آلاف رواية، هذا رقم إحصائي كبير لا يتوفر نظيره فى كثير من قضايا الإسلام البدهية التي لا شك فيها لمسلم عادة» (٣).

(١) لمعرفة رأي أهل السنة فى المهدي يراجع:

- القول المنتظر فى علامات المهدي المنتظر. ابن حجر الهيتمي.

- عقيدة أهل السن والأثر فى المهدي المنتظر. تأليف الشيخ / عبد المحسن بن حمد العباد. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. السنة الأولى - العدد الثالث ذو القعدة ١٣٨٨ - شباط ١٩٦٩م، المهدي وفقه أشراط الساعة. محمد بن إسماعيل. الدار العالمية - الاسكندرية. ١٤٢٣هـ.

(٢) مرجع ديني، ولد فى الكاظمية، مفكر وفيلسوف، أسس حزب الدعوة العراقي، أعدمه صدام حسين عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، من مؤلفاته: بحث حول المهدي، نشأة التشيع والشيعة، فلسفتنا، اقتصادنا.

<http://www.14masom.com/aalem-balad/37/1.htm>

(٣) بحث حول المهدي، السيد الشهيد محمد باقر الصدر ٦٢ - ٦٣، دار التعارف للمطبوعات سوريا

ويجعل الشيعة حياته هذه المدة الطويلة آية جعلها الله تعالى له، وليست هي بأعظم من أن يكون إماما للخلق وهو ابن خمس سنين يوم مات والده.

٤- الرجعة:

«وتعني عندهم رجعة الأئمة، أي عودة الإمام إلى الظهور بعد الغيبة والاختفاء، وأول من نادى بها عبد الله بن سبأ حيث زعم أن المقتول لم يكن عليا وإنما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي، وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى ابن مريم عليه السلام، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي»^(١).

وبعد غيبة محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر ودخوله في السرداب يعتقد الشيعة أنه سيرجع في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلا، وقد حكى ابن خلدون في تاريخه عن بعض الشيعة أنهم يذهبون لمكان غيبة الإمام وينادون عليه.

يقول: «وهم حتى الآن على ما بلغنا يصلون المغرب فإذا قضوا الصلاة قدموا مركبا إلى دار السرداب بجهازه وحليته ونادوا بأصوات متوسطة أيها الإمام اخرج إلينا فإن الناس منتظرون، والخلق حائرون، والظلم عام، والحق مفقود فاخرج إلينا فتقرب الرحمة من الله في آثارك، ويكررون ذلك إلى أن تبدو النجوم ثم ينصرفون إلى الليلة القابلة هكذا دأبهم»^(٢).

وتوسع طوائف من الشيعة في الرجعة فلم يقصروها على الإمام فقط وإنما ذهبوا إلى القول برجعة بعض الأموات ممن يتعلق برجعته مصلحة متحققة.

(١) الفرق بين الفرق ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ٤/ ٣٩.

يقول محمد رضا المظفر: «إن الذي تذهب إليه الإمامية أخذًا بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعز فريقًا ويذل فريقًا آخرين، ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان، أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت»^(١).

٥- التقية:

وهي عندهم: «كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين أو الدنيا»^(٢).

وعرفها آخرون: «بأن تقول أو تفعل غير ما تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك»^(٣).

والتقية على العموم لها أصل في الإسلام، لكن مفهومها يختلف عند الشيعة، وهي عندهم ذات شأن عظيم حتى ليعتبرونها دينًا يتدينون به ويتعبدون الله به، فهي أساس حياتهم، وركن من أركان مذهبهم، ويتمسكون في ذلك بأحاديث لآل البيت، منها:

عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: «يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له»، وينسبون إلى جعفر الصادق قوله: «التقية من ديني»

(١) عقائد الإمامية، العلامة الشيخ محمد رضا المظفر ١١٤، عني بتحقيقه والتعليق عليه / محمد جواد الطربجي، وانظر: أوائل المقالات ٧٧-٧٨.

(٢) عقائد الإمامية ١١٩.

(٣) الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية ٤٨.

ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له»^(١).

٦- ولاية الفقيه:

لما اعتقد الشيعة غيبة الإمام الثاني عشر واحتجابه، وكانوا منتظرين لخروجه اعتقد فريق منهم أن الجماعة لا تجوز إلا مع الإمام وعطلوا بعض الأحكام، لكن فريقاً آخر رأى أن غيبة الإمام لا تعني تعطيل الأحكام فنشأ ما يسمى «ولاية الفقيه» ومعناها: أن الفقيه الشيعي له الولاية في إقامة الأحكام وتنفيذها وتدير شؤون الدولة، واعتقدوا أن هذا الفقيه ينوب عن الإمام وقت غيبته.

قالوا: «فالمجتهد الجامع للشرائط نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق له ما للإمام من الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الإمام، والراد على الإمام راد على الله تعالى، وهو على حد الشرك به»^(٢).

وللفقيه عندهم الولاية العامة، فيرجع إليه في الحكم والفصل والقضاء وذلك من مختصاته لا يجوز لأحد أن يتولاها دونه إلا بإذنه، كما لا تجوز إقامة الحدود والتعزيرات إلا بأمره وحكمه^(٣).

وعلى هذا فإن الفقيه الشيعي ينزل منزلة الإمام ولا تجوز مخالفته، ومخالفته مخالفة لله تعالى بوصفه نائباً عن الإمام المبلغ أحكام الله للخلق.

(١) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني ٢/٢١٧ - ٢١٩، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية. طهران. الطبعة الثانية.

(٢) عقائد الإمامية ٣٤.

(٣) السابق ٣٥.

وممن دافع عن هذا الرأي وانتصر له الخميني (١) في كتابه: «الحكومة الإسلامية»، يقول: «إذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل فإنه يلي من أمور المجتمع ما كان يلي النبي ﷺ منهم، ووجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا، ويملك هذا الحاكم من أمر الإدارة والرعاية والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام... وقد فوض الله الحكومة الإسلامية الفعلية المفروض تشكيلها في زمن الغيبة نفس ما فوضه إلى النبي وأمير المؤمنين» (٢).

٧- دعوى تحريف القرآن:

يعتقد بعض الشيعة أن القرآن الموجود بين أيدينا قد لحق به تحريف أو نقص، وأن ذلك تم على أيدي الصحابة رضوان الله عليهم بحذف بعض الآيات التي تتحدث عن فضائل أهل البيت والأمر باتباعهم والنهي عن مخالفتهم، والآيات التي ذكرت أسماء أعدائهم.

«ومن أمثلة ما ادعوا أن الصحابة رضوان الله عليهم أسقطوه من القرآن من جملة ما أسقطوا «وجعلنا علياً صهرك» من سورة الشرح والتي تشير إلى تخصيص علي

(١) هو روح الله بن مصطفى الموسوي الخميني، نسبة إلى بلدته «خمين» التي ولد فيها بتاريخ ٦/٢٠ / ١٣٢٠هـ. وقد تلقى تعليمه على شيوخ الشيعة في «قم» وغيرها، ونفي إلى العراق في عام ١٩٦٥م فأقام في «النجف». يعتبر القائد السياسي والروحي للثورة الإسلامية في إيران التي أطاحت بـ «محمد رضا بهلوي» عام ١٩٧٩م. وحكم إيران منذ الإطاحة بالشاه وحتى وفاته عام ١٩٨٩م. وله عدة كتب منها الحكومة الإسلامية، وكشف الأسرار.

انظر: الثورة والقائد، صاحب حسين الصادق، وزارة الإرشاد بجمهورية إيران، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. إشراف د/ مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية.

(٢) الحكومة الإسلامية ٤٩. وهو عبارة عن دروس فقهية ألقاها في النجف الأشرف تحت عنوان «ولاية الفقيه» ١٣ من ذي القعدة إلى ١ من ذي الحجة ١٣٨٩هـ.

بمصاهرة النبي ﷺ دون عثمان» (١).

وقد قام النوري الطبرسي (٢) أحد كبار علمائهم المتأخرين (ت ١٣٢٠هـ) بتأليف كتاب ضخيم في إثبات تحريف القرآن الكريم وعنون له: (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهداتهم في مختلف العصور بأن القرآن قد زيد فيه ونقص منه (٣).

والحقيقة أن روايات التحريف الواردة في كتب الشيعة المعتبرة كثيرة منها:

عن سالم بن أبي سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أسمع حروفا من القرآن ليس على ما يقرأها الناس فقال أبو عبد الله عليه السلام: مه مه كف عن هذه القراءة اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم (٤) فإذا قام فقرأ كتاب الله على حده وأخرج المصحف الذي كتبه على عليه السلام (٥).

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، أحمد محمد أحمد جلي ٢٢٦. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات - الرياض. الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) حسين بن الشيخ محمد تقي بن علي محمد النوري الطبرسي، ولد ١٢٥٤ هـ، وتوفي ١٣٢٠ هـ، سافر إلى النجف الأشرف فدرس وبقى فيها، من أعظم علماء الشيعة، وكبار رجالهم في هذا القرن، من مصنفاته: كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل.

انظر ترجمته في مقدمة كتاب مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل بقلم الشيخ آقا بزرك الطهراني ٤١، طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت، الطبعة الأولى. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٣) الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، محب الدين الخطيب ١٠. المكتبة السلفية ومطبعتها. الطبعة العاشرة ١٤٠١هـ.

(٤) القائم عند الشيعة هو محمد بن الحسن العسكري الذي دخل السرداب، وقيامه خروجه منه.

(٥) بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد. أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار. باب «في

أن الأئمة عندهم جميع القرآن الذي أنزل على رسول الله» ٢١٣. تقديم وتعليق العلامة الحاج/ ميرزا

حسن. منشورات الأعلمي بطهران.

ومنها ما ذكره القمي^(١) في تفسيره:

عن ابن سنان قال: قرئت عند أبي عبد الله «جعفر الصادق»: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: آية ١١٠] فقال أبو عبد الله خير أمة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام؟ فقال القاري: جعلت فداك كيف نزلت؟ قال: نزلت: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ألا ترى مدح الله لهم ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢).

وأقوال علماء الشيعة في ذلك مشهورة أذكر بعضها:

يقول الفيض الكاشاني^(٣) في تفسيره: «من جميع هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة»^(٤).

(١) أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، توفي ٣٢٩هـ من رواة الشيعة الكبار في القرن الثالث الهجري، ويعد من مشايخ الشيخ الكليني، له مؤلفات كثيرة منها: «نوادير القرآن»، «الناسخ والمنسوخ». انظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي ٨/١، صححه وعلق عليه وقدم له السيد/ طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٠هـ.

(٢) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي ١/١١٠.

(٣) محمد محسن بن مرتضى بن محمود الشهير بالفيض الكاشاني، توفي ١٠٩١هـ نشأ في قم وتنقل بينها وبين كاشان وشيراز، له مصنفات كثيرة منها: الصافي في تفسير كلام الله الوافي، معتصم الشيعة في أحكام الشريعة. المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، للكاشاني ٢٢، مكتبة الصدوق، طهران ١٣٣٩، الأعلام ٥/ ٢٩٠، معجم المؤلفين ٩/ ٢٥٨.

(٤) الصافي في تفسير القرآن. الفيض الكاشاني. ١/ ٤٩ صححه وقدم له العلامة / الشيخ حسين الأعلمي. منشورات مكتبة الصدر بطهران. الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

يقول العلامة محمد باقر المجلسي (١) بعد أن ذكر روايات دالة على التحريف: «لا ريب أن هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره، وعندني أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأساً، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا تقصر عن أخبار الإمامة» (٢).

ويقول السيد نعمة الله الجزائري (٣): «كون الكل قد نزل به الروح الأمين يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً مع أن أصحابنا رضوان الله عليهم قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها. نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطوسي وحكموا بأن ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن المنزل لا غير ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل... والظاهر أن هذا القول إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة منها: سد باب الطعن عليه بأنه إذا جاز هذا في القرآن فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه مع جواز لحوق التحريف لها» (٤).

لكن الشيعة غير مجمعين على هذا القول، فقد ورد عن كثير من كبار علمائهم

(١) محمد باقر بن محمد باقر المجلسي، ولد بأصفهان، توفي ١١١٠ هـ ١٦٩٨ م، محدث فقيه مؤرخ، من مصنفاته: مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، حديقة المتقين، بحار الأنوار. الأعلام ٤٨/٦، معجم المؤلفين ٩١/٩.

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، محمد باقر المجلسي ١٢/١٢٨. دار الكتب الإسلامية.

(٣) نعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين الجزائري، توفي سنة ١١١٢ هـ ١٧٠١ م عالم أديب من أهل جزائر البصرة، من مؤلفاته: الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الإنسانية، رياض الأنوار في مناقب الأئمة الأطهار. أعيان الشيعة ١٠/٢٢٦، الأعلام ٨/٣٩، معجم المؤلفين ١/١١٠.

(٤) الأنوار النعمانية ٢/٣٥٧-٣٥٨. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان.

أيضا القول بعدم التحريف وسلامة القرآن الكريم من الزيادة والنقصان، من ذلك:

قول الشيخ الصدوق: «اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سورة عند الناس (يقصد المخالفين للشيعة) مائة وأربع عشرة سورة، وعندنا أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة، ولإيلاف وألم تر كيف سورة واحدة، ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب»^(١).

ويقول شيخ الطائفة الطوسي^(٢): «وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضا؛ لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى رحمه الله وهو الظاهر من الروايات، غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الأحاد التي لا توجب علما ولا عملا، والأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها، ولو صحت لما كان ذلك طعنا على ما هو موجود بين الدفتين فإن ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه»^(٣).

(١) الاعتقادات، للشيخ الصدوق ٨٤، تحقيق: عصام عبدالسيد، مركز الأبحاث العقائدية، إيران.

(٢) الشيخ أبو جعفر الطوسي محمد بن الحسن المعروف بشيخ الطائفة، ولد ٣٨٥ هـ، وتوفي سنة ٤٦٠ هـ، قام بتأسيس الحوزة العلمية في النجف وله مقبرة معروفة هناك، من مؤلفاته: النهاية، المبسوط، التبيان في تفسير القرآن. أعيان الشيعة ١٥٩/٩.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي ٣، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي. دار إحياء التراث العربي.

٨- الطعن في الصحابة:

يرى كثير من الشيعة أن الصحابة أخطئوا بعد رسول الله ﷺ حين لم يبايعوا علياً بالخلافة، ويغالي بعضهم فيعتقد كفر الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، يقول البغدادي: «زعم أكثر الإمامية أن الصحابة ارتدت بعد النبي ﷺ سوى علي وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم»^(١).

واقتناعاً منهم بهذا القول فإنهم يصفون الصحابة بأبشع الصفات، وعلى هذا بعض كبار علمائهم، وقد أشار إلى هذا بعض الباحثين فقال: «درج بعض علماء الشيعة وكبارهم على شتم صحابة رسول الله وسبهم بأقذع النعوت وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان وأمّهات المؤمنين عائشة وحفصة»^(٢).

وكتب الشيعة مليئة بالروايات والأخبار التي تطعن في الصحابة رضوان الله عليهم وتصفهم بالكفر.

من هذه الروايات ما رواه الكليني^(٣) عن أبي جعفر أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة. فقلت: من الثلاثة؟ قال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى وأبوا أن يبايعوا حتى جاءوا بأمر المؤمنين مكرهاً فبايع^(٤).

(١) الفرق بين الفرق ٣٢١.

(٢) إسلام بلا مذاهب ٢١٠.

(٣) الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، توفي سنة ٣٢٩هـ (كلين) هي قرية من قرى الري، عاش زمن الغيبة الصغرى، عظيم القدر في المذهب، وكتابه «الكافي» من أوثق كتب الحديث عند الشيعة. أعيان الشيعة ٩٩/١٠.

(٤) الروضة من الكافي ٨/ ٢٤٥ - ٢٤٦.

ومنها ما ورد في تفسير العياشي (١) في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٤٢].

قال: «عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ثلاثة. قلت: ومن الثلاثة؟ قال: المقداد وأبو ذر وسلمان الفارسي» (٢).

ومنها ما ورد في بحار الأنوار عن أبي علي الخراساني عن مولى لعلي بن الحسين عليه السلام قال: كنت معه في بعض خلواته فقلت: إن لي عليك حقاً ألا تخبرني عن هذين الرجلين؟ عن أبي بكر وعمر قال: كافران، كافر من أحبهما (٣).

٩- موقفهم من السنة:

بناء على رأي الشيعة في الصحابة رضوان الله عليهم فإنهم يعتقدون أن الروايات التي وردت عنهم غير مقبولة لأنها لم تأت من عدول.

يقول البغدادي: «لا يقبلون شيئاً مما روي عن الصحابة في أحكام الشريعة لامتناعهم من قبول روايات الحديث والسير والمغازي من أجل تكفيرهم لأصحاب الحديث الذين هم نقلة الأخبار والآثار ورواة التاريخ والسير» (٤).

ولذلك فإنهم يقتصرون في رواية الأخبار على ما ورد عن طريق آل البيت.

(١) محمد بن مسعود بن عياش السلمى المعروف بالعياشي، توفي في ٣٢٠ هـ - ٩٣٢ م، من أهل سمرقند وكتبه معروفة فيها، له تصانيف كثيرة، من مؤلفاته «تفسير العياشي». أعيان الشيعة ٥٦/١٠، الأعلام ٩٥/٧.

(٢) تفسير العياشي ٢٢٣/١ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان.

(٣) بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي ١٩٩/٢٨. دارالتعارف للمطبوعات. بيروت - لبنان.

(٤) الفرق بين الفرق ٣٢٢.

يقول محمد حسين آل كاشف الغطاء: «لا يعتبرون -أي الإمامية- من السنة أعني الأحاديث النبوية إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت عن جدهم يعني ما رواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله سلام الله عليهم أجمعين، وأما ما يرويه مثل أبي هريرة وسمرة بن جندب ومروان بن الحكم وعمران بن حطان الخارجي وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس لهم عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة»^(١).



(١) أصل الشيعة وأصولها ١٦٤ - ١٦٥.

رابعاً: طوائف الشيعة

الفرق الإسلامية على عمومها يتفق أفرادها على أصول المذهب ثم تتعدد الآراء داخل الفرقة الواحدة وتتباين المواقف بين رجالها فتكون الانقسامات داخل كل فرقة مع التزام كل طائفة بالأصول العامة للمذهب.

وقد اختلفت آراء المؤرخين وكتاب الفرق حول عدد طوائف الشيعة، نظراً لكثرتها وتشعبها وكثرة انقساماتها، ويكاد يجمع الكل على أن رءوس فرق الشيعة ثلاث أو أربع.

يرى الأشعري أن الشيعة يجمعهم ثلاثة أصناف: الغالية: وهم خمس عشرة فرقة، والإمامية: وهم أربع وعشرون فرقة، والزيدية: وهم ست فرق (١).

وعلى هذا فجملة طوائف الشيعة عنده خمس وأربعون طائفة.

ويرى البغدادي (٢) أن رءوس الشيعة أربعة أصناف: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة، ثم تفرقوا إلى عشرين فرقة (٣).

ومثله الإسفراييني (٤)، لكنه يجعل رءوسهم ثلاث فرق: الزيدية والإمامية

(١) مقالات الإسلاميين ١/ ٦٥-١٦٤.

(٢) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله الاسفراييني، ولد ونشأ في بغداد، توفي عام ٤٧١ هـ كان يدرس في سبعة عشر فناً، وكان ذا ثروة، من تصانيفه: «أصول الدين»، «الفرق بين الفرق»، «نفي خلق القرآن»، «فضائح المعتزلة». وفيات الأعيان ١/ ٢٦٨، الأعلام ٤/ ٤٨.

(٣) الفرق بين الفرق ٢١-٢٣.

(٤) طاهر بن محمد الاسفراييني، عالم بالأصول، ومفسر من فقهاء الشافعية، له مصنفات في علوم شتى، منها «التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين». طبقات الشافعية ٣/ ١٧٥، الأعلام ٣/ ١٧٩.

والكيسانية^(١).

ويعدهم الشهرستاني اثنتين وثلاثين فرقة^(٢)، ومثله صاحب البدء والتاريخ^(٣). ويرى الملطي^(٤) أن «أهل الضلال الرافضة ثمانى عشرة فرقة يتلقبون بالإمامية»^(٥)، ويضيف إليهم أربع فرق من الزيدية^(٦). ويعدهم المسعودي - وهو مؤرخ شيعي - «ثلاثا وسبعين فرقة دون ما تباينوا فيه من التفرع وتنازعوا فيه من التأويل»^(٧). والنوبختي الشيعي يصل بتقسيماتهم إلى حوالى سبعين فرقة^(٨). وفي دائرة المعارف الإسلامية «أن فرق الشيعة تزيد كثيرا عن الفرق الاثنتين والسبعين المشهورة»^(٩).

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الإسفراييني ٢٣. تحقيق / كمال يوسف الحوت. عالم الكتب - بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.

(٢) الملل والنحل ١ / ١٤٥ - ١٩٢.

(٣) البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي ١٢٤ / ٥. مكتبة الثقافة الدولية - بورسعيد.

(٤) محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي العسقلاني، توفي فيها سنة ٣٧٧ هـ ٩٨٧ م، نسبة إلى «ملطية»، من فقهاء الشافعية، نزل بعسقلان. له مؤلفات منها: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع. الأعلام ٣١١ / ٥.

(٥) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي ١٨. تحقيق / محمد زاهد بن الحسن الكوثري. المكتبة الأزهرية للتراث - مصر ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.

(٦) السابق ٣٤.

(٧) مروج الذهب ٤٣٩.

(٨) فرق الشيعة ٢٩.

(٩) دائرة المعارف الإسلامية ١٤ / ٦٧.

وهكذا يتسع تفرق الشيعة حتى يصل بهم المقرئزى (١) إلى ثلثمائة فرقة (٢).
وفى العصر الحاضر يظهر للشيعة ثلاث فرق: الإمامية الاثنا عشرية، والزيدية،
والإسماعيلية (٣).

وسأكتفى بتعريف مختصر للفرق المعاصرة من الشيعة:

١- الاثنا عشرية (*):

هم الذين يزعمون أن علياً أحق بالخلافة من أبى بكر وعمر وعثمان، ويطلق

(١) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المعروف باسم «تقى الدين المقرئزى»، ولد بالقاهرة توفى سنة ٨٤٥هـ - ١٤٤١م، وهو علم من أعلام التاريخ، ولي حاسبة القاهرة، من مؤلفاته: إمتاع الأسماع فيما للنبى من الحفدة والمتاع، السلوك فى معرفة دول الملوك، المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار. شذرات الذهب، عبد الحى بن أحمد بن محمد العكبى الحنبلى ٧/ ٢٥٣، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار بن كثير - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، الأعلام ١/ ١٧٧.

(٢) المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئزى، ٤/ ٤١٩، حققه وكتب مقدمته وحواشيه د/ أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) انظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملى ١/ ٢٢، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، الدكتور/ علي سامى النشار ٢/ ٢٨.

(*) للمزيد عن الاثنا عشرية، انظر: مقالات الإسلاميين ٨٨ وما بعدها، الفرق بين الفرق ٦٤ وما بعدها، الملل والنحل ١/ ١٧١ - ١٧٥، تاريخ المذاهب الإسلامىة، الشيخ محمد أبو زهرة ٤٦. دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٩٦م، إسلام بلا مذاهب، الدكتور / مصطفى الشكعة ١٨٩ - ٢٢٢، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، الدكتور / علي سامى النشار ٢/ ٨٠٩ - ٢٢٨، تيارات الفكر الإسلامى، الدكتور / محمد عمارة ١٩٩ - ٢٥٢، دار الشروق الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الشيعة والتشيع. إحسان إلهى ظهير، الأصول العقديّة للإمامية. الدكتور / صابر طعيمة. مكتبة مدبولى الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية عرض ونقد. الدكتور/ ناصر بن عبد الله بن علي الففارى. دار الرضا للنشر والتوزيع - مصر.

عليهم الإمامية لأنهم جعلوا الإمامة من أصول الدين، وسموا بالاثنا عشرية لأنهم قالوا بإمامة اثني عشر إماما دخل آخرهم السرداب بسامراء وهم:

- ١- علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ) ويلقب بالمرتضى.
- ٢- الحسن بن علي (٣- ٥٠هـ) ويلقب بالمجتبى.
- ٣- الحسين بن علي (٤- ٦١هـ) ويلقب بالشهيد.
- ٤- علي زين العابدين بن الحسين (٣٨- ٩٥هـ) ويلقب بالسجاد.
- ٥- محمد الباقر بن علي زين العابدين (٥٧- ١١٤هـ) ويلقب بالباقر.
- ٦- جعفر الصادق بن محمد الباقر (٨٣- ١٤٨هـ) ويلقب بالصادق.
- ٧- موسى الكاظم بن جعفر الصادق (١٢٨- ١٨٣هـ) ويلقب بالكاظم.
- ٨- علي الرضا بن موسى الكاظم (١٤٨- ٢٠٣هـ) ويلقب بالرضا.
- ٩- محمد الجواد بن علي الرضا (١٩٥- ٢٢٠هـ) ويلقب بالتقي.
- ١٠- علي الهادي بن محمد الجواد (٢١٢- ٢٥٤هـ) ويلقب بالنقي.
- ١١- الحسن العسكري بن علي الهادي (٢٣٢- ٢٦٠هـ) ويلقب بالزكي.
- ١٢- محمد المهدي بن الحسن العسكري (٢٥٦-.....) ويلقب بالحجة القائم.

ويزعمون أن محمد المهدي آخرهم دخل السرداب ولم يخرج منه، وهو ما يعرف بالغيبة، وأنه سيعود في آخر الزمان.

وأبرز عقائدهم: أن الإمامة بالنص، ويقولون بعصمة الأئمة، ويعتقدون برجعة الإمام الغائب في آخر الزمان، ويقولون بالتقية، ويحلون نكاح المتعة.

٣- الزيدية (*):

تنسب الزيدية إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي الذي كانت له رؤية شيعية مغايرة لجمهور الشيعة في بعض أصولهم، فقد كان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولم يكفر أحدا من الصحابة، ويرى جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، ولا يشترط الزيدية النص في الإمامة، ويميلون في كثير من المسائل العقدية إلى مذهب الاعتزال، ويرفضون من أصول الشيعة: عصمة الأئمة؛ حيث اعتبروا الأئمة غير معصومين بل هم مثل سائر الناس وإن كانوا أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ، ويرفضون نكاح المتعة، ويوافقون أهل السنة في كثير من الفروع الفقهية.

٣- الإسماعيلية (**):

ينتسبون إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، حيث يتفقون مع الاثنا عشرية في

(*) للمزيد عن الزيدية انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ١٤٠ - ١٦٦، الملل والنحل ١/ ١٥٣ - ١٥٦، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر بن الحسين الرازي ٥٢، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٢، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ٣٣، مروج الذهب ٤٣٩، تاريخ المذاهب الإسلامية ٤٢ - ٤٦، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢/ ١٢١ - ١٥٧، إسلام بلا مذاهب ٢٢٣ - ٢٣٠، تيارات الفكر الإسلامي ٩٧ - ١٢٤، الإمام زيد. الشيخ محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي بالقاهرة.

(**) للمزيد عن الإسماعيلية انظر: الملل والنحل ١/ ١٧٠ - ١٧١، الفرق بين الفرق ٦٢، ٦٣، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ٣٣، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الإسفراييني ٣٨، فضائح الباطنية، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ١٦، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت، الفهرست ٢٦٤، مذاهب الإسلاميين، الدكتور / عبد الرحمن بدوي ٢/ ٧٨٩ - ١١٧٠، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٧م، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها. الدكتور / محمد أحمد الخطيب. مكتبة الأفضى. عمان، طائفة الإسماعيلية تاريخها نظمها عقائدها. الدكتور / محمد كامل حسين. مكتبة النهضة المصرية، الإسماعيلية تاريخ وعقائدها، إحسان إلهي ظهير. إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان.

الأئمة إلى جعفر الصادق ولا يرون إمامة موسى الكاظم بعده وإنما يقولون الإمام بعده ابنه إسماعيل؛ لأن أباه وصى به، مع كونه مات في حياة أبيه، لكنهم يقولون بإعمال الوصية بعد وفاته وسريانها على أبنائه من بعده.

وقد سموا بالباطنية؛ لأنهم يقولون إن للشريعة ظاهرا وباطنا، وقد أولوا ألفاظ القرآن الكريم تأويلات بعيدة بناء على هذا، وقد كانوا يخفون كثيرا من آرائهم ولا يظهرونها، قال عنهم الغزالي: إنه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض (١).

وقد اعتبرتها أكثر الفرق الإسلامية - حتى الاثنا عشرية - فرقة خارجة ضالة عن الإسلام.

هذه فرق الشيعة الموجودة في العصر الحاضر، وإذا أطلق لفظ الشيعة في عصرنا فإنه ينصرف مباشرة إلى طائفة الاثنا عشرية (٢).



(١) فضائح الباطنية، ٣٧.

(٢) انظر: الشيعة في التاريخ، محمد حسين العاملي ٤٣.

أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين آل كاشف الغطاء ٩٢.

تيارات الفكر الإسلامي، الدكتور / محمد عمارة. دار الشروق ١٩٩.

العقيدة والشريعة، جولد تسهير ٢٣٦. نقله إلى العربية الدكتور / محمد يوسف موسى، والدكتور / علي

حسن

عبد القادر، والأستاذ / عبد العزيز عبد الحق. دار الكتب الحديثة - مصر.

خامسا: أسماء أطلقت على الشيعة

تتعدد الأسماء التي تطلق على أي فرقة من الفرق الإسلامية، منها ما يكون في معرض المدح ومنها ما يكون في معرض الذم، بعض هذه الأسماء يطلقها أنصار الفرقة، وبعضها يطلقه الخصوم، خاصة عندما تكون: «التسميات والأسماء هي الأخرى أسلحة في الصراع... وحتى بعد أن استقرت وغلبت على أصحابها ظلت التفسيرات لها والتخريجات لمعانيها تبحث عن السبيل التي تجعلها فاعلة ومؤثرة في هذا الصراع»^(١).

وقد أطلق على الشيعة أسماء عدة منها:

١- الشيعة:

والأصل أن يطلق على فرق الشيعة كلها، لكن قال جماعة إنه إذا أطلق في العصر الحاضر فإنه يراد به الشيعة الاثنا عشرية - كما مر في المبحث السابق - . وهم أكثر الشيعة في العصر الحاضر، ويعتقدون أكثر آراء الشيعة وأصولها.

٢- الإمامية:

وهو يطلق على مجموعة من فرق الشيعة.

يقول الملطي: «أهل الضلال الرافضة ثمانى عشرة فرقة يتلقبون بالإمامية»^(٢).

ثم اختص بإطلاقه على الاثنى عشرية، يقول ابن خلدون: «واختص الاثنا عشرية باسم الإمامية»^(٣).

(١) تيارات الفكر الإسلامى. الدكتور / محمد عمارة. ١٦.

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع. ١٨.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٤/ ٣٨.

ومعنى الإمامية: أي الذين يقولون بالنص على إمامة علي رضي الله عنه. ويرى صاحب المنية والأمل أنهم سمووا إمامية لأنهم جعلوا أمور الدين كلها للإمام، وأنه كالنبي ولا يخلو وقت من إمام يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا ^(١). ولم يكن هذا الاسم مشهوراً في بداية التشيع، وإنما ظهر مع بداية اهتمام الشيعة بمسألة الإمامة والنص عليها وجعلها ركن الدين الذي لا يتم الإيمان إلا به.

٣ - الاثنا عشرية:

وهو وصف يطلق على الشيعة الإمامية القائلين بإمامة اثني عشر إماماً معينين. يقول البغدادي: «سمو بالاثني عشرية لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى بن أبي طالب» ^(٢). وهذا الوصف يصح إطلاقه على عموم الشيعة - عدا الزيدية - لاتفاقهم في القول بالأئمة الاثني عشر.

٤ - الرافضة:

يذهب بعض كتاب الفرق والمقالات إلى تسمية الشيعة بالرافضة ^(٣). وإنما سمو بالرافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وأول من أطلق لفظ الرافضة على الشيعة زيد بن علي لما اجتمع معه الشيعة فقالوا له: ما قولك يرحمك الله في أبي بكر وعمر؟ فقال: غفر الله لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما وأنا لا أقول فيهما إلا خيراً. قالوا: فلم نطلب إذن بدم أهل البيت؟ قال: إنا كنا أحق الناس بهذا الأمر ولكن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفر، قد ولوا

(١) المنية والأمل. ٢١.

(٢) الفرق بين الفرق. ٦٤.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٨٨، الفرق بين الفرق ٢١، التبصير في الدين ٢٣، البدء والتاريخ ٥/ ١٢٤.

فعدلوا وعملوا بالكتاب والسنة. قالوا: فلم تقاتل هؤلاء؟ قال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم، وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه وإحياء السنن وإماتة البدع، فإن تسمعوا يكن خيرا لكم، وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل، فرفضوه وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته وتركوه فهذا سمو الرفضة^(١).

ويلحظ نظرة الدم في هذا الموقف الذي كان سببا للتسمية، لكن الشيعة يرون أن هذا الاسم من أسماء المدح للفرقة، ويورد العلامة المجلسي أحاديث في مدح التسمية بالرفضة؛ منها:

«ما ورد أن أبا بصير سأل أبا جعفر فقال: جعلت فداك فإننا قد رمينا بشيء انكسرت له ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت به الولاية دماءنا في حديث رواه لهم فقهاؤهم. قال أبو عبد الله: الرفضة. قال: نعم. قال: لا والله ما هم سموكم به، أما علمت يا أبا محمد أن سبعين رجلا من بني إسرائيل رفضوا فرعون إذ استبان لهم ضلالته ولحقوا بموسى إذ استبان لهم هداة فسموا في معسكر موسى الرفضة؛ لأنهم رفضوا فرعون وكانوا أشد ذلك العسكر عبادة وأشدهم حبا لموسى وهارون وذريتهما فأوحى الله إلى موسى أن اثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني سميتهم به ونحلتهم إياه، فأثبت موسى الاسم لهم ثم ادخر الله هذا الاسم حتى نحلكموه، يا أبا محمد رفضوا الخير ورفضتم الشر بالخير»^(٢).

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير. ٣٢٩/٩ - ٣٣٠ - مكتبة المعارف - بيروت، تاريخ الطبري ٢٠٤/٤. دار الكتب العلمية. بدون، تاريخ ابن خلدون ١٢٤/٣، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج بن الجوزي. ٢١١/٧. دار صادر - بيروت الطبعة الأولى ١٣٥٨ هـ.

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي، ٤٩/٦٥. دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان، الطبعة الثالثة المصححة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

٥ - الجعفرية:

وسموا بالجعفرية نسبة إلى الإمام جعفر الصادق الإمام السادس في ترتيب الأئمة الاثني عشر عند الشيعة.

يقول بعض الشيعة: «وتسميتنا بالجعفرية لاتباعنا في الحلال والحرام أئمة أهل البيت الذين منهم الإمام جعفر الصادق، حيث إنهم أعلم بكتاب الله وأدرى بما قاله الرسول صلى الله عليه وآله...، وحيث إن الإمام جعفر تمكن من نشر علوم القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وآله بما لم تسمح الظروف لسائر الأئمة بهذا القدر من النشر»^(١).

وقد كانت طوائف الشيعة تُجمع عليه، وتنسب نفسها إليه.



(١) مقالة الشيعة، آية الله العظمى السيد الشيرازي، ٣٠، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩ م.

سادسا: المؤثرات الأجنبية في التشيع

بدأ التشيع كما ذكرت لا يعني أكثر من مناصرة علي وموالاته، أو على الأكثر تفضيله على غيره من الصحابة، ثم لم يلبث أن انحرف مفهومه إلى عقائد بعيدة كل البعد عن هذا المفهوم الصافي؛ من القول بالنص والوصية والعصمة والغيبة والرجعة والتقية إلى غير ذلك من العقائد التي لا أساس في النشأة، ولهذا لا بد أن يكون هناك أمرا طارئا على التشيع من خارجه حوّل مساره، وقد اهتم العلماء برصد المؤثرات الخارجية في التشيع، وتنوعت أقوالهم فيها وفي مدى تأثيرها على ما يأتي:

١- الأثر اليهودي:

يرى كثير من كتاب الفرق أن التشيع قد تشبع بأراء يهودية، وقد تم ذلك عن طريق عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديا وأسلم، وبعض الشيعة يقرون بذلك. يقول النوبختي: «وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله ابن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام بمثل ذلك، وهو أول من شهد القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفه وأكفرهم، فمن ههنا قال من خالف الشيعة عن أصل الرفض إنه مأخوذ من اليهودية»^(١). ويستدل أصحاب هذا القول بأن بعض الآراء التي قال بها الشيعة لها أصول يهودية، ومنها على سبيل المثال الرجعة.

يقول ابن حزم: «فصار هؤلاء في سبيل اليهود القائلين بأن ملكي صديق بن عامر

(١) فرق الشيعة، النوبختي ٣٢، ٣٣.

ابن أرفخشذي بن سام بن نوح، والعبد الذي وجه إبراهيم عليه السلام ليخطب نيفا بنت نقوال بن ناحور بن تارح على ابنة اسحاق ابنه عليه السلام، وإلياس عليه السلام، وفنحاس بن إيعازر بن هارون عليه السلام أحياء إلى اليوم»^(١).

أي أنه كما قال اليهود بحياة هؤلاء وعودتهم مرة أخرى إلى الدنيا قال الشيعة بحياة الإمام وعودته مرة أخرى، وعلى هذا فيحتمل أن هذه العقيدة تسربت إلى الفكر الشيعي عن طريق المؤثرات اليهودية.

وممن يرى هذا الرأي أحمد أمين، يقول:

«اليهودية ظهرت في التشيع في القول بالرجعة، وقالت الشيعة عن النار أنها محرمة على الشيعي إقليلا كما قال اليهود: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [سورة آل عمران: آية ٢٤]»^(٢).

ويرى بعض الباحثين أن: «أفكار الرجعة والبداء والمهدي والأسباط وغيرها من آراء شيعية غالية يهودية الأصل»^(٣).

٣- الأثر الفارسي:

يرى بعض العلماء أن الأثر الفارسي في التشيع بدأ منذ دخول الفرس في الإسلام، ولا ريب أن دخول بعضهم لم يكن خالصا وإنما كان لأغراض معادية كالتعفن في الإسلام ومحاربهته، وكان التشيع وسيلتهم إلى ذلك.

يقول ابن حزم: «كان الفرس من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسیاد، وكانوا

(١) الفصل ٣/ ١١٣.

(٢) فجر الإسلام، ٢٧٦.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار/ ١/ ٦٨.

يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعاضمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق... فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ، واستشناع ظلم علي رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام» (١).

وظهر الأثر الفارسي في المشابهة بين وراثة الملك في فارس وبين القول بالوصية في الفكر الشيعي.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة (٢): «نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة، والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح، ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس إلى الآن من الشيعة، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس» (٣).

٣- أثر الفلسفات الآسيوية القديمة:

كثرت العقائد المختلفة والآراء المتباينة في منطقة آسيا منذ القدم، وتنوعت هذه الآراء كثيراً بين المانوية، والبوذية، والمزدكية، والبراهمة، وغيرها، وانتقلت هذه الآراء إلى الشيعة بدخول هذه الطوائف إلى الإسلام أو بكثير من الترجمات التي حدثت في المجتمع الإسلامي، وقد كان المذهب الشيعي وعاء لكل هذه الآراء.

(١) الفصل ١/ ٣٧٢.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة، فقيه جليل، نشأ بطنطا ودرس بالجامع الأحمدية، أخذ العالمية ١٩٢٥، ودرّس الشريعة بكلية الحقوق، له مؤلفات قيمة منها «خاتم النبيين»، «المذاهب الإسلامية»، وغيرها كثير. انظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين للدكتور. محمد رجب البيومي ٥/ ٢١٧، ط/ مجمع البحوث ١٤٠٨هـ.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ٣٦.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «المذهب الشيعى كان مباءة للعقائد الآسيوية القديمة كالبودية وغيرها» (١).

تحقيب:

يمكن القول إن التشيع فى بدايته كان نقيًا خالصًا لم يختلط بآراء خارجية؛ لأن آراء الشيعة فى ذلك الوقت كانت قليلة لا تخرج عن الإطار الإسلامى العام، ثم حدث التطور والامتزاج بالآراء المخالفة بعد تظاهر عبد الله بن سبأ بالإسلام، وتنوعت المؤثرات على التشيع، وهذا يوضح أن طبيعة المذهب الشيعى كانت قابلة للتأثر بآراء الفلسفات والعقائد المختلفة، بمعنى أن كثيرا ممن أراد الدس فى الإسلام والطعن فى آرائه وأحكامه تظاهروا بمحبة أهل البيت ونصرتهم حتى تحول التشيع إلى هذه الآراء التى لا صلة لها مطلقًا بالتصور الإسلامى الصحيح.



(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ٣٦.

الباب الأول

عقائد الشيعة التي تناولها التيار بالإصلاح

ويشتمل على أحد عشر فصلاً:

الفصل الأول : الإمامة والنص على الأئمة.

الفصل الثاني : عصمة الأئمة وولايتهم التكوينية.

الفصل الثالث : المهدي والغيبة والرجعة.

الفصل الرابع : ولاية الفقيه.

الفصل الخامس : النقية.

الفصل السادس: دعوى تحريف القرآن.

الفصل السابع: الموقف من الصحابة.

الفصل الثامن : الخمس.

الفصل التاسع : إباحة نكاح المتعة.

الفصل العاشر : الشعائر الحسينية.

الفصل الحادي عشر: الفروع الفقهية.

تهيد

سوف أعرض فى هذا الباب أهم عقائد الشيعة التى تعرض لها أعلام التصحيح بالنقد والرد عليها، فى ضوء هذه المقدمات:

أولاً:

الأعلام الذين أعرض آراءهم من علماء مذهب الشيعة، وبعضهم من مراجع الشيعة المعتمدة، يعنى أنهم بلغوا مرتبة عالية عند الشيعة، ولا يعنى ذكرى لآرائهم التى يصححون فيها عقائد الشيعة ويتعرضون لها بالنقد أنهم قد تركوا المذهب، وإنما غاية الأمر - عند بعضهم - أنه ثورة تصحيح بنقد داخلى للمذهب، وإعادة نظر فى التراث الشيعى، وقراءة جديدة للأفكار الغالية، ومراجعة مفردات المذهب مرة أخرى، دون أن يعنى ذلك أنهم تخلوا عن المذهب، وإن كان بعضهم قد ترك المذهب، وصرح بتحوله عنه.

ثانياً:

مقصدي فى هذا البحث التركيز على الأفكار لا على الأشخاص، ويعنى ذلك أننى سوف أعنى ببيان الأفكار والآراء التصحيحية داخل مذهب الشيعة بغض النظر عن القائلين بها، لأن غرض البحث هو التركيز على الأفكار التصحيحية، ومحاولة عرضها وإبرازها بصورة طيبة، والاستفادة منها، ومحاولة دعمها وتشجيعها، وليس غرض البحث الحديث عن الأفراد الذين قاموا بالنقد - وإن أفردت لذلك فصلاً خاصاً -، لأن الفكرة تعلق على الأشخاص مهما كان قائلها.

ثالثاً:

ذكرُ رأى من الآراء لأحد أعلام التصحيح ينتقد فيه مبدأ من مبادئ الشيعة، أو يصحح فكرة ما من الأفكار المنتشرة فى المذهب لا يعنى بالضرورة أنه ينتقد باقى

الآراء والعقائد داخل المذهب، فقد تجد من ينتقد الشعائر الحسينية وما يمارس بها من مخالفات، ثم تجده بعد ذلك متمسكا بمسألة المهدي والرجعة مثلا، أو قد يتحدث بعضهم عن مسألة تحريف القرآن وينكرها إنكارا تاما ويتهم من يقول ذلك بالبعد عن الدين، لكنه على الجانب الآخر يعتقد بالإمامة والنص عليها وعصمة الإمام.

وإنما اتخذت ذلك نهجا لعنيتي بالأفكار أكثر من الأشخاص، فلا يعني أن يكون من أنقل عنه ناقدا لكل العقائد الشيعية المخالفة والغالية، وإنما يكفي أن يظهر تصحيحه في مسألة ما من المسائل، وبذلك يتحصل لدينا قدر لا بأس به من النقد الذاتي للمذهب، والتصحيح الداخلي الذي يعطي فكرة تامة عن الصورة الصحيحة للتشيع المقبول.

رابعاً:

المقصد من هذا البحث هو بيان الأفكار التي تعرضت للنقد داخل المذهب، ويكفي في بيان هذا أن أعرض بعض آراء الإصلاحيين حول المسألة معرض البحث، دون أن أستقصي جملة الآراء الواردة في ذلك ونقدم لها، لأن المطلوب هو إثبات أن هذا الرأي يحتاج للتقويم والرد، وقد قام بذلك عدد من رواد التصحيح دون استقصاء آرائهم.

خامساً:

بما أنني في هذا الباب أنقل آراء الإصلاحيين فإن جهدي لا يتعدى محاولة عرض أفكارهم، وإبرازها بصورة مناسبة، ويبدو لي أن أفضل وسيلة لذلك هي ترك آرائهم لتعبر عن نفسها دون تدخل مني إلا بالربط بينها بالقدر الذي يبين الغرض منها ويُظهر أجزاء الصورة التي أرادها أصحابها.

الفصل الأول

الإمامة والنص على الأئمة

الإمامة في عقيدة الشيعة الاثنا عشرية أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، وهي منصب إلهي كالنبوة لا بد فيها من النص من الله تعالى، وعندهم أن النبي ﷺ نص على إمامة علي (عليه السلام)، وقد نص عليّ عليّ الحسن من بعده، وهكذا حتى الإمام الغائب الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري^(*).

وقد تصدئ أعلام الإصلاح في المذهب الشيعي لنظرية الإمامة، وقاموا بتفنيدها والرد عليها، وبيان أنها لا تمثل جوهر المذهب الشيعي الصحيح، ويمكن بيان ردودهم على هذه النظرية من خلال العناصر التالية:

١- مناقشة ناصيل مسألة الإمامة:

ينقض أعلام التصحيح عقيدة الإمامة عند الشيعة بكونها لم تذكر في القرآن الكريم، مع أنها تتعلق بأصل من أصول الدين - عند الشيعة - فكان لا بد من الإشارة إليها بنصوص صريحة لا تحتمل التأويل.

يقول حيدر قلمداران: «لو كانت مسألة الإمامة هامة فعلا إلى هذا الحد في نظر الشارع، أعني لو كان الشارع تبارك وتعالى قد اختار لها أشخاصا معينين فرض طاعتهم المطلقة تماما كطاعة الأنبياء والمرسلين لحكم العقل والوجدان أن يبين الله عز وجل ذلك في تنزيه العزيز وذكره الحميد بأوضح بيان»^(١).

(*) انظر: التمهيد ١٤.

(١) طريق الاتحاد وتمحيص روايات النص على الأئمة، حيدر علي قلمداران القمي ٥٥، قدم له: أبو

الفضل البرقي. ترجمه: سعد رستم.

وكذلك لم تذكر في سنة النبي ﷺ إلا مرة واحدة في حادثة الغدير، أو بإشارة عابرة تحتل التأويل، يقول حيدر القمي: «لو كانت مسألة النص على الإمام على ذلك المقدار من الخطورة والأهمية لبلغها الرسول ﷺ بشكل واضح وصريح، ولنادى بها في الملاء العام، ولأعلن بها كل صباح ومساء، ولما اقتصر على حديث الغدير الذي لم يستطع حتى أقرباء وأنصار علي عليه السلام أن يدركوا معه معنى التعيين لمنصب الخلافة والإمامة»^(١).

والتحقيق أن الطريقة التي تستنبط من القرآن لاختيار الإمام والخليفة والتي أمر بها النبي ﷺ، هي التي مارسها أصحابه رضوان الله عليهم، وهي طريقة الشورى.

ويرى أعلام التصحيح في مذهب الشيعة أن الاعتقاد بإمامة اثني عشر إماما ليس من ضروريات الدين ولا قواعده، وإنما هي من ضروريات المذهب، وأن النصوص الشرعية منها ما لا يقبل الاجتهاد ولا التأويل، ومنها نصوص تسمح بالاجتهاد والاختلاف، ومثالها الإمامة، أو كما يسميها السيد محمد حسين فضل الله: الثابت الذي لا يقبل الاختلاف والمتحول الذي يقبله في قوله: «المتحول الذي يتحرك في عالم النصوص الخاضعة في توثيقها ومدلولها للاجتهاد مما لم يكن صريحا بالمستوى الذي لا مجال لاحتمال الخلاف فيه، ولم يكن موثقا بالدرجة التي لا يمكن الشك فيه، وهذا هو الذي عاش المسلمون الجدل فيه، كالخلافة، والإمامة»^(٢).

وهذا بناء على أن الاعتقاد بوجود الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري ليس من أساسيات الدين، بل من أساسيات المذهب، فمن ترك الإيمان به فهو غير شيعي، لكنه مسلم.

(١) المرجع السابق ٥٦ بتصرف.

(٢) مقال «الأصالة والتجديد» محمد حسين فضل الله. ضمن مجلة «المنهاج» العدد الثاني ١٤١٧ هـ.

يقول محمد جواد مغنية^(١): «الإمامة ليست أصلا من أصول دين الإسلام، وإنما هي أصل لمذهب التشيع، فمنكرها مسلم إذا اعتقد بالتوحيد، والنبوة، والمعاد، ولكنه ليس شيعيا. فيجب على كل شيعي إمامي أن يعتقد بإمامة الاثني عشر ومن ترك التدين بإمامتهم عالما كان أم جاهلا واعتقد بالأصول الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد فهو عند الشيعة مسلم غير شيعي، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم»^(٢).

وينقل أحمد الكاتب الرأي نفسه عن آية الله مكارم الشيرازي^(٣) أنه قال إن عقيدة الإمامة ليست من شروط الإسلام، وإنما هي من شروط التشيع»^(٤).

وهو قول محسن الأمين: «وعمدة الخلاف بين المسلمين هو في أمر الخلافة، وهي ليست من ضروريات الدين بالبدئية؛ لأن ضروري الدين ما يكون ضروريا عند جميع المسلمين، وهي ليست كذلك»^(٥).

بل إن أحمد الكاتب يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يرى أن الإمامة ليست من أصول المذهب الشيعي، وأن من ترك الاعتقاد بإمامة الأئمة الاثني عشر لا يعد مخالفا لمذهب الشيعة.

(١) محمد جواد مغنية: ولد في جبل عامل، توفي سنة ١٤٠٠هـ، عمل بالقضاء ثم انصرف إلى التأليف، من مؤلفاته: المذاهب الخمسة، التفسير الكاشف. أعيان الشيعة ٩/ ٢٠٥.

(٢) مقال بعنوان «ضرورات الدين والمذهب عند الشيعة الإمامية»، محمد جواد مغنية، مجلة رسالة الإسلام، العدد ٨ السنة الرابعة.

(٣) آية الله العظمى مكارم الشيرازي، ولد في مدينة شيراز، درس في النجف الأشرف، حصل على إجازة الاجتهاد في سن مبكرة.

انظر: الموقع الشخصي على الشبكة الدولية <http://www.makaremshirazi.org/arabic/biography>

(٤) السنة والشيعة وحدة الدين خلاف السياسة والتاريخ، أحمد الكاتب ٢٣ الدار العربية للعلوم. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

(٥) أعيان الشيعة. محسن الأمين ١/ ٤٥٧.

يقول: «الإيمان بوجود الإمام الثاني عشر الغائب ليس من صلب المذهب الشيعي الجعفري، وقد حدث بعد وفاة الإمام العسكري، وبُني الإيمان به على أساس الظن والتخمين والافتراض الفلسفي وليس على أدلة تاريخية علمية يقينية أو شرعية»^(١).

وعلى هذا فإن الاعتقاد بإمامة الأئمة الاثني عشر ليس شرطاً للنجاة، والجهل بها ليس موجبا للهلاك. فليس هناك دليل على أن الخطأ في موضوع الإمامة والخلافة بعد النبي ﷺ سيؤدي بصاحبه إلى نار جهنم، بل على العكس لدينا أحاديث لأئمة الشيعة يصرحون فيها أن المسلم إذا كان متقياً فهو من أهل النجاة حتى لو لم يعترف بإمامتهم.

٢- مناقشة النصوص التي يستدل بها الشيعة على إمامة علي:

أبرز ما يستدل به الشيعة على مسألة النص على إمامة علي ﷺ قصة الغدير^(٢)، وقد قام أعلام التصحيح بالرد على هذه القصة.

ومن ذلك الشيخ حيدر علي قلمداران فإن يرى أن هذه القصة لا تعني أن النبي ﷺ قام بتعيين علي خليفة للمسلمين، وذلك من وجهين:

الأول: أن هذه الرواية لم تكن مستندا لأي فريق خلال اجتماع السقيفة، يقول: «وخلال حادثة السقيفة والمحاججات التي جرت فيها وبعدها طبقاً لما روته كتب

(١) حوار صحيفة الزمان اللندنية مع أحمد الكاتب بتاريخ ٢٧/١١/٢٠٠٠ م.

(٢) قصة الغدير عن أنس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم وهو أخذ بيد علي عليه السلام: أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

انظر: بحار الأنوار ٣٧/١٢٣. وسيأتي تخريج الرواية الصحيحة عند أهل السنة.

الشيعية والسنة لم يأت أى ذكر لقضية غدیر خم، أو لكون علي منصوب من قبل الله ورسوله للإمامة وخلافة الرسول، لا من قبل أصحاب الرسول ﷺ ولا من قبل المتحزبين لعلي، مع أن المدة بين حادثة غدیر خم ووفاة الرسول ﷺ لم تزد عن سبعين يوماً فقط، حيث إن قضية الغدير طبقاً لكل التواريخ وإجماع الشيعة وقعت فى الثامن عشر من ذى الحجة فى السنة العاشرة للهجرة أثناء عودة الرسول ﷺ من حجة الوداع، مع اتفاقهم على أن وفاة الرسول ﷺ وقعت فى الثامن والعشرين من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة»^(١).

الثانى: أن علياً ﷺ لم يستشهد برواية الغدير لا فى حادثة السقيفة، ولا بعدها، وأن استشهاده بهذه القصة إنما كان متأخراً جداً بعد وقوع النزاع مع معاوية.

يقول: «استشهاد علي بواقعة الغدير إنما حدث فى رحبة الكوفة بعد ثلاثين عاماً»^(٢) من قصة السقيفة فى زمن خلافة أمير المؤمنين أثناء نزاعه مع معاوية بهدف إثبات أن الحق معه وليس مع معاوية، لا بهدف إثبات النص الإلهي على خلافته، وبهدف تشجيع المؤمنين على النهوض فى قتال ابن أبى سفيان الذى نصب الحرب لعلي بغير حق، فذكّرهم بواقعة الغدير كدليل وشاهد نبوي قاطع على أنه ﷺ أمر بنصرته وموالاته ومعاداة من عاداه وحاربه، وليس لهذا أى علاقة بموضوع النص على علي بالخلافة من قبل الله تعالى»^(٣).

(١) طريق الاتحاد أو تمحيص روايات النص على الأئمة، حيدر علي قلمداران القمي ١٨.

(٢) التاريخ تقريبي إذ أن وفاة النبي ﷺ كانت فى السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية وكانت وقعة صفين فى شهر صفر من سنة ٣٧هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٥٣. مكتبة المعارف - بيروت.

(٣) طريق الاتحاد ١٧.

وعلى هذا فإن قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(١) لا يدل مطلقاً على نص النبي ﷺ على إمامة علي من بعده، لا تعلق له بالإمارة والخلافة وإنما غاية كما يقول أحمد الكسروي: «أنه أمر بالتوصية بالولاء لعلي (عليه السلام)»^(٢).

ومن الآيات التي يستدل بها الشيعة على الإمامة آية الولاية، وهي قوله تعالى: ﴿إِنهَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٥].

جاء في تفسير التبيان: «واعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين بعد النبي بلا فصل. ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولى والأحق، وثبت أيضاً أن المعنى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أمير المؤمنين. فإذا ثبت هذان الأصلان دل على إمامته»^(٣).

وقد رد أبو الفضل البرقي على هذا الاستدلال بقوله: «يجب أن يقال (الذين آمنوا) يشمل جميع المؤمنين سواء الأئمة أو غير الأئمة، وليس معنى المؤمنين:

(١) أخرجه: الترمذي عن زيد بن أرقم: كتاب «المناقب» باب «مناقب علي» رقم ٣٧١٣. وقال: حديث حسن صحيح. النسائي: كتاب «المناقب» باب «فضائل علي» رقم ٨١٤٥، ابن ماجه: باب «في فضائل أصحاب النبي» باب «فضائل علي» رقم ١٢١، مسند أحمد: ١/٨٤ رقم ٦٤١، وقال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح، ٢/١٤١ رقم (١٣١٠) طبعة دار الحديث، القاهرة، الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، وهو من الأحاديث المتواترة بلفظ «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقط دون زيادة.

انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، الشيخ محمد جعفر الكتاني ١٩٤. دار الكتب السلفية للطباعة والنشر - مصر الطبعة الثانية.

(٢) التشيع والشيعة. أحمد كسروي ١١٣. تحقيق / سلمان بن فهد العودة، وناصر بن عبدالله القفاري. بدون بيانات.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ٥٥٩/٣، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي.

الأئمة، لأن القصد من هذه الولاية هي المحبة، بدليل القرائن السابقة واللاحقة، حيث قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾، لا تتخذوا... الكفار أولياء، فبناءً على هذا، فقصر اللفظ على الأئمة هو تلاعب بالقرآن» (١).

ويخلص حيدر علي قلمداران بعد عرض الأحاديث التي يستدل بها الشيعة على الوصية والنص على الإمام وتمحيص أسانيدھا ومناقشتھا والرد عليها إلى نتيجة مفادھا: أنها جميعا أحاديث موضوعة مكذوبة لم تصدر قطعا عن النبي ﷺ أو آله الكرام (٢).

٣- الإمام علي يدفع الخلافة عن نفسه:

توجد نصوص كثيرة للإمام علي ؓ يؤكد فيها عدم رغبته في الخلافة، أو تطلعه إليها، وهذا يجعلنا نرى أن عليا ؓ لم يكن يعتقد أنها نصا إلهيا وتعيينا سماويا.

يقول موسى الموسوي: «هناك نصوص للإمام علي فيها وضوح وصرحة في رغبته عن الخلافة، وأنه كان يدفعها عن نفسه دفعا، ولكنه كان يعتقد بأنه أحق من غيره بها، ولم يذكر الإمام أن هناك نصا من الله وتشريرا إلهيا ورد في الخلافة» (٣).

فلو كان هناك نصا إلهيا أخبر به المصطفى ﷺ يدل على إمامة علي بعده صراحة دون تأويل وتنازل هو عن الخلافة طواعية لكان مخالفا لأمر الله تعالى.

يقول أيضا: «ثم إن الخلافة لو كانت إلهية ما كان باستطاعة الإمام أن يغض الطرف عنها سواء كانت له أو لغيره فهي حق إلهي، وتشرع سماوي، لا يستطيع أحد

(١) كسر الصنم، أبو الفضل البرقي ١٠٨، قدم له: عمر بن محمود أبو عمر، ترجمه: عبدالرحيم ملا زاده البلوشي، دار الثقافة - قطر، ومكتبة دار القرآن - مصر، الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

(٢) طريق الاتحاد ٧٥.

(٣) الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي ٣٣. طبعة المؤلف. ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

أن يقف ضدها أو يخالفها، فإذا كان رسول الله وهو قائد المسيرة الكبرى، وعليه نزلت التشريعات الإلهية تلقى عتاباً من رب العزة والجلال في تحريم ما أحل على نفسه تنفيذا لرغبات أزواجه ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَحْرَمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَلِّغِي مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ﴾ [سورة التحريم: آية ١] فهل من المتصور أن يترك الإمام نصاً إلهياً وتشريعاً سماوياً ويرضخ لإرادة الناس تقية مهما كانت أسبابها»^(١).

٤- لا يمكن تصور مخالفة الصحابة للنص الإلهي:

«وافق الصحابة في سقيفة بني ساعدة على تولية أبي بكر^(٢)، ولم يعترض معترض، وهذا يدل على صواب ما ذهب إليه المجتمعون لعدم تواطئهم على مخالفة النص الإلهي. ويستبعد موسى الموسوي من الصحابة الذين أثنى عليهم الله عز وجل هذا الثناء العظيم ومدحهم الإمام علي بهذا الوصف الكبير أن يخالفوا النص الإلهي في أمر ورد فيه تشريع من الله وهم حماة التشريعات الإلهية ومنفذوها وقد ضحوا بالغالي والرخيص لأجلها، ولا سيما لو كان لذلك التشريع صلة مباشرة بمصالح المسلمين ومستقبل أمرهم»^(٣).

فهؤلاء الصحابة الكرام لا يمكن أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ، خصوصاً وأنه لا

(١) المتآمرون على المسلمين من معاوية إلى ولاية الفقه. موسى الموسوي ١٤٣ مكتبة مدبولي الطبعة الثانية ١٩٩٦ م.

(٢) لمزيد من الإيضاح حول موقف الصحابة في سقيفة بني ساعدة يراجع: البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢٤٥، مكتبة المعارف - بيروت، تاريخ الطبري ٢/ ٢٣٤، دار الكتب العلمية - بيروت، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ١٨٩، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، أبو بكر بن العربي ٦١، دار الجيل بيروت - لبنان الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٣) الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي ٣٢.

مصلحة لأحد فى ذلك، ولا قوة تدفعهم إلى مجاملة أبى بكر وتنصيبه خليفة مخالفة لأمر رسول الله ﷺ.

يقول حيدر قلمداران القمى: «فأى مؤمن بالله ورسوله، بل أى عاقل وجدانى منصف يمكنه أن يصدق أن مثل أولئك الرجال المؤمنين الأبطال لا يهتمون بعد رسول الله ﷺ بنصوص الله، ولا بتعيينات رسول الله، بل يغصبون حق على القطعي والمعين والمنصوص عليه ويعطونه لأبى بكر لا لأجل شيء أبدا سوى لسواد عيني أبى بكر الذى لم يكن يملك آنذاك أى قوة مادية، أو سلطان قبائلى، أو قوة عشائرية، أو ارتباط أو دعم من دولة أجنبية! ذلك أنه لو فرضنا أنه كان لأبى بكر ﷺ مصلحة فى القضية فلم يكن لصحابة رسول الله ﷺ الكرام من الأنصار والمهاجرين أى فائدة ومصلحة فى الأمر»^(١).

ثم إن الأمر لا يتعلق بعدد محدود من الصحابة سمعوا وصية النبى ﷺ فى قصة الغدير، إنما يتعلق الأمر بعدد الصحابة الذين حضروا مع النبى ﷺ حجة الوداع وهو عدد يربو على المائة ألف.

يقول أيضا: «كيف أمكن لمائة ألف أو يزيدون جمعهم فى مكان واحد أمر على هذه الدرجة من الأهمية كالبيعة -التي لها عند المسلمين والعرب بشكل خاص أهمية لا يضاهيها فى أهميتها شيء- أن يتناسوها أو يجحدوها بعد سبعين يوما فقط لدرجة أن أحدا منهم لا يذكر شيئا عنها طوال عمره؟ إن مثل هذا الاتفاق لم يحدث فى أى ملة من الملل»^(٢).

(١) طريق الاتحاد ٢٢.

(٢) المرجع السابق ١٩.

٥- أهل البيت لا يقولون بالنص:

أهل البيت رضي الله عنهم لم يكن أحد منهم يذكر النص، ولم يثبت عن أحد منهم الاحتجاج به.

يقول حيدر قلمداران: «لم يأت أبداً في أقوال أولئك الذين عرفوا بالتقوى والعلم والفضل من أهل بيت رسول الله ﷺ وأبناء أعمامه وأحفاده وذريته مثل هذا الادعاء بأن علياً عليه السلام قد نصب إماماً على الأمة من قبل الله تعالى ورسوله» (١).

والشواهد التاريخية تدل على أن أهل البيت لم يؤمنوا مطلقاً بنظرية النص على الإمام وتعيين علي رضي الله عنه، أو النص على أولاده من بعده، وأكبر شاهد على ذلك موقف الإمام الحسن رضي الله عنه من الخلافة وتنازله عنها لمعاوية.

يقول أحمد الكاتب: «لو كانت الخلافة بالنص من الله والتعيين من الرسول كما تقول النظرية الإمامية لم يكن يجوز للإمام الحسن أن يتنازل عنها لأي أحد تحت أي ظرف من الظروف، ولم يكن يجوز له بعد ذلك أن يبيع معاوية، أو أن يدعو أصحابه وشيعته لبيعته، ولم يكن يجوز له أن يهمل الإمام الحسين، وإنما كان يجب أن يشير إليه من بعده، ولكن الإمام الحسن لم يفعل أي شيء من ذلك وسلك مسلكاً يوحى بالتزامه بحق المسلمين في انتخاب خليفتهم عبر نظام الشورى» (٢).

ويقول في موضع آخر: «اكتشفت أن نظرية (الإمامة الإلهية) الطافية على سطح التاريخ والفكر السياسي الشيعي ما هي إلا من صنع (المتكلمين) ولا علاقة لها بأهل البيت؛ وذلك لأنها تتعارض مع أقوالهم وسيرتهم وأدركت عندها أن نظرية الإمامة

(١) طريق الاتحاد ٥٨.

(٢) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية، أحمد الكاتب ١٨، الدر العربية للعلوم، بيروت،

المفتعلة والمنسوبة إلى أهل البيت كذبا و زورا، وصلت إلى طريق مسدود بوفاة الإمام الحسن العسكري دون خلف من بعده، وأن بعض أعوانه الانتهازيين ادعوا وجود ولد له في السر وخلافا لقانون الأحوال الشخصية الإسلامي، من أجل إنقاذ نظريتهم الباطلة من الأساس. وهكذا أسسوا الفرقة (الاثنا عشرية) في غيبة من وجود أحد من أئمة أهل البيت^(١).

٦- مناقشة استدلالات الشيعة على النص على الأئمة:

يستدل الشيعة بعدد من الروايات على النص على الأئمة وتعيينهم ومعرفة أسمائهم، ومن هذه الروايات:

ما رواه الكليني في الكافي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر آخرهم القائم عليه السلام، ثلاثة منهم محمد، وثلاثة منهم علي»^(٢).

وعن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: إني واثنى عشر من ولدي وأنت يا علي زر الأرض يعني أوتادها وجبالها، بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا^(٣).

وعن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: من ولدي اثنا عشر نقيبا، نجباء، محدثون، مفهمون، آخرهم القائم بالحق يملأها عدلا كما ملئت جورا^(٤).

وقد رد الإصلاحيون على هذه النصوص من أوجه كثيرة منها:

(١) «سيرتي الفكرية والسياسية من نظرية الإمامة إلى الشورى» <http://alkatib.co.uk/seerati.htm>

(٢) الكافي، باب: (ما جاء في الاثنى عشر والنص عليهم، عليهم السلام) ١/ ٥٣٢.

(٣) الكافي ١/ ٥٣٤، الباب نفسه.

(٤) السابق نفس الجزء والصفحة.

أن الشيعة كثيرا ما كانوا يختلفون في تعيين الإمام، وكثيرا ما وقعوا في حيرة واضطراب بسبب عدم تعيين الإمام خليفة له وعدم النص عليه، وهذا ما يؤدي عدم وجود فكرة النص والتعيين والوصية في ذلك الوقت.

يقول القاضي^(١): «هناك روايات كثيرة تشير إلى عدم معرفة الأئمة أنفسهم بإمامتهم، أو إمامة اللاحق من بعدهم إلا قرب وفاتهم فضلا عن الشيعة أنفسهم الذين كانوا يقعون في حيرة واختلاف بعد كل إمام، وكانوا يتوسلون لكل إمام أن يعين اللاحق بعده ويسميه بوضوح لكيلا يموتوا وهم لا يعرفون الإمام الجديد، وأنهم كثيرا ما كانوا يقعون في الحيرة»^(٢).

ونتيجة لهذه الحيرة والاختلاف انقسم الشيعة إلى فرق كثيرة ونحل متعددة نتيجة لاختلافهم في تحديد الإمام واجب الطاعة المنصوص عليه من قبل سابقه، وهذا يدحض تماما فكرة النص، نظرا لادعاء كل طائفة النص على الإمام الذي تتبعه دون غيره.

يقول حيدر القمي: «لو كان لتلك الأحاديث النبوية المدعاة التي فيها النص بتلك الصراحة والوضوح على أسماء الأئمة الاثنى عشر حقيقة وواقع فهل كان من الممكن أن تنشأ كل تلك الفرق المتعددة والنحل المختلفة في أوساط الشيعة أنفسهم وبين محبي أهل البيت، بل فيما بين أتباع الأئمة المخلصين وتلاميذهم الأوفياء أنفسهم؟ إن وجود كل هذه الفرق والاختلافات حول من هو الإمام لأكبر دليل على

(١) أبو خليفة علي بن محمد القاضي. معاصر من البحرين كان شيعيا، وترك مذهب الشيعة وأعلن تسننه وأخرج كتاب: ربحت الصحابة ولم أخسر آل البيت.

(٢) ربحت الصحابة ولم أخسر آل البيت، أبو خليفة علي بن محمد القاضي ٣٧. طبعة المؤلف، الطبعة

أنه لم يكن هناك شيء اسمه أئمة منصوص عليهم ومعينين من قبل الله تعالى ورسوله، وأن الفكرة مختلقة من أساسها»^(١).

ولذلك فإن أبا الفضل البرقي انتهى بعد دراسة أحاديث الباب كلها عند الكليني إلى قوله: «نحن نثبت في هذا الباب أن أخبار الكليني جميعها لا اعتبار لها، ولا يمكن أن نترك ما ورد في القرآن بسببها»^(٢).

إضافة إلى ذلك فإن بعض المرويات الشيعية تصرح بجهل الشيعة بالإمام وترسم لهم الموقف في ذلك الظرف، وهو ما لا يمكن تصوره في عقيدة الإمامة النصية التي يفترض فيها أن يؤمن الشيعي باثني عشر إماما يعرف أسماءهم وأسماء آبائهم.

٧- الإمامة لم تكن محددة باثني عشر إماما:

عندما بدأت فكرة النص على الإمام عند الشيعة الاثني عشرية كان النص خاصا بالإمام علي فقط، ولم تكن هناك نصوص تحدد أسماء الأئمة من بعده.

يقول أحمد الكاتب: «كانت النظرية تقول بأن النص قد حدث على الإمام علي فقط، وأن النص على الأئمة الآخرين يتم دائما من قبل الأول للثاني، وهكذا إلى يوم القيامة، ولم تكن تعرف وجود قائمة مسبقة بأسماء الأئمة الاثني عشر، وكانت النظرية الإمامية أيضا تعترف بعدم وجود النص الصريح من بعض الأئمة على بعض»^(٣).

(١) طريق الاتحاد ٩٢.

(٢) كسر الصنم ٣٢٥.

(٣) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، أحمد الكاتب ١٥٢. الدار العربية للعلوم

ولذلك بعد وفاة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري واختفاء ولده من بعده اعتقدت الشيعة الإمامية أن الإمامة ستستمر في أعقابه من بعده، ولم يظهر في عقائد الشيعة وقتذاك أي حديث حول انحصار الإمامة وبقائها في الإمام الغائب المخفي، ووقوفها عند حد الاثنى عشر فقط.

يقول أحمد الكاتب: «عند وفاة الإمام الحسن العسكري في سنة ٢٦٠ للهجرة دون أن يخلف ولدا تستمر الإمامة فيه، ودون أن يشير أو يوصي إلى أحد من بعده، فقد اعتقد الذين آمنوا بوجود ولد مخفي له في البداية أن الإمامة ستستمر في ذرية ذلك الولد المخفي إلى يوم القيامة، ولم يعتقدوا في ذلك الحين أنه الإمام الأخير، وأن الأئمة اثنا عشر فقط، وتوجد في التراث الشيعي العشرات؛ بل المئات من الروايات التي تؤكد على استمرار الإمامة إلى يوم القيامة، مما يؤكد أن النظرية الإمامية لم تكن محددة في عدد معين خلال القرنين الثاني والثالث» (١).

وبناء على ذلك فإن وجود قائمة بأسماء الأئمة الاثنى عشر أمر لم يكن معلوما عند الشيعة وقت اختفاء الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، وأن الاعتقاد السائد في ذلك الوقت كان استمرار الإمامة في أعقاب الإمام علي إلى يوم القيامة، حتى بدأ ظهور نظرية تحديد الأئمة باثني عشر فقط في القرن الرابع الهجري.

ويقول أحمد الكاتب: «إذا كانت روايات القائمة المسبقة بأسماء الأئمة الاثنى عشر صحيحة وموجودة من قبل فلماذا لم يعرفها الشيعة الإمامية الذين اختلفوا واحتاروا بعد وفاة الإمام الحسن العسكري، ولم يشير إليها المحدثون أو المؤرخون الإمامية في القرن الثالث الهجري؟ إن نظرية الاثنى عشرية لم تكن مستقرة في العقل الإمامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري، حتى إن الشيخ محمد بن علي الصدوق

(١) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية ٣٦.

أبدى شكه بتحديد الأئمة فى اثنى عشر إماما فقط» (١).

بهذا العرض يتضح أن رموز التيار الإصلاحى نقدوا نظرية الإمامة فى الفكر الشيعى بكل جوانبها، واستدلوا على نقضها بالأدلة النقلية من جانبين:
الأول: عدم ذكرها فى كتاب الله تعالى، والثانى: الحث على الشورى وجعل الأمر بالاختيار بين المسلمين.

والأدلة التاريخية: من فعل الصحابة رضوان الله عليهم الذين لا يمكن لهم أن يقرؤا باطلا رأوه، ثم من واقع فعل الأئمة رضوان الله عليهم، حيث لم يؤثر عن أى منهم استدلاله على أحقيته للخلافة بالنص عليها من الله تعالى؛ بل الوارد أن كلا منهم كان يدفع الإمامة عن نفسه.

ثم الاستدلال بوقائع الشيعة التاريخية من ناحية اختلافهم فى تعيين الأئمة فى أوقات كثيرة، وعدم علمهم بتحديد اثنى عشر إماما.

وهذا يفضى إلى القول بأن نظرية الإمامة والنص عليها عند الشيعة لا أساس لها من الشرع؛ بل دل الشرع على ما يناقضها.



الفصل الثاني

عصمة الأئمة وولايتهم التكوينية

أولاً: عصمة الأئمة:

يعتقد جمهور الشيعة الاثني عشرية أن الأئمة معصومون عن ارتكاب المعصية الصغيرة والكبيرة في حياتهم ولو سهواً أو خطأً أو نسياناً، وأنهم في ذلك كالأنبياء صلوات الله عليهم، وغالياً بعضهم ففضلهم على الأنبياء*).

وقد تصدى الإصلاحيون لهذا المذهب، وذهبوا إلى أنه يتنافى مع ما نُقِلَ عن الأئمة رضوان الله عليهم من نفي العصمة مطلقاً، والتصريح بأنهم بشر يجري عليهم ما يجري على البشر من خطأ أو سهو أو نسيان.

يقول أحمد الكاتب: «كان الإمام علي عليه السلام ينظر إلى نفسه كإنسان عادي غير معصوم، ويطالب الشيعة والمسلمين أن ينظروا إليه كذلك، ويحتفظ لنا التاريخ برائعة من روائعه التي ينقلها الكليني في «الكافي» والتي يقول فيها: (إني لست بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني)»^(١).

«وامتداداً لمنهج الإمام علي عليه السلام كان بقية الأئمة من أهل البيت يرفضون العصمة أشد الرفض ويصرحون أمام الجماهير بأنهم أناس عاديون، قد يخطئون وقد يصيبون، وأنهم ليسوا بمعصومين من الذنوب ويطالبون الناس بنقدهم وإرشادهم، واتخاذ موقف المعارضة منهم لو صدر منهم أي خطأ، أو أمروا بمنكر لا سمح الله»^(٢).

(*) لبيان مفهوم عصمة الأئمة عند الشيعة انظر: التمهيد: عصمة الأئمة.

(١) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه. ٥٩، وكلام الإمام علي في: الروضة من الكافي ٣٥٦/٨.

(٢) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية ٢٨.

ويروى أحمد الكاتب عن الإمام الصادق قوله: «والله ما نحن إلا عبيد ما نقدر على ضر ولا نفع، إن رحمتنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون ومسئولون، أشهدكم أنى امرؤ ولدني رسول الله وما معي براءة من الله، إن أطعت رحماني، وإن عصيته عذبني عذابا شديدا»^(١).

وفضلا عن رفض أئمة أهل البيت لنظرية العصمة، فإن الوقائع التاريخية تثبت أن بعض أفعال الأئمة تنقض هذه الفكرة تماما.

يقول حيدر قلمداران: «تؤكد التواريخ المعتمدة أنه كان أحيانا لبعض الأئمة الاثنى عشر الذين ترى الإمامية عصمتهم المطلقة وجهات نظر ومواقف وأعمال متخالفة، مثل مصالحة الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية، ومحاربة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد، مما أوقع العلماء في تخبطات حين حاولوا التوفيق بين هذه المواقف المختلفة، وتمسك بعضهم بروايات واهية تقول بأنه كان لكل إمام صحيفة خاصة من الله تعالى يعمل بها، ومعنى ذلك أنه كانت لكل منهم واجبات وكتاب وسنة خاصة بهم غير القرآن الكريم والسنة النبوية التي يعرفها سائر المسلمين، وهذا لعمرى أصل خطير جدا يؤدي القول به إلى لزوم قبول كل ما ينسب لإمام من الأئمة من أعمال وأقوال ولو كانت مخالفة لظواهر القرآن الكريم والأمر بطاعته»^(٢).

وإذا كان الإمام علي وأهل البيت جميعا يرفضون نظرية العصمة، والوقائع التاريخية تؤيد هذا الرفض، فإن التاريخ يذهب إلى أن نظرية العصمة وافدة على الفكر الإسلامي من الفلسفات والأفكار الواردة والمترجمة في الفترة التي شهدت

(١) المرجع السابق. نفس الجزء والصفحة، وكلام الإمام الصادق في بحار الأنوار ٢٥/٢٨٩.

(٢) طريق الاتحاد ٥٠.

ازدهار الترجمة.

«يرى أحمد الكاتب أن نظرية العصمة تم اختلاقها من قبل بعض متكلمي الشيعة، مثل: هشام بن الحكم^(١)، وهشام بن سالم الجواليقي^(٢)، ومؤمن الطاق^(٣)، ليبرروا بها الأحاديث التي كانوا يضعونها على لسان الأئمة خلافا لمدرسة أهل البيت التي لم يرد عنها نص صحيح في مسألة العصمة»^(٤).

والحقيقة أن قولهم بعصمة الأئمة لا يضيف لفضائل الأئمة، بل إنها في الواقع تنقص من رصيدهم.

يقول موسى الموسوي: «العصمة في حقيقة حالها إنما هي تنقيص من حق الإمام لا مدح فيه، لأن تفسير العصمة بالمفهوم الشيعي تعني أن الأئمة منذ ولادتهم وحتى وفاتهم لم يرتكبوا معصية بإرادة الله، وهذا يعني فقدانهم الإرادة في تفضيل الخير على الشر، ولست أدري أي فضيلة تكتب للمرء عند الله إذا لم يستطع القيام بعمل الشر بسبب إرادة خارجة عن ذاته، نعم إذا كانت العصمة تعني أن الأئمة مع المقدره على

(١) هشام بن الحكم أبو محمد الشيباني، من أهل الكوفة وسكن بغداد، من كبار غلاة الشيعة، قالوا: هو أول من أحدث الكلام في الإمامة. لسان الميزان ٦/ ١٩٤، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٣.

(٢) هشام بن سالم رأس الفرقة الهشامية من الشيعة، كان مفرطا في التشبيه والتجسيم فكان يزعم أن معبوده جسم لكنه ليس بلحم ولا دم، وهو موثق عند الشيعة. الوافي بالوفيات ٢٦/ ٦٤، الأنساب للسمعاني ٥/ ٦٤٣، الفرق بين الفرق ٥١.

(٣) محمد بن النعمان أبي جعفر الأحوال لقبه أبو حنيفة: بشيطان الطاق، رأس طائفة تسمى الشيطانية، وتسمى النعمانية، والشيعة تسميه: مؤمن الطاق، من غلاة الشيعة. الملل والنحل ١/ ١٧٢، لسان الميزان ٥/ ٣٠٠، تاريخ الإسلام ١١/ ١٣٢، الأعلام ٦/ ٢٧١.

(٤) انظر: رسالة أحمد الكاتب إلى مرتضى القزويني بتاريخ ٢ من رمضان ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م على موقعه

الإتيان بالمعاصى لن يأتوا بها لعلو فى نفوسهم، وملكة قوية فى أخلاقهم، وحاجز يحجزهم عن معصية الله فهذا كلام معقول يتلاءم مع المنطق والعقل، ولكن فى هذه الحالة لا نستطيع القول إن هذه النفسية تخص أشخاصا معدودين، وأنها خاصة لأنتمنا فقط، بل إنها صفة يستطيع كل إنسان أن يتصف بها إذا التزم حدود الله وأطاع أوامره وانتهى عن نواهيه»^(١).

وزيادة على كون العصمة - بهذا المعنى - تسيء للأئمة، فإن الإساءة الأكبر الناتجة عن القول بها هي فى تعذر اقتداء المؤمنين بالأئمة والتأسي بهم بسبب العصمة. وقد ذهب إلى ذلك بعضهم.

يقول على شريعتي: «إن الإمام - فى التشيع الصفوي - يتمتع بنوع من العصمة الذاتية الفارقة لأي قيمة لا إنسانية، لأن الإمام المعصوم عاجز عن ارتكاب الذنب، ولا قيمة عملية وتربوية لأن الناس لن يكونوا قادرين على التأسي والاقتداء بشخص يختلف عنهم ذاتيا»^(٢).

والذي دعا الشيعة الاثنا عشرية إلى القول بعصمة الأئمة هو محاولة إضفاء قداسة على أقوال الأئمة، أو بالأحرى على الأقوال المنسوبة إلى الأئمة؛ لسد باب النقاش حولها.

يقول موسى الموسوي: «إن العصمة التي نسبت إلى الأئمة كان الغرض منها تثبيت تلك الروايات الكاذبة التي تتنافى مع العقل والمنطق، والتي نسبت إلى الإمام، كي يُسد باب النقاش فى محتواها على العقلاء والأذكياء، ويرغم الناس على قبولها

(١) الشيعة والتصحيح ٨٢.

(٢) التشيع العلوي والتشيع الصفوي، على شريعتي ٢٥١. ترجمة الأستاذ / حيدر مجيد، تقديم

د/ إبراهيم الدسوقي شتا. طبعة دار الأمير للثقافة والعلوم. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠م.

لأنها صدرت من معصوم لا يخطئ»^(١).

ومما يدحض هذا التعلل أن طاعة أولي الأمر ليست مطلقة، وإنما مقيدة بشروط، فهي ليست طاعة تامة لا تقبل الجدل أو النقاش.

يقول أحمد الكاتب: «وإذا انتفى الإطلاق وثبت النسبية في الطاعة لولي الأمر، لا تبقى حاجة إلى اشتراط العصمة في الإمام، ويمكن للمسلمين انتخاب قائد لهم على أساس العدالة الظاهرية والتقوى والكفاءة ليطبق لهم الدين، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر»^(٢).

وقد أجاب أبو الفضل البرقي على احتجاج الشيعة الاثنا عشرية على اشتراط العصمة في الأئمة بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] بأن خطاب الله لأهل بيت الرسول ﷺ يدل أصلاً على عدم عصمتهم في جملة ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ ويثبت عدم عصمة أهل البيت... وإذا قلنا بالعصمة في آية ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فلا بد لنا أن نقول بعصمة جميع المؤمنين بدليل ما جاء في سورة المائدة، حيث ورد فيها: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [سورة المائدة: آية ٦] فيصبح المؤمنون كلهم معصومين»^(٣).

وبناء على ذلك فإن قولهم بعصمة الأئمة مرفوض من قبل الأئمة في أقوالهم وأفعالهم وإعلانهم رفضهم لها، وتكذبها الوقائع التاريخية الخاصة بأئمة أهل البيت، فضلاً عن أنها لا تعد عنصر امتياز للأئمة بل تعد خصماً من رصيدهم، مما يقوي القول بأنها مختلفة من قبل بعض العناصر الشيعية الغالية.

(١) الشيعة والتصحيح ٨١ - ٨٢.

(٢) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية ٢٧.

(٣) كسر الصنم ٢٢٥ - ٢٢٦.

ثانياً: الولاية التكوينية (١):

القول بالولاية التكوينية، وتفويض الله للأئمة بالتصرف في الكون وعلم الغيب مما يخالف العقل والشرع، لذلك نجد الرد عليه وافرا في الاتجاه التصحيحي للفكر الشيعي.

فإن الشيعة الأوائل أنفسهم يتبرءون ممن يقول بالولاية التكوينية، ويعتبرونه من الغلاة كما يرى أحمد الكاتب (٢).

والسيد محمد حسين فضل الله ينكر مسألة الولاية التكوينية تماما قائلاً: «ليس لأحد من الخلق أية ولاية تكوينية؛ لأن الله تعالى هو ولي الكون ومدبره، قد يمنح

(١) المقصود بالولاية التكوينية: «إقدار الله سبحانه وتعالى للأنبيا والأوصياء على التصرف في أمور كونية وغيرها خارقة للعادة وخارجة عن قدرة البشر» انظر: معتقدات الشيعة، السيد علي مكي ٢١٩. المؤسسة الدولية. بيروت ٢٠٠٣م.

وعرفها بعضهم بأنها: «قدرة المعصوم على التصرف في الأمور الكونية إيجاداً وإعداء على خلاف القوانين الطبيعية بتفويض من الله سبحانه في وقت التحدي وفي غيره من الأوقات» انظر: الولاية التكوينية بين القرآن والبرهان. السيد ضياء الدين عدنان الخباز. ٦٣.

ويلحق بها ما يدعيه بعض الشيعة من علم الأئمة بالغيب، وأن بيدهم مفاتيح الأمور، وأن منزلتهم قد تتعدى منزلة الأنبياء.. إلى غير ذلك من الغلو والخرافات، ويمثل هذه الآراء قول الخميني: «إن للإمام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنوارا فجعلهم الله بعرشه محققين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله».

انظر: الحكومة الإسلامية ص ٥٢

(٢) مقال «القول بالولاية التكوينية تفويض وغلو وشرك» لأحمد الكاتب

بعض أنبيائه وأوليائه بعض القدرات في حالة الحاجة إلى المعجزة بشكل محدود، من دون أن تكون لهم القدرة الذاتية؛ لأن الله تعالى لم يجعل لهم ذلك»^(١).

ويرد أبو الفضل البرقي على أدلة الشيعة التي تؤيد القول بالولاية التكوينية، ومنها قول الله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ [سورة النمل: آية ٤٠].

يقول: «الذي تدعيه الغلاة من هذه الآية على الولاية التكوينية المطلقة لكل إمام لا يصح بوجه من الوجوه؛ لأننا لو قلنا بذلك جدلاً كان ذلك بدعاء أو بفعل آصف، مع أن آصف لم يكن له ولاية تكوينية لا على العالم ولا على بعضه»^(٢).

ثم إنه ليست هناك فائدة من هذه الولاية في حالة عدم استخدامها، مما يعطلها عن الحكمة منها، كما يقول السيد محمد حسين فضل الله: «ما معنى هذه الولاية التي لا أثر لها في حياتهم من قريب أو من بعيد، ولا دخل لها في حماية رسالتهم فلم يستعملوها في إذهاب الخطر عنهم، ولم يتحركوا بها في الانتصار لرسالاتهم، وذلك من خلال قراءة تاريخهم الصحيح كله»^(٣).

ويفصل هذا المعنى أبو الفضل البرقي قائلاً: «زعموا أن الإمام يعلم جميع ما تعلمه الملائكة والأنبياء والرسول دون أن يسألهم أحد عن فائدة هذه العلوم؟ وإذا كان الإمام عارفاً بكل هذه العلوم فلماذا لم يسخر الجن والإنس ليقوم حكومة عادلة؟

(١) مسائل عقديّة من نشرة فكر وثقافة. العدد ٥٣٢. موقع بينات - الموقع الرسمي للسيد محمد حسين

فضل الله. http://arabic.bayynat.org.ib/books/nadwas/fikrq2_532.htm

وانظر أيضاً: حوار صحيفة عكاظ السعودية مع السيد محمد حسين فضل الله بتاريخ ٦/٣/٢٠٠٨. العدد ٢٤٥٤.

(٢) كسر الصنم ١١٨.

(٣) تفسير من وحي القرآن. سورة المائدة آية [٤٨، ٤٩].

وإذا كان يعرف منطق الطير فإن عليه أن يكشف علوما مفيدة، وإذا كان يعرف فوائد الأشجار فإن عليه أن يبين خواصها، وإذا كان يعرف الجراثيم فإن عليه أن يكشف الأمراض كباستور وأمثاله، وإذا كان يعرف الكهرباء فلماذا لم يسخرها؟ وإذا كان يعرف الطباعة فلماذا لم يصنع مطبعة لينشر حقائق الإسلام لتزول كل هذه الخرافات والفرق المتمثلة بالإسلام؟... لماذا لم يفعل كل ذلك؟! وإذا كان يعرف كل هذه العلوم ولم يبينها فلا بد أنه كان بخيلا، وكان يضمن بها على الأمة!! إن المرء ليحار فى أمر هؤلاء الجهال الذين انحصر همهم فى الغلو بحق الإمام والمغالاة بأوصافه^(١).

وبهذا يتضح أن القول بالولاية التكوينية مخالف للنصوص الشرعية، فضلا عن كونه مخالفا للوقائع التاريخية التي تثبت أن الأئمة رضوان عليهم لم يستفيدوا من هذه الولاية المزعومة مطلقا.



الفصل الثالث

المهدي والغيبة والرجعة

تتلخص عقيدة الشيعة الاثني عشرية في المهدي وغيبته ورجعته في آخر الزمان في أنهم يعتقدون أن الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري «المهدي» غاب عن الأنظار في الغيبة الكبرى عام ٣٢٩هـ بعد دخوله السرداب، ويعتقدون أنه سيرجع في آخر الزمان ليملاً الأرض عدلاً، ويعتقد بعضهم أن بعض الأموات سوف يرجع للدنيا مرة أخرى لينتصف للمظلومين من الظالمين.

وقد آثرت أن تكون هذه الموضوعات في مبحث واحد لشدة الترابط بينها.

وقد قام الإصلاحيون الشيعة بنقد هذه العقيدة بكل أركانها، من ذلك:

١- الأدلة التي تثبت ولادة المهدي «محمد بن الحسن العسكري» ومناقشتها:

يستدل الشيعة الاثنا عشرية على وجود الإمام المهدي وغيبته بأدلة نقلية، وروايات تاريخية، وأدلة عقلية على النحو التالي:

١- **الدليل العقلي:** وهو يقوم على عدة مقدمات تؤدي إلى القول بضرورة وجود الإمام وهي: ضرورة وجود الإمام في الأرض وعدم جواز خلوها منه، وضرورة عصمته، ووجوب حصر الإمامة في ذرية الحسين بن علي، وعدم جواز انتقال الإمامة إلى أخوين بعد الحسن والحسين.

يقول العلامة المجلسي: «إن العقل يحكم بأن اللطف على الله واجب وأن وجود الإمام لطف وأنه لا بد أن يكون معصوماً وأن العصمة لا تعلم إلا من جهته وأن الإجماع واقع على عدم عصمة غير صاحب الزمان فيثبت وجوده عليه السلام» (١).

(١) بحار الأنوار ٥١ / ٢١٤، ٢١٥.

ويعتبر الدليل العقلي أقوى الأدلة عند الشيعة.

يقول الشيخ المفيد: «إن هذا أصل لن يحتاج معه إلى رواية النصوص لقيامه بنفسه في قضية العقول»^(١).

٢- الأدلة الثقلية: وهي آيات قرآنية أخرجوها عن معانيها اللغوية والشرعية وحملوها على ما يريدون إثباته، وأحاديث نسبوها إلى أئمتهم، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: آية ٥٣] روى الكليني: ذاك قيام القائم^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: آية ٨١]، أي: إذا قام القائم ذهب دولة الباطل^(٣).

قوله تعالى: ﴿يُظهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: آية ٣٣] قال الشيخ الصدوق: المقصود المهدي من ولد فاطمة^(٤).

ومن الأحاديث:

عن علي بن الحسين: «للقائم منا غيبتان إحداهما أطول من الأخرى، أما الأولى فستة أيام وستة أشهر وست سنين، وأما الأخرى فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا

(١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ٢/ ٣٤٢، ٣٤٣، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

(٢) الروضة من الكافي ٨/ ١٦٦.

(٣) الروضة من الكافي ٨/ ٢٨٧.

(٤) إكمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق ٦٧٠. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة

المدرسين، قم، ١٤٠٥هـ.

الأمر أكثر من يقول به فلا يثبت عليه إلا من قوي يقينه وصحت معرفته»^(١).

وقد اعتبر الشيخ الصدوق أن نقل الشيعة للروايات التي تتحدث عن الغيبة قبل وقوعها دليل على صحتها وأنهم حفظوها من أئمتهم^(٢).

٣- الدليل التاريخي: وهو الذي يذكر تفاصيل ولادة محمد بن الحسن العسكري والأحداث التي أحاطت بها، وتاريخ مولده ومن لقيه في حياة أبيه وبعد وفاته، وقد أورد الشيعة عددا من الروايات في هذا الأمر، وهي روايات تذكر تفاصيل كثيرة، من هذه الروايات:

ما رواه المجلسي عن حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قالت: «بعث إلي أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام فقال: يا عمّة اجعلي إفطارك الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان فان الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في أرضه. قالت: فقلت له: ومن أمه؟ قال لي: نرجس. قلت له: والله جعلني الله فداك ما بها أثر؟ فقال: هو ما أقول لك. قالت: فجنّت فلما سلمت وجلست جاءت تنزع خفي وقالت لي: يا سيدتي كيف أمسيّت؟ فقلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي. قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمه؟ قالت: فقلت لها: يا بنية إن الله تبارك وتعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاما سيديا في الدنيا والآخرة قالت: فجلست واستحيت فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة وأفطرت وأخذت مضجعي فرقدت، فلما أن كان جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث، ثم

(١) بحار الأنوار ٥١/١٣٤.

(٢) انظر: إكمال الدين ١٩.

جلست معقبة، ثم اضطجعت، ثم انتبهت فزعة وهي راقدة، ثم قامت فصلت.
 قالت حكيمة: فدخلتني الشكوك فصاح بي أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال: لا تعجلي يا عمّة فإن الامر قد قرب. قالت: فقرأت الم السجدة ويس فبينما أنا كذلك إذا انتبهت فزعة فوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: تحسين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمّة، فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك.
 قالت حكيمة: ثم أخذتني فترة وأخذتها فطرة فانتبهت بحس سيدي عليه السلام فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به عليه السلام ساجدا يتلقى الأرض بمساجده فضمامته إلي فإذا أنا به نظيف منظم فصاح بي أبو محمد عليه السلام هلمي إلي ابني يا عمّة، فجئت به إليه فوضع يديه تحت أليته وظهره ووضع قدميه على صدره ثم أدلى لسانه في فيه وأمر يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثم قال: تكلم يا بني فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله ثم صلى على أمير المؤمنين عليه السلام وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم. قال أبو محمد عليه السلام: يا عمّة اذهبي به إلى أمه ليسلم عليها وائتني به فذهبت به فسلم عليها ورددته ووضعته في المجلس» (١).

وقد ناقش الإصلاحيون هذه الأدلة ونظائرها، وحكموا بأنها ضعيفة لا تقوى على إثبات وجود المهدي، بالإضافة إلى أن كل دليل من هذه الأدلة «النقلية والتاريخية والعقلية» لا تصمد أمام البحث العلمي الجاد، ولا يمكن أن تثبت بها قضية هامة مثل إثبات وجود المهدي وغيبته ثم رجعته في آخر الزمان، وأن كل هذه الأدلة عليها من الإشكالات ما يفندوها.

(١) بحار الأنوار ٢/٥١ وما بعدها، وانظر: الغيبة للطوسي ٢٣٠ وما بعدها، إكمال الدين ٤٢٤ وما

أما الروايات التاريخية فقد كانوا يوردونها من باب «الغريق يتشبث بكل قشة»، وإلا فإنهم أعرف الناس بضعفها وهزالها، ولو كانت فرقة أخرى تستشهد بروايات كهذه على وجود أئمة لها، أو أشخاص من البشر لسخروا منها، واستهزءوا بعقولها، واتهموها بمخالفة المنطق والعقل الظاهر».

يقول أحمد الكاتب: «أما الدليل النقلي القائل بضرورة وجود الإمام في كل عصر، وعدم جواز خلو الأرض من حجة، فهو دليل ينقض نفسه بنفسه، إذ ما معنى الإمام والحجة؟ وما الفائدة منهما؟ أليس لهداية الناس وإدارة المجتمع وتنفيذ الأحكام الشرعية؟ فكيف يمكن للإمام الغائب على فرض وجوده أن يقوم بكل ذلك؟ وإذا كان الإمام الغائب يقوم بمهمة الإمامة والحجبة فلماذا شعر الفقهاء بالحاجة إلى الإمام والحجة في عصر الغيبة؟»^(١).

ويتنقد موسى الموسوي الروايات الواردة في مسألة الغيبة بكونها أخبار آحاد لا يمكن أن تقوم مقام القطعيات، فيذكر الرواية التي تتحدث عن غيبة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري الغيبة الكبرى، ويستنكر التعلق بها وهي خبر آحاد.

يقول: «يتفق علماء الشيعة اتفاقاً تاماً على أن كل نائب^(٢) كان يسمى النائب الذي يتولى شؤون النيابة الخاصة بعد وفاته، وكان آخر النواب هو علي بن محمد السيمري^(٣) الذي لم تطل مدته في السفارة أكثر من ثلاث سنوات، ومن هنا تبدأ تلك

(١) تطور الفكر السياسي من الشورى إلى ولاية الفقيه ٢٥٨.

(٢) المقصود نواب الإمام الثاني عشر المهدي محمد بن الحسن العسكري بعد غيبته في السرداب الذين كانوا يخرجون أوامره وتوقيعاته إلى الشيعة.

(٣) علي بن محمد السَّمري أو السيمري، وكنيته: أبو الحسن كان من أصحاب الإمام أبي محمد الحسن ابن علي العسكري، ثم تولى السفارة - النيابة عن الإمام الغائب - من ٣٢٦ إلى ٣٢٩، يزعمون أنه قبل ستة أيام من موته خرج توقيع من الإمام المهدي على يده بانقطاع الغيبة الصغرى، وبداية الغيبة

المعضلة التي لا يريد أحد من فقهاءنا أن يعترف ويذعن لها، وهي أن السيمري قبل وفاته بستة أيام أخرج للناس كتابا - يعني من المهدي - جاء فيه ما يلي: «فقد وقعت غيبي التامة، فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله تعالى، وذلك بعد طول المدة وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جورا، وسيأتي من شيعة من يدعي المشاهدة، فمن ادعاها فهو كذاب مُغتر، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»... ولأول مرة نرى أن الخبر الواحد الذي لا يمكن أن يكون حجة يستند عليها يُعامل معاملة الخبر المتواتر أو مكان الإجماع أو الضروريات التي لا يمكن أن يشك الإنسان فيها»^(١).

وحجج الشيعة لتبرير الغيبة ما زالت قابلة للنقض ولا حجة فيها، مما يدفع بدوره إلى نقض القول بولادته، وأبرز حججهم في ذلك نظرية الخوف، ويستدلون على هذه النظرية بعدد من الروايات، منها:

عن زرارة قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم، قال: قلت ولم؟ قال: يخاف»^(٢).

يقول الشيخ الطوسي: «مما يقطع على أن سبب غيبة الإمام هو خوفه على نفسه بالقتل بإخافة الظالمين إياه، ومنعهم إياه من التصرف فيما جعل إليه التدبير والتصرف فيه فإذا حيل بينه وبين مراده، سقط فرض القيام بالإمامة، وإذا خاف على نفسه وجبت غيبته، ولزم استتاره»^(٣).

الكبرى. نوابغ الرواة في رابعة المئات. الشيخ آقا بزرك الطهراني ٢٠٠ تحقيق: علي تقي منروي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٩٧١.

(١) المتأمرين على المسلمين الشيعة من معاوية إلى ولاة الفقه ١٠٥-١٠٦.

(٢) الكافي ١/٣٣٧.

(٣) الغيبة للطوسي ٩٠ وما بعدها.

وقد رد رموز الإصلاح على هذه النظرية وفندوها.

يقول أحمد الكاتب: «بعد مضي أكثر من ألف عام على القول بنظرية (الخوف) في تبرير الغيبة، وبعد سقوط عشرات الدول وقيام أضعافها، فإن تلك النظرية تبدو بعيدة جدا عن الواقع، وعارية عن أية مصداقية، ولا تشكل سوى فرضية وهمية لتبرير فرضية وجود الإمام محمد بن الحسن العسكري، وتناقض غيبته مع مسئولية الإمام الملقاة على كاهله من الله، وهذا ما يثبت عدم صحة فرضية ولادة ووجود الإمام الحجة ابن الحسن، وإلا فلو كان حقا موجودا لكان يجب عليه الظهور والقيام عند أول فرصة تسمح له بذلك، وعدم جواز إبقاء الأمة مهملة بدون قيادة شرعية» (١).

ويرى الإصلاحيون أن الروايات التي يوردها الشيعة في مسألة ولادة الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري كلها مردودة سندا ومتنا بالإضافة إلى تناقضها.

يقول أحمد الكاتب: «الضعف الكبير في سند كل رواية يسقطها جميعا عن الحجية والوثوق، وإذا ما جمعنا الضعف في السند إلى الضعف في المتن، وإلى تناقض الروايات مع نفسها وتناقضها مع الرواية الظاهرية فإنها تصبح مجرد إشاعات وهمية أسطورية لا تثبت مولد إنسان عادي، فكيف يمكن أن نعتمد عليها في إثبات مولد إمام من الأئمة، وبناء عقيدة دينية على أساس ذلك» (٢).

بالإضافة إلى أنها جاءت متناقضة ومختلفة في أدق التفاصيل، وتعتبر كل واحدة منها عن أفكار واضعها النفسية الخاصة، كما جاءت محفوفة بالمعاجز والأمور الخارقة للعادة، ومنطوية على دعوى علم الأئمة بالغيب، وهذه دعوى تناقض القرآن

(١) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية ١٧٦.

(٢) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه ٢٧٨ - ٢٧٩.

الكريم الذي يصرح: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة النمل: آية ٦٥] (١).

٢- تشكك الشيعة القدامى في ولادة محمد بن الحسن العسكري:

لما طالت غيبة محمد بن الحسن العسكري، وقع الشيعة في حيرة، واضطربوا في أمر غيبته، ينقل أحمد الكاتب حالة الحيرة هذه عن محمد ابن أبي زينب النعماني (٢): «إن الجمهور منهم يقول في الخلف: أين هو؟ وأنى يكون هذا؟ وإلى متى يغيب؟ وكم يعيش هذا وله الآن نيف وثمانون سنة؟... فمنهم من يذهب إلى أنه ميت، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجوده، ويستهزئ بالمصدق به، ومنهم من يستبعد المدة ويستطيل الأمر» (٣).

ويعقب بقوله: «وهذا مما يدل على أن قضية وجود ابن للإمام العسكري لم تكن قضية مجمعا عليها بين صفوف الشيعة الإمامية في ذلك العصر، أو أن الشيعة الذين احتملوا وجوده بدءوا يتخلون عن إيمانهم بهذا بعد مضي سبعين عاما على وفاة العسكري، وأن دعاوى الإجماع والتواتر والاستفاضة التي يدعيها البعض على أحاديث وجود وولادة ومهدوية الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري لم يكن لها رصيد من الواقع في ذلك الزمان» (٤).

(١) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية. أحمد الكاتب ١٤٥.

(٢) الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني، المعروف بابن أبي زينب ولد في القرن الرابع الهجري من كبار مشايخ الشيعة، توفي سنة ٣٦٠ هـ بمدينة حلب في سورية، من مؤلفاته: الغيبة، نثر اللآلي في الحديث، الرد على الاسماعيلية. الكنى والألقاب، الشيخ عباس محمد رضا القمي، ١/١٩٥ منشورات مكتبة الصدر، طهران، معجم المؤلفين ٨/٩٥.

(٣) الغيبة. الشيخ النعماني، باب «ما روي في غيبة الإمام المنتظر» ١٥٨، تحقيق / علي أكبر الغفاري.

(٤) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية ٤٩.

نخلص من هذه المناقشات إلى القول بضعف أدلة وجود المهدي، وتناقض الروايات الدالة على ذلك، وننتهي إلى أن محمد بن الحسن العسكري لم يولد أصلاً، وأن أباه الحسن العسكري مات دون أن يعقب. وقد أشار أحمد الكسروي إلى ذلك قائلاً: «إن أول النواب -عثمان بن سعيد- (١) هو صاحب فكرة وجود المهدي، وهو الذي ادعى وجود ولد للحسن العسكري (٢).

وذهب أحمد الكاتب أيضاً إلى أن الرواية التاريخية الظاهرية للأحداث بعد وفاة الإمام الحسن العسكري تقول: «إن الإمام لم يخلف ولداً ولا ذكراً ولا أنثى، وأنه أوصى بأمواله لأمه، ولذلك فقد ادعى جعفر الإمامة وتبعه قوم من الشيعة» (٣).

٣- فكرة المهدي غامضة:

فكرة المهدي وغيبته يحيط بها قدر من الغموض عند الشيعة مما يثير الشكوك القوية حول وجوده وولادته أصلاً، ومن ثم فإن غيبته تبدو أكثر غموضاً؛ لأنها مترتبة على القول بولادته أولاً، ثم إمامته ثانياً، وهذا ما يجعل الاستدلال عليها ضعيفاً.

يقول أحمد الكاتب: «إن عملية إثبات وجود (ابن الحسن) تحتاج أولاً إلى إثبات وجوده وإمامته ومهدويته، ثم إثبات غيبته، لا أن يتم عكس الاستدلال فيتخذون من المجهول والعدم والغيبه دليلاً على إثبات الوجود والإمامة والمهدوية

(١) عثمان بن سعيد العُمري، كنيته أبو عمرو، بدأ حياته بخدمة الإمام علي الهادي وله إحدى عشرة سنة، ومن بعد الإمام الهادي لزم خدمة الإمام الحسن العسكري، وبعد وفاته عينه الإمام المهدي نائباً عنه. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، الإمام الخوئي ١٢/١٢٢، الطبعة الخامسة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

(٢) التشيع والشيعة، أحمد كسروي ٦٨.

(٣) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية ١٥٤.

لشخص لا يزال موضع بحث ونقاش، إذن فلا يمكن في الحقيقة الاستدلال بأحاديث الغيبة العامة والغامضة والضعيفة على إثبات وجود الإمام محمد بن الحسن العسكري^(١).

ويمتد غموض فكرة المهدي إلى شخصه وهويته، وعمره وقت الغيبة، واسمه، وزمان خروجه، وغير ذلك من الأمور المتعلقة به التي تحتاج إلى بيان واضح، مما يمكن القول معه إنه لم يكن هناك تحديد للمهدي أو بيان له قبل ذلك فيما ورد عن النبي ﷺ كما يدعي الشيعة.

ويقول: «إن تاريخ أئمة أهل البيت ورواياتهم التي يحتفظ بها التراث الشيعي الإمامي تؤكد غموض هوية الإمام المهدي وعدم التصريح باسمه أو زمان خروجه، ليس بسبب الخوف عليه، وإنما بسبب عدم تحديده من قبل؛ لأن فكرة المهدي كانت اسما عاما وأملا يخلق فوق رأس كل واحد منهم، ولو كانت هوية المهدي قد حددت من قبل منذ زمان رسول الله ﷺ وأجمع الشيعة عليها لما ذهبوا يمينا وشمالا واحتاروا وتساءلوا عن هوية المهدي»^(٢).

٤- دوافع الشيعة للقول بالرجعة:

يرى أعلام الإصلاح أن القول بالرجعة له دوافع وأهداف، فقد ذكر موسى الموسوي أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة ووضعوا الروايات لإثباتها لم يقصدوا منها رجعة الأئمة بقدر ما كانوا يقصدون رجعة الأعداء حسب زعمهم؛ وذلك للانتقام منهم، ويرى أن هذه الفكرة كانت توطد دعامة التفرقة بين الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى تفرقة لا لقاء بعدها، ولو أن من كانوا وراء فكرة الرجعة مخلصين

(١) المرجع السابق ١٢٦.

(٢) المرجع السابق ١٠٢.

لأئمة الشيعة لم يصورهم بهذا المظهر الراغب فى الحكم حتى أن الله سيعيدهم إلى هذه الدنيا الفانية مرة أخرى ليحكموا فيها بعض الوقت وهم أئمة لهم جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين»^(١).

ويناقش السيد محمد حسين فضل الله الشيعة فى دوافعهم إلى الاعتقاد بالرجعة فىقول: «إذا كان المقصود الانتصاف للمظلومين من الظالمين وغلبة المحقين على المبطلين فإن ذلك حاصل فى يوم القيامة، وإذا كانت القضية هي إظهار الحق على الباطل وبسط العدل فى الكون فإن وجود الدولة المهدوية الشاملة كفيل بذلك، وإذا كانت المسألة تحقيق الأمنيات فى دولة الحق للمؤمنين وشفاء غيظهم من معاصريهم من المبطلين فيما يمكن أن تحققه الرجعة من حصول الأمانى وشفاء الغيظ فإن يوم القيامة يحقق ذلك بأعظم مما يحدث من خلال الرجعة؛ لأنه يتصل بالمصير الأبدى فى النعيم والشقاء. إن المسألة ليست مرتبطة بالإمكان والاستحالة، بل هي مرتبطة بالمبررات الواقعية فى ضرورة ذلك مما يجعل التأويل أكثر قرباً للالتزام بالأحاديث من إبقائها على ظاهرها، لا سيما عند مواجهة التحديات الفكرية فى هذه المسألة التي لا تمثل فى طبيعتها أصلاً من أصول العقيدة»^(٢).

ويرى الإصلاحيون أن فكرة المهدي والرجعة صارت عقيدة راسخة عند الاثنى عشرية بسبب توجيه الإعلام للدعوة لها، وقد أشار أحمد الكاتب إلى دور الإعلام فى ترسيخ هذه العقيدة عندهم، ولاحظ أن الإعلام ارتكز على:

١- التلفيق بين الروايات: واختلاق الأحاديث المختلفة حول الاثنا عشرية والمهدي.

(١) الشيعة والتصحيح ١٤٢.

(٢) مجلة الفكر الجديد. العدد التاسع ١٤.

٢- الإرهاب الإعلامي: وهي اتهام من لا يؤمن بالمهدي المفترض محمد بن الحسن العسكري بالكفر والردة والفسق والضلال عبر روايات تساوي بين إنكار وجود المهدي وإنكار الرسول الأعظم وتكذيبه والجحد بنبوته.

٣- استخدام الأدعية والزيارات: كدعاية تساهم في ترسيخ نظرية المهدي محمد بن الحسن بين الشيعة، حيث دأب الشيعة على قراءة الأدعية عقيب كل صلاة في جميع المناسبات الدينية، ويحرصون على زيارة قبور الأئمة دائماً.

٤- استخدام الطقوس وإشاعة القصص المرتبطة برؤية المهدي: وهي طقوس موروثية تلعب دوراً إعلامياً مهماً في تكريس الاعتقاد بنظرية وجود المهدي وتحويلها إلى حقيقة راسخة في أذهان الشيعة، وذلك كالقيام وأداء التحية والانحناء عند سماع اسم القائم، وهو ما يفعله عامة الشيعة منذ زمن طويل وحتى اليوم، الأمر الذي يبعث على الاحترام والخشوع والرغبة والتحسس بوجود المهدي، والتعامل معه كأنه حي وحاضر^(١).

٥- لا مبرر لاختفاء المهدي الآن:

على فرض التسليم بصحة المرويات التي تحدثت عن ولادة المهدي وظروف نشأته، ثم غيبته عن الأنظار حتى رجوعه، والدوافع التي ظهرت لتبرير الغيبة، فإن هذه العقيدة لا وجه لها الآن، ولا وجه لاستمرار غياب الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عن الأنظار إلى الآن.

يقول القاضي: «لو سلمنا جدلاً بالقول بصحة كل ما جاء من الأخبار والمرويات عن قصة المهدي، وعن سبب اختفائه، فالمعلوم من هذه الأخبار أن سبب اختفائه هو

(١) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية ١٩٨ - ٢٠١ بتصرف.

خوفه من أن يقتل على أيدي العباسيين آنذاك، ولكن لماذا لا يظهر المهدي الآن على شاشات التلفزة ونحن في عصر الفضائيات والانترنت»^(١).

وأرى أن الخوف الذي برر به الشيعة اختفاء محمد بن الحسن العسكري عند غيبته لم يعد له وجود الآن، فقد زال الخوف اليوم، وأزال الشيعة الأسباب التي دفعت الإمام إلى الغيبة، وأعدوا العدة لنصرته، وعزموا على معاضدته والانقياد له والكف عن نصره الظالمين، ودعوه للخروج ولكنه لم يخرج.

ومع استمرار الإمام المهدي في غيبته إلى عصرنا هذا -عصر الفضائيات- يتساءل الكثيرون: لماذا لم يستخدم الإمام الغائب وسائل الاتصال الحديثة والمضمونة كالانترنت، أو وسائل الإعلام الفضائية كالقنوات الفضائية لإيصال رسائله إلى الشيعة مع المحافظة على أمنه وسلامته كما يستخدمها بعض السياسيين أو المطلوبين أمنياً لإيصال صوتهم وتوجيهاتهم إلى أتباعهم والعالم.

وقد برر بعض الشيعة غيبة المهدي بدافع التمحيص والامتحان لمعرفة من يوقن ويؤمن بالمهدي من غيره، وأوردوا في ذلك بعض الروايات منها:

«عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى، ولا علم، يبرأ بعضكم من بعض فعند ذلك تميزون وتمحصون وتغربلون»^(٢).

وقد أبطل أبو الفضل البرقي هذا المبرر، فقال:

«لقد امتحن كل واحد من أصحاب الأئمة حتى وصلوا إلى الشقاوة أو السعادة فلماذا لم يظهر بعد الإمام المنتظر؟! إذا كان سوف يظهر بعد ألف وأربعمائة سنة

(١) ربحت الصحابة ولم أخسر آل البيت ٥٧.

(٢) بحار الأنوار ٥٢/١١٢.

فماذا ىنفعهم ظهوره... وإن امتحان الله عباده ىكون لكمالهم ونضحهم وىكون الامتحان كما قال القرآن بالشدة والخوف ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: آية ١٥٥]، ولا ىتعلق الامتحان أصلا بغىبة الإمام أو ظهوره، وقد كان الامتحان قبل أن تكون الأئمة وسوف ىبقى حتى بعد ذهاب الأئمة فلا ىنحصر الامتحان بغىبة أحد أو إمام ولا معنى لذلك أصلا»^(١).

وقد ذكر الشيعة كثيرا من العلامات التى تسبق ظهور الإمام، ومنها.

قتل ىكون فى آخر الزمان، وصيحة، وخسف بالبيداء وخروج السفىانى، وقتل النفس الزكية، وكسوف الشمس فى النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر فى آخره على خلاف العادات، وقالوا: لىس بين قىام القائم وقتل النفس الزكية إلا خمس عشرة لىلة^(٢).

وىرى الإصلاحىون أن العلامات التى ذكروها دلىل على بطلان عقىدتهم فى غىبة الإمام وظهوره فإن بعض هذه العلامات قد تحققت ومضى عليها زمن كاف لخروجه لكنه لم ىخرج.

ىقول أحمد الكاتب: «الرواىات التى تتحدث عن علامات الظهور تشكل دلىلا إضافىا على عدم صحة نظرىة المهدى محمد بن الحسن العسكرى، وذلك لأنها

(١) كسر الصنم ٢٦١.

(٢) انظر: الإرشاد فى معرفة حجج الله على العباد للشىخ المفىد، باب «ذكر علامات قىام القائم» ٢/ ٣٦٨، مؤسسة آل البيت لإحىاء التراث. الغىبة لشىخ الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى. باب «ذكر طرف من العلامات الكائنة قبل خروجه» ٤٣٣ وما بعدها، معجم أحادىث الامام المهدى، الشىخ على الكورانى العاملى ٥/ ٣٠، مؤسسة المعارف الإسلامىة، قم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

تحدث عن علامات ظهور مضي عليها الزمان؛ كالظهور بعد سقوط الدولة الأموية والانتقام من الأمويين، أو الظهور في العهد العباسي أو نهايته عند اختلاف ولد بني العباس فيما بينهم، أو في أعقاب قتل (ذي النفس الزكية) كما تقول روايات أخرى يذكرها الطوسي والنعمانى والكليني، وتشير بعض الروايات إلى أن المهدي سيفتح القسطنطينية التي استعصت على المسلمين قرونا طويلة، وأنه سيفتح الديلم والسند والهند وكابل والخزر، وكل هذه العلامات أو المهمات قد حدثت ولم يظهر المهدي الموعود مما يدل على عدم صحة الروايات، أو ارتباطها بأشخاص آخرين^(١).

٦- إنكار أن الرجعة من أصول المذهب:

يرى الإصلاحيون أن الرجعة ليست من الأصول والعقائد الأساسية عندهم، ولا هي من ضروريات المذهب.

يقول محمد حسين آل كاشف الغطاء: «وليس التدين بالرجعة في مذهب التشيع بلازم، ولا إنكارها بضرار، وإن كانت ضرورية عندهم، ولكن لا يناط التشيع بها وجودا وعدما، وليست هي إلا كبقية أنباء الغيب وحوادث المستقبل... وما هي من الإسلام في شيء، ليس إنكارها خروجاً منه ولا الاعتراف بها بذاته دخولاً فيه»^(٢).

ويقول محمد جواد مغنية:

«لو كانت الرجعة من أصول الدين أو المذهب عند الإمامية لوجب الاعتقاد بها، ولما وقع بينهم الاختلاف فيها»^(٣).

(١) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية ١٨٥.

(٢) أصل الشيعة وأصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة، محمد حسين آل كاشف الغطاء ١٠٨. دار الأضواء للطباعة. بيروت - لبنان الطبعة الأولى. ١٤٢٠ هـ ١٩٩٠.

(٣) الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية ٥٥. دار الشروق. بيروت - القاهرة. بدون تاريخ.

وعلى هذا فإن الأخبار التي تثبت الرجعة إذا صحت لا بد أن يراد بها غير المقصود عند الشيعة، وأن تُؤول.

يقول هاشم معروف الحسيني^(١): «الرجعة ليست من معتقدات الإمامية، ولا من الضرورات عندهم، والنصوص التي تعرضت لها لو صحت عن الأئمة عليهم السلام لا بد من تأويلها»^(٢).

فضلا عن أن القول بها يناقض القرآن الكريم.

يقول الياسري^(٣): «القول بأن المهدي سوف يحيي أعداء الأئمة قبل يوم القيامة، وأن مصيرهم سوف يرجع إليه، وينتقم منهم ويحاسبهم قبل يوم القيامة، ويقضي بينهم ويجازيهم مناقض لما جاء في القرآن من الحياة بعد الموت تكون يوم القيامة فقط، وأن الله هو الحسيب والقاضي»^(٤).

وبهذا يتبين بطلان عقيدة الشيعة الاثنا عشرية في المهدي وغيته ورجعته في آخر الزمان من أوجه كثيرة كافية لهدم هذه العقيدة كما يرى الإصلاحيون داخل المذهب.

(١) عالم شيعي معاصر، له مؤلفات عديدة منها: المبادئ العامة في الفقه الجعفري، دراسات في الحديث والمحدثين، الموضوعات في الآثار والأخبار.

(٢) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، هاشم معروف الحسيني ٢٣٧. دار الملاك للطباعة ٢٠٠١م.

(٣) السيد محمد إسكندر الياسري ولد في مدينة الحلة العراقية في أواخر الستينات، حصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة، بدأ في قراءة كتب المذهب حتى اقتنع ببطلانه، تربص له بعض الشيعة وهو عائد من صلاة الفجر في سيارة صهره وفتحوا عليه النار فقتلوه، ترك مؤلفات يعلن فيها آراءه، هي: المرجعية القرآنية، والقرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثنا عشرية. انظر: موقع صحوة الشيعة. <http://www.newshia.com/news.php?action=show&id=5>

(٤) المرجعية القرآنية ١٤٢.

الفصل الرابع

ولاية الفقيه

دعوى ولاية الفقيه عند الشيعة الاثنا عشرية تعني أن للفقيه الشيعي الولاية في إقامة الأحكام وتنفيذها، وأنه ينوب عن الإمام وقت غيبته، فله ما للإمام، ومخالفته مخالفة لله تعالى وللإمام بوصفه نائباً عن الإمام الذي يبلغ أحكام الله للخلق^(*).

وقد لقيت هذه النظرية إصلاحاً ونقداً داخلياً في المذهب الشيعي، فقد وجه إليها الإصلاحيون نقداً بكونها مبتدعة في الفكر الشيعي، ظهرت نتيجة غياب الإمام وتعطل الأحكام، الأمر الذي دفع بعض فقهاء الشيعة إلى القول بولاية الفقيه ونياسته عن الإمام في تسيير شؤون الشيعة، وكثير من فقهاءهم لا يقولون بها، لكنها ثابتة عند فريق من الشيعة.

يقول السيد محمد حسين فضل الله:

«ولاية الفقيه نظرية لا يراها أكثر فقهاء الشيعة، لكن في المقابل ولاية الفقيه هي نظرية اجتهادية فقهية كآية نظرية اجتهادية»^(١).

ويرى أن أدلتها غير معتبرة: «لا دليل على وجوب طاعة الفقيه كالإمام رغم ورود أخبار في شأن العلماء أنهم كالأئمة، مثل القول بأن العلماء ورثة الأنبياء وأمناء الرسل، فالإنصاف يقتضي الجزم بأنها مقام البيان لوظيفة الفقهاء من حيث نشر الأحكام الشرعية، لا كون الفقهاء كالنبي والأئمة»^(٢).

(*) لمزيد عن مفهوم ولاية الفقيه عند الشيعة انظر: التمهيد، ولاية الفقيه.

(١) حوار صحيفة عكاظ السعودية مع السيد محمد حسين فضل الله بتاريخ ٢١/٢/٢٠٠٨.

(٢) الخميني والدولة الإسلامية، محمد جواد مغنية ٦٣.

ثم إن ولاية الفقيه عند القائلين بها مبني على غيبة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، وقيام الفقيه بالنيابة عنه، وعلى هذا فإن الشك فى ولادة محمد بن الحسن، ومن ثم إبطال غيبته ينفي القول بولاية الفقيه.

يقول أحمد الكاتب: «إن الحديث عن النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي فى الغيبة الكبرى هو فرع لثبوت النيابة الخاصة التى ادعاها الوكلاء الأربعة فى فترة الغيبة الصغرى، وإن القول بذلك يبتنى على القول بوجود وولادة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري ووجود غيبته له، وإذا لم نستطع التأكد من وجود هذا الإمام فإن تلك النظرية تتلاشى بالطبع من باب الأولى».

ويشير إلى أنها متناقضة تماما مع نظرية الإمامة لأنها تسقط شرطي العصمة والنص فى الإمام، وأنها نظرية ظنية استنبطها بعض العلماء فى وقت لاحق وطورها عبر التاريخ ولم يكن لها وجود من قبل»^(١).

ومع كونها متناقضة مع الإمامة لإسقاطها شرطي العصمة والنص، فإنها أيضا متناقضة مع القرآن الكريم الذى يحدد بوضوح مطلق دور الفقيه، وتصطدم نظرية ولاية الفقيه بنص صريح جاء فى القرآن الكريم وضح صلاحية الفقهاء بعبارة واضحة وصريحة، فالآية الكريمة التى تبطل ولاية الفقيه وتحدد صلاحيته هي قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [سورة التوبة: آية ١٢٢] فالآية صريحة فى أن واجب الفقيه هو التبليغ والإرشاد فى شئون الدين، وليست فى الآية إشارة إلى وجوب طاعة الفقيه أو ولايته»^(٢).

(١) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية ٢٢٧.

(٢) الشيعة والتصحيح ٧.

ثم إن تطبيقها يؤدي إلى عواقب سيئة أهمها كما يقول محمد جواد مغنية: «لو كان كل فقيه أميراً لكانت الأمراء بعدد الفقهاء فتسود الفوضى وينتشر الفساد في الأرض، وفي أصول الكافي: (لا يكون في الأرض إمامان إلا وأحدهما صامت)»^(١) وأي فقيه يصمت ويتنازل للآخر»^(٢).

«وفضلاً عن انتشار الفوضى والفساد بسبب تطبيق ولاية الفقيه، فإن كثيراً من الأحداث التي تقع في الدول الإسلامية، أو في الساحة الشيعية على وجه الخصوص إنما هي بسبب ولاية الفقيه. حيث إنها تلعب دوراً بارزاً في أحداث تتناقض مع مبادئ الإسلام الصريحة»^(٣).

وينكر كثير من الإصلاحيين الولاية العامة للفقيه، يقول السيد محمد حسين فضل الله:

«أغلب علماء المسلمين الشيعة لا يقولون بها، فلا يرون للفقيه ولاية عامة على مستوى ما يقرب من الإمامة والخلافة، وقد كان أستاذنا السيد أبو القاسم الخوئي^(٤) ينكر شرعية الولاية العامة للفقيه، ونحن نوافق على ذلك، ولا نرى أن للفقيه ولاية عامة على المسلمين إلا إذا توقف حفظ النظام العام للمسلمين على ولايته، ومع

(١) عن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تكون الأرض ليس فيها إمام؟ قال: لا، قلت: يكون إمامان؟ قال: لا إلا وأحدهما صامت. الكافي ١/ ١٧٨، باب «أن الأرض لا تخلو من حجة».

(٢) الخميني والدولة الإسلامية، محمد جواد مغنية ٦٤.

(٣) الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي ٧٥-٧٦.

(٤) أبو القاسم بن السيد علي أكبر بن هاشم الخوئي، ولد ١٣١٧ هـ ١٨٩٩ م، المرجع الأكبر للشيعة في زمانه، دفن بالنجف الأشرف سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م، من مؤلفاته: البيان في تفسير القرآن، معجم رجال الحديث. سيرة وحياة الإمام الخوئي. أحمد الواسطي. دار الهادي للطباعة والنشر - بيروت ١٩٩٨ م.

ذلك لا بد للفقهاء من أن يستشير أهل الخبرة في كل شؤون السلطة وكل شؤون الحياة؛ لأنه لا يجوز له أن يحكم من دون علم ومن دون خبرة»^(١).

وقد أورد الخميني أدلة القائلين بولاية الفقيه، ومنها الاستدلال بقوله الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾^(٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ [سورة النساء: ٥٨، ٥٩].

يقول: «أمر الله تعالى في هذه الآيات برد الأمانات إلى أهلها. ويرى البعض أن «الأمانات» هنا مطلقة فهي تشمل الأمانات المتعلقة بالخلق أو المتعلقة بالخالق (الأحكام الشرعية) والمقصود من رد الأمانة الإلهية هو إجراء الأحكام الإسلامية كما هي، بينما يعتقد البعض الآخر أن المراد من الأمانة هي الإمامة، وقد ورد في الرواية أيضاً أن المقصود بالآية هم نحن (أي الأئمة)، أي أن الله تعالى أمر ولاية الأمر الرسول الأكرم ﷺ والأئمة برد الولاية والإمامة إلى أهلها، وذلك بأن يرجع الرسول الأكرم ﷺ الولاية إلى أمير المؤمنين، والأمير يرجعها إلى الولي من بعده»^(٢).

ويورد بعض الأحاديث منها:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم ارحم خلفائي - ثلاث مرات - قيل: يا رسول الله ومن خلفائك؟ قال: الذين يأتون من بعدي يروون

(١) حوار قناة العربية مع السيد محمد حسين فضل الله بتاريخ الإثنين ٢٩ صفر ١٤٢٨هـ - ١٩ مارس ٢٠٠٧م.

موقع قناة العربية: <http://www.alarabiya.net/articles/2007/03/19/32718.html>

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني ٧٩.

حديثي وسنتي فيعلمونها الناس من بعدي» (١).

ويرد بعض الشيعة على أدلة الخميني على صحة ولاية الفقيه بأنه: «إذا أردنا أن نسلم له بصحة تلك الأدلة جدلاً فإننا ما نزال نفتقر إلى دليل واحد مهما كان ضعيفاً يقدمه لنا على صحة انفراد فقيه واحد دون عشرة فقهاء من معاصريه مثلاً في تلك الولاية» (٢).

ويرى بعض الإصلاحيين أن إثبات الولاية الجزئية للفقيه «وبالتالي نفي الولاية الكلية» ليس من أجل كونه فقيهاً، وإنما للمصالح التي تترتب عليها من حفظ الإسلام والمسلمين، يعني أن سببها خارج عن ذاته فهو عرضة للسهو والخطأ والنسيان وسائر الأعراض التي تعرض للطبائع البشرية، مع كونه غير معصوم.
يقول آية الله حسن طبطبائي القمي (٣):

«إذا كان المراد من هذا القسم من الولاية المبسوطة والواسعة التي تثبت للرسول الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار توجد بنفس التوسعة للفقيه - على القطع - خطأ بلا ترديد؛ لأن هذا القسم من الولاية تحتاج إلى العصمة الكاملة والمطلقة، وليس لأي فقيه مقدرة كهذه، وبهذا الدليل كلما يكون الفقيه عالماً ووارداً ومنتقياً وربانياً وذا ملكة للعدالة أيضاً، فبالطبع تحت تأثير السهو والاشتباه والنسيان، وتحت تأثير

(١) المرجع السابق ٥٩. والحديث في: عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق ٤٠/١، صححه وقدم له وعلق عليه/ الشيخ حسين العلمي، مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) الخميني بين الدين والدولة، عبد الجبار عمر ٨٤.

(٣) آية الله العظمى السيد حسن الطبطبائي القمي، كان له دور في انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وتم فرض الإقامة الجبرية عليه في إيران حتى توفي عام (١٣٢٩ هـ - ١٤٢٨ هـ).

العوامل النفسية الأخرى يمكن أن يقوم بعمل لم يكن ملحوظا فيه صلاح المسلمين والإسلام، ويكون فى ضرر الإسلام والمسلمين، لذلك فإن الرب الحكيم الرحيم لم يجعل للفقهاء ولاية على هذا الشكل... من وجهة نظري فإن الفتوى بولاية الفقيه بالتوسعة والعمل عليها مضر بالإسلام، وضربة وعيب أو لكمة على جبين الإسلام اللطيفة المنورة^(١).

ولأن الفقيه عرضة للعوارض البشرية، ويجري عليه أحكام السهو والخطأ، فإنه يختلف تماما عن الإمام المعصوم عن ذلك كله - حسب النظرية الشيعية -، هذا الاختلاف يؤدي إلى اختلاف الصلاحيات التي يملكها كل من الإمام والفقيه، لأن الصلاحيات مبناهما على الملكات التي أعطاها الله تعالى له.

فلو أخذ الفقيه الصلاحيات الممنوحة للإمام المعصوم لأدى ذلك إلى القول بإعطائه صلاحيات النبي الكريم ﷺ، وتساوى مع الرسول، وهذه إشكالية كبرى تترتب على القول بولاية الفقيه.

يقول أحمد الكاتب: «إن إعطاء الفقيه العادل وهو بشر غير معصوم ومعرض للخطأ والانحراف صلاحيات الرسول الأعظم ﷺ المطلقة وولايته العامة على النفوس والأموال، والتطرف في ذلك إلى حد السماح للفقيه بتجميد القوانين الإسلامية الجزئية (الشريعة) - كما يقول الخميني وبعض أنصار ولاية الفقيه في إيران - يلغي الفوارق الضرورية بين النبي المعصوم المرتبط بالسماء وبين الفقيه الإنسان العادي المعرض للجهل والهوى والانحراف، وهذا ما يتناقض تماما مع الفكر الإمامي القديم الذي رفض مساواة أولي الأمر (الحكام العاديين) في وجوب

(١) مقال في جريدة «كيهان» الصادرة في لندن ٢ أيار ١٣٦٦ هـ. س. نقلا عن: نقد ولاية الفقيه، محمد مال

الطاعة لهم كوجوب الطاعة لله ورسوله»^(١).

«بالإضافة إلى أن الفقيه لو كان عادلاً ومتديناً، والعدالة والديانة تمنعانه أن يرتكب الخلاف عمداً ولكنه قد يرتكبه سهواً، ومن الممكن أن يرتكب مخالفات كثيرة بالسهو والنسيان، وتكون أعماله خلافاً لما أمر الله ومصلحة عامة للمسلمين وبلدان الإسلام، ويمكن أن تتول أعماله إلى نفع الكفار والأجانب»^(٢).

وأخيراً يحدد أحد الباحثين الشيعة ما انتهى إليه موقف الشيعة المعاصرين في مسألة ولاية الفقيه على النحو التالي:

مع رحيل السيد الخميني بدأت تنفرز خمسة اتجاهات متنافرة حول مسألة ولاية الفقيه:

١- اتجاه معارض مطلق لولاية الفقيه وقيام الدولة الإسلامية في عصر الغيبة، ومن أبرز أقطاب هذا الاتجاه (السيد محمد روحاني، والسيد القمي) ويحاكي هذا الاتجاه موقف فقهاء الشيعة الأوائل، وتمسكهم الحرفي بنصوص الغيبة.

٢- اتجاه ولاية الفقيه الجزئية الذي يحصر دور الفقيه في حيز الأمور الحسبية، ويمثل هذا الخط (أنصار السيد الخوئي في النجف وإيران ولبنان)، ويتوقف هذا الاتجاه عند المضامين الصريحة أو الظاهرة للنصوص الدينية الخاصة بولاية الفقيه.

٣- اتجاه ولاية الفقيه في المجال التنفيذي، ويصاهر بين الدليلين العقلي والنقلي، فهو من جهة يوقف دور الفقيه الجامع للشرائط عند حدود الأمور الحسبية بمقتضى النصوص واتفاق فقهاء الشيعة السابقين، ومن جهة أخرى

(١) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية ٢٣٠.

(٢) مقال في جريدة كيهان. نقلاً عن: نقد ولاية الفقيه، محمد مال الله ٣٠.

يتوصل بالدليل العقلي في نحل الفقيه ولاية إضافية في حال التمكين وبسط اليد، ويمثل هذا الاتجاه (السيد السيستاني، والسيد السبزواري، والسيد محمد حسين فضل الله).

٤- اتجاه ولاية الفقيه في الحيز السلطاني، فيختص الفقيه بإقامة الدولة، ويمثل هذا الاتجاه (السيد محمد بحر العلوم، والسيد الكلبيكاني، والسيد حسين البروجردي، والشيخ محمد رضا المظفر، والشهيد الصدر، والشيخ عبد الهادي الفضلي).

٥- اتجاه ولاية الفقيه المطلقة، وهذا الفريق يغلب دور العقل في إثبات ولاية الفقيه وإقامة الدولة الإسلامية في عصر الغيبة، ويمنح الفقيه سلطة لا متناهية في المجالات التشريعية والتنفيذية والقضائية، ويمثل هذا الاتجاه في إيران (الإمام الخميني، والشيخ حسين علي منتظري، وناصر مكارم الشيرازي، وآية الله صانعي، والسيد علي خامنئي)، وفي العراق (السيد محمد الشيرازي، والسيد محمد تقي المدرسي).^(١)

وبناء على ذلك يتضح أن الشيعة في العصر الحديث ليسوا متفقين على صيغة لمسألة ولاية الفقيه، فالإصلاحيون يرفضون ولاية الفقيه تماما، ويخالفون بذلك مراجع الشيعة، فبينما يرى بعض علماء الشيعة التقليديين أن الفقيه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يحل محل الإمام لطبيعة الاختلاف بينهما، حيث إن الإمام مؤيد من السماء ومعصوم بخلاف الفقيه، ويرى البعض أن ولاية الفقيه محصورة في جزئيات لا تتعدها فلا تصل إلى حدود ولاية الإمام المعصوم، على اختلاف في تفاصيل هذه الولاية.

(١) الفقيه والدولة الفكر السياسي الشيعي، فؤاد إبراهيم ٣٨٦-٣٨٧ بتصرف. دار الكنوز الأدبية. بيروت

الفصل الخامس

التقية

التقية عند الشيعة الاثنا عشرية هي قول أو فعل ما يعتقد خلافه لدفع الضرر عن النفس، ويعتقدون أنها أصل من أصول الدين وركن من أركان المذهب، مستدلين على ذلك بأقوال نسبوها إلى أئمة أهل البيت لتصير التقية ديناً يتدينون به^(*).

وقد قام تيار التصحيح في مذهب الشيعة بنقد فكرة التقية، وبيان أنها تخالف منهج الأئمة، حيث إن أئمة أهل البيت وسيرتهم وحياتهم الخاصة والعامة وواقعهم العملي كانوا أبعد الناس عن التقية، وأكثر الناس مقتاً لها، فكيف يأمرهم أتباعهم وشيعتهم بالعمل بها.

يقول موسى الموسوي: «لست أدري كيف تدعي الشيعة بأنها من أنصار الإمام الحسين سيد الشهداء وإمام الثائرين وهي تعمل بالتقية وتعتقد بها وترتضيها لنفسها»^(١).

وبالنظر في سيرة الأئمة الاثني عشر - خلافاً لمحمد بن الحسن العسكري - نرى أن أخبارهم وأحوالهم شاهدة على ما كانوا عليه من شجاعة في مواجهة الظلم والطغيان، ونرى جهرهم بأرائهم وأقوالهم دون خوف أو مداراة، فالإمام جعفر الصادق الذي نقل عنه الشيعة وجوب التقية، وأنها دين يأمر أتباعه بها لم يكن يعمل بها في واقع حياته، على ما تذكر كتب السيرة.

يقول موسى الموسوي: «ومن الغريب أن بعض رواة الشيعة روت عن الإمام

(*) لتفصيل مفهوم التقية عند الشيعة انظر: التمهيد، مبحث التقية.

(١) الشيعة والتصحيح ٥٢.

الصادق روايات في وجوب التقية على شيعته، في حين أنه وشيعته لم يكونوا في حاجة إليها، فالإمام كان يدرس في مسجد الرسول ﷺ وحوله آلاف من التلاميذ والطلاب والمستمعين، وليت شعري أن أعرف كيف يمكن لمدرسة فقهية بهذه السعة وكثرة الطلاب والتلاميذ أن تبنى على التقية، وأي تقية استعملها الإمام في بناء مدرسته الفقهية التي كان يضع أساسها أمام المسلمين وبصورة علنية، والإمام موسى بن جعفر لم يكن على وفاق مع الخليفة العباسي هارون الرشيد، وقضى سنوات في سجن الخليفة ببغداد، فلو كان موسى بن جعفر يسلك طريق التقية ويخادع الخليفة الذي كان ابن عمه وكانت تتحكم بينهما صلوات القربى لما حدث له ما حدث^(١).

وكذلك حال سائر أئمة الشيعة في البعد عن العمل بالتقية حتى الإمام الحادي عشر الحسن العسكري.

وإذا كان حال أئمة الشيعة يرفض التقية ويتعد عنها، فما الذي دفع الشيعة إلى القول بها وعدها من الأصول المذهبية؟

يرى رجال الإصلاح أن فقهاء الشيعة كان لهم دور بارز في ترسيخ مفهوم التقية بدوافع متعددة.

أولاً: لأنها تجنبهم الصدام مع السلطات الحاكمة التي كانت تعاديهم فقد وجدوا في تبني التقية سدا منيعا يحفظهم من الخوض في المواجهات السياسية التي كانت ولم تزل من سمات العصور الإسلامية المتعاقبة والتي كانت تحدث بين الأمة الإسلامية، وبذلك يريحون أنفسهم من القيام بالواجب الديني والاجتماعي بذريعة وجوب التقية والبقاء في أمان وسلام من بطش السلطة.

(١) الشيعة والتصحيح ٥٥.

وثانيا: لأنها كانت وسيلة للحفاظ على عملهم السري، ومن ثم الحفاظ على المكاسب المالية التي تصلهم من الشيعة دون الدخول في تصادم يحرمهم منها.

يقول موسى الموسوي: «فكرة التقية التي ظهرت بالمفهوم الشيعي الخاص إنما ظهرت في أواسط القرن الرابع الهجري، وهو بعد الإعلان عن غيبة الإمام الثاني عشر، وأنها ظهرت في مستهل ظهور عصر الصراع بين الشيعة والتشيع، وعندما أرادت الزعامات الشيعية المذهبية والسياسية والفكرية أن تتخذ العمل السري وسيلة للقضاء على الخلافة العباسية الحاكمة والإعلان بعدم شرعيتها، وكان من الطبيعي أن يضاف إلى فكرة التشيع لعلي وأهل بيته عنصرا جديدا يدعم الفكرة دعما كبيرا فأضيفت فكرة النص الإلهي إلى الخلافة وأصبحت من ذلك الحين تشغل حيزا كبيرا من صميم العقيدة، ويمكن القول إن العمل السري المذهبي بدأ من عصر ظهرت التقية فيه بمظهر الواجب الشرعي الذي يجب أن يتبعه كل من له فكرة دينية ويخشى أن يجهر بها أمام السلطة الحاكمة أو الأكثرية الإسلامية، ولذلك كانت للتقية دور كبير في مساندة الزعامات المذهبية الشيعية التي ظهرت بعد الغيبة الكبرى، فبالتقية استمرت تلك الزعامات في نشاطها وفي تأمين من السلطة الحاكمة، كما أن الأموال كانت تصل إليها تحت غطاء التقية أيضا، وهكذا أخذت التقية تسري في الفكر الشيعي والعمل الشيعي طيلة قرون عديدة»^(١).

وبالإضافة إلى ذلك فإنها تعد وسيلة للحفاظ على المكاسب المالية التي ينالها الفقهاء، وكذلك تستخدم لتبرير الأخطاء التي يقع فيها الشيعة، ومثال ذلك: عند سؤالهم عن سبهم الصحابة رضي الله عنهم.

(١) الشيعة والتصحيح ٥٦.

يقول موسى الموسوى: «يسلك زعماء المذهب طريق التقية أيضا فى معالجتهم لهذا الأمر، فىنسبون التجريح والسب والشتم إلى جهال الشيعة، فى حين أن كتب الرواة والمحدثين والعلماء والفقهاء من الشيعة الإمامية هي التي ذكرت تلك الأقوال، ومنها تسربت إلى قلب عامة الشيعة ولسانها»^(١).

ومنذ ظهرت التقية فى الفكر الشيعى والشيعة يعانون من سلوك سيء يحدث آثارا نفسية غير محمودة، ومن آثارها تلك الازدواجية التي تحدث فى الشخصية بين القول والفعل.

ويرى بعضهم تخصيصها بالفروع؛ فقد نُقل عن الإمام الخميني أنه قال: «التقية حرام، وإظهار الحقائق واجب مهما كانت النتيجة، ولا ينبغي على فقهاء الإسلام استعمال التقية فى المواقف التي تجوز فيها التقية لغيرهم، وإن التقية تتعلق بالفروع، لكن حينما تكون كرامة الإنسان فى خطر، وأصول الإسلام فى خطر فلا مجال للتقية والسكون! ووالله إن من لا يصرح بالحقائق لآثم، والله إن من لا يشكو لمرتكب للكبيرة»^(٢).

ويرى البعض أن التقية كانت فى وقت ما من الأوقات حيث كان الشيعة فى حاجة إليها، نظرا للضغوط التي كانت تمارس عليهم، وأنها فى الوقت الحاضر أصبحت لا حاجة إليها نظرا لارتفاع هذه الضغوط.

يقول محمد جواد مغنية: «التقية كانت عند الشيعة حيث كان العهد البائد عهد الضغط والطغيان، أما اليوم حيث لا تعرض للظلم فى الجهر بالشيعة فقد أصبحت

(١) المرجع السابق ٥٨.

(٢) الثورة الإيرانية الجذور الأيديولوجية، الدكتور/ إبراهيم الدسوقي شتا ٤، نشر الوطن العربى

التقية فى خبر كان»^(١).

ويقول السيد محمد حسين فضل الله: «ليس هناك تقية الآن عند الشيعة، لأن التقية كانت حركة تنطلق من واقع معين، لأن الوضع السياسى كان لا يسمح للشيعى بأن يعبر عما فى نفسه، أما الآن فليس هناك مجال للتقية كلية»^(٢).

وهكذا فرفض مسألة التقية عند عدد من الإصلاحيين الشيعة يستند إلى كونها مسألة مبتدعة فى الفكر الشيعى، أو أن الأئمة يخالفونها فى أقوالهم وأعمالهم، وهؤلاء يرون أن الشيعة ابتدعوا مسألة التقية لأسباب سياسية أو اقتصادية، وآخرون يرون أن التقية كانت واردة فى الفكر الشيعى فى الأوقات التى عجز فيها الشيعة عن التعبير عن آرائهم بسبب ضغط الحكومات عليهم، فيظهرون خلاف ما يعتقدون، وأن هذا لا مجال له الآن فى ظل قدرة الشيعة على التعبير عن آرائهم وأفكارهم، فلا وجه للقول بالتقية فى العصر الحاضر.

وبناء على ما وجهه الإصلاحيون من نقد لمذهب الاثنا عشرية فى التقية نرى بطلان اعتقادهم فى التقية، وأنه لا يجوز التمسك بها أو الاستناد إليها.



(١) الشيعة فى الميزان ٥٢.

(٢) حوارات فى الفكر والسياسة والاجتماع، آية الله العظمى محمد حسين فضل الله ٤٧١، إعداد وتنسيق:

نجيب نور الدين. بدون بيانات.

الفصل السادس

دعوى تحريف القرآن

تتلخص دعوى تحريف القرآن في أن جمع من الشيعة يعتقدون أن القرآن الكريم تعرض للتحريف على أيدي بعض الصحابة؛ وذلك بحذف الآيات التي تحدثت عن فضائل أهل البيت وإمامة علي عليه السلام ، وقد وردت روايات في كتب الحديث الشيعية تثبت التحريف، وقد جمع النوري الطبرسي ذلك كله في كتابه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) (*).

والحقيقة أن أكثر قول تعرض للإصلاح والنقد داخل مذهب الشيعة هو القول بتحريف القرآن، فقد قام العلماء قديما وحديثا بإبطال هذه الدعوى، وبيان سلامة القرآن من الزيادة والنقصان.

وينبغي هنا التنبيه على أن إدعاء الشيعة تعرض القرآن الكريم للتحريف ثابت عنهم، فروايات التحريف موجودة في كتبهم المعتمدة عندهم، نعم يمكن القول بأنه لم يُجمع الشيعة على هذه الدعوى فبعضهم ينكرها.

وعلى هذا فإن إنكار بعضهم هذه الدعوى لا يعد تصحيحا، وإنما تصحيحها يكون بالاعتراف بوجود هذه الروايات والرد عليها، وبيان أنها لا تمثل المذهب الشيعي الصحيح في المسألة.

وقد تصدئ المصلحون لهذه الدعوى من خلال مناقشة القضايا الآتية:

(*) للمزيد حول هذه المسألة انظر: التمهيد، مبحث «تحريف القرآن».

١- دوافع القول بالتحريف:

وردت في كتب الحديث الشيعية روايات يُذكر فيها تعرض القرآن الكريم للتحريف، وقد كشف الإصلاحيون عن دوافع الشيعة إلى إيراد هذه الروايات، فقد قيل إن دافعهم إنما هو الرد على القائلين بعدم وجود نص قرآني يذكر إمامة علي عليه السلام، فذكر روايات التحريف إشارة إلى أن النص على إمامة علي ذكر في القرآن الكريم، لكنه تعرض للحذف من قبل من اغتصبوا منه الخلافة.

يقول موسى الموسوي: «والمتتبع المنصف لا يشك أبداً أن السبب الذي حدا بالمحدثين أن يذهبوا إلى تحريف الكتاب هو الاستدلال بآيات منصوطة في إمامة علي كانت مذكورة في السور والآيات المحرفة على حد زعمهم، وبذلك كان بعض أعلام الشيعة يدافع عن عدم وجود نص إلهي في القرآن حول الإمامة بتلك الآيات المزعومة التحريف»^(١).

ويرى بعضهم أنهم يصرون على القول بتحريف القرآن لإبعاد الناس عن فهم معناه الحقيقي، حتى يظلوا مسيطرين على عقول الناس بالخرافة والأساطير، ولأنهم يخالفون القرآن حينما يتبعون مقاصدهم وأهواءهم ويتركون حكم القرآن، مع أن القرآن لا يأمر إلا بطاعة الله، ولا يدل إلا على إصلاح النفس والتقوى ونحوه من الفضائل.

يقول شريعت سنكلجي: «هم مضطرون لإنكار حجية القرآن، حتى لا تعطل أسواق باطلهم وحوانيت الضلالة والبدعة، وحتى يضمنوا سيطرة الخرافات والأوهام على عقول الناس»^(٢).

(١) الشيعة والتصحيح ١٣١.

(٢) توحيد العبادة، شريعت سنكلجي ٣٥ عناية وتحقيق: خالد بن محمد البديوي. أشرف على الترجمة:

عبد الله جمعة البلوشي، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م.

٢- رد الروايات الدالة على التحريف:

الاعتقاد بحفظ القرآن الكريم من التحريف مسألة عقديّة عند جمهور المسلمين، تستند إلى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر: آية ٩] لا يُتصور نقضها مطلقاً، والروايات الواردة في الدلالة على تحريف القرآن الكريم كلها روايات لا تنهض لتقوية هذه الدعوى.

يقول آية الله السيد حسن طاهري الخرم آبادي^(١): «إن الذين يدعون حذف آية تدعى (آية الولاية) لا يدعون أمراً هيناً، بل هو أمر كبير لا يمكن إثباته بخبر الواحد، بل إن القول بزيادة القرآن ونقصه من المسائل الأصولية والاعتقادية، لذا ينبغي إثباتها براهين محكمة... ومن جانب آخر فإن بعض الذين نقلوا روايات التحريف في كتبهم ولم يبدوا رأياً فيها قد ردوها في كتبهم الأخرى، وأعربوا صراحة عن إيمانهم بعدم تحريف القرآن فيها»^(٢).

وينبغي النظر إلى الوقت الذي حدث فيه التحريف، ثم السبب الذي من أجله حدث التحريف.

يقول: «إن زمن حصول التحريف الذي يدعيه البعض لا يخرج عن عهدين: أحدهما: زمن الخلفاء الراشدين، ثانيهما: زمن بني أمية. كما أن هناك ثلاثة احتمالات للتحريف:

(١) السيد حسين طاهر الخرم آبادي، ولد ١٣٥٧هـ في خرم آباد بإيران، يقوم حالياً بالتدريس بالحوزة العلمية في قم، له مؤلفات بالفارسية.

<http://www.al-shia.org/html/ara/ola/index.php?mod=hayat&id=39>

(٢) تحريف القرآن أسطورة أم واقع. آية الله السيد حسن طاهري الخرم آبادي ٥١، نقله إلى العربية: تحسين بدري، مركز التحقيقات والدراسات العلمية التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. إيران. الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

الأول: ألا يكون التحريف متعمداً.

الثاني: أن يكون التحريف متعمداً وتكون الآيات المسقطه ليست ذات طابع سياسي.

الثالث: أن يكون التحريف بدافع سياسي.

وهذه الاحتمالات مردودة من وجهة نظرنا، ولكل منها رد خاص^(١).

إذن فاحتمالات التحريف غير واردة على الإطلاق، وعلى هذا فالروايات الواردة في هذه المسألة ينبغي فحصها ومناقشتها وإبطالها، وذلك إما لكونها أخبار آحاد لا يثبت بها اليقين، أو أن الرواة الذين نقلوها ليسوا موثوقين بل كذابين وضاعين، أو أن المراد بالتحريف فيها شيء آخر غير الزيادة والنقصان، وعندئذ تؤول هذه الأخبار بما لا يتنافى مع سلامة النص القرآني.

يقول محمد حسين آل كاشف الغطاء: «إن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه ﷺ للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ يرده نص الكتاب العظيم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، فإما أن تؤول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار»^(٢).

ويمكن بيان الرد على هذه الروايات القائلة بالتحريف من أوجه كثيرة: من ناحية

(١) المرجع السابق ١٠٠ بتصرف.

(٢) أصل الشيعة وأصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة. ١٤٣-١٤٤.

السند، ومن ناحية المتن، ثم من ناحية دلالة النص على التحريف، وهذه إشكالات تزدُّ هذه الروايات.

يقول آية الله طاهرى الخرم آبادي:

«فى الروايات التى تبدو دالة على التحريف إشكالات أساسية من الحيثيات التالية:

الأول: من حيث السند فجعلها ضعيفة ولا يمكن الوثوق بها.

الثانى: مداليلها لا تصلح لأن تكون قرائن على التحريف.

الثالث: إذا تجاوزنا عن الإشكاليين المتقدمين فإن مضامينها تتنافى مع آيات القرآن الدالة على نفي التحريف زيادة ونقصانا»^(١).

ومجرد ذكر هذه الروايات فى كتب الحديث الشيعية لا يعنى تصحيحهم لها ما لم ينظر فى هذه الروايات، وتطبق عليها شروط الصحة المعتمدة.

يقول رسول جعفرىان^(٢): «إن ذكر الروايات ونقلها فى الكتب لا يعنى الاعتراف الضمنى بصحتها لا سيما عند عامة الإمامية... وخلاصة الأمر هى أن الشيعة لا يعتقدون بصحة جميع مروياتهم، ولذا ذكروا إسناد الحديث لكى ينظر المحقق ويتحقق - بعد إمعان النظر فى رجال الحديث أو غير ذلك من المزايا - من صحة الحديث وضعفه، وهذا ما ينسحب على كتاب الكافى وغيره من كتب الشيعة»^(٣).

(١) تحريف القرآن أسطورة أم واقع، آية الله السيد حسن طاهرى الخرم آبادي. ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) عالم شيعى معاصر.

(٣) أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة، رسول جعفرىان ٧٨، تقديم د/ محمد عمارة، مكتبة الناظفة،

القاهرة، الأولى ٢٠٠٦ م.

٣- إبطال دعوى اختصاص علي بمصحف:

«من الدعاوى التي أثارها فريق من الشيعة أن لعلي عليه السلام مصحفا يختلف عن باقي المصاحف المتداولة بين المسلمين، يشتمل على الآيات التي أسقطت من المصاحف الأخرى والدالة على فضل أهل البيت وإمامة علي، وهذه دعوى أيضا لا تثبت أمام النقد العلمي الجاد، لأنه لو فرض ذلك حقا لعمل الإمام علي من أجل إخراج هذا المصحف للناس، ولما أبقاه في بيته بعيدا عن استفادة الناس منه، فإن مسألة القرآن من المسائل التي لا تحتمل التقية لا سيما من أمير المؤمنين عليه السلام، فليس من الطبيعي ألا يعمل بكل ما عنده من طاقة لإخراج القرآن إلى الناس، والدفاع عن أية شبهة لا سيما أيام خلافته»^(١).

وبالنظر إلى هذا المصحف الذي يدعيه بعضهم لعلي عليه السلام ومحتوياته، تبرز لنا إشكالية في غاية الأهمية، هل كان هذا المصحف شيئا آخر غير القرآن أم أنه موافق لما في كتاب الله تعالى؟، وكلا الأمرين محال عقلا.

يقول أبو الفضل البرقي: «هذه الصحيفة التي بحوزة الإمام هل كانت تخالف القرآن أم توافقه؟ فإن كانت توافق القرآن فلا معنى لوجودها أصلا، أما إن كانت تخالفه فيجب أن تضرب بالحائط ولا يعتد بها إطلاقا، ثم هل نستنتج من هذا أن عليا عليه السلام حين كان يخطب في نهج البلاغة في الخطبة رقم (١٧): (وليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى)^(٢)، أم تراه كان يحتاج حقا لتلك الصحيفة بعد القرآن؟!»^(٣).

(١) انظر: آفاق الروح، محمد حسين فضل الله ١/٣١٩..

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠/١٨.

(٣) كسر الصنم ٢١٩.

ثم إن إخفاء الإمام علي لهذا المصحف عن أعين الناس يسىء إليه أكثر مما يعد محمداً له، لأنه بذلك قد أخفى أحكاماً إلهية يجب أن يطلع الناس عليها.

يقول موسى الموسوي: «فى الحقيقة أساءوا إلى الإمام من ناحية أخرى فعرفوا الإمام بأنه يخفى أحكاماً إلهية فيها حدوده وحلاله وحرامه وكل ما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة ولم يدل بها إلا لأولاده الذين هم الأئمة، والأئمة بدورهم أخفوها عن المسلمين وحتى عن شيعتهم إلى أن اختفت كل تلك العلوم باختفاء الإمام الثاني عشر» (١).

والصحيح فى مسألة مصحف علي عليه السلام، أنه كان له مصحف لكنه لا يختلف عن المصحف الذى بأيدي المسلمين إلا من حيث ترتيب السور واشتماله على بعض التفسير والتأويل.

يقول السيد حسن طاهري: «يمكن استفادة الفوارق التالية بين المصحف المتداول بين المسلمين ومصحف علي عليه السلام:

- ١- ترتيب مصحف علي وفق ترتيب النزول لا وفق ترتيب القرآن الدارج.
 - ٢- قد يختلف من حيث القراءة مع القراءات الدارجة للقرآن.
 - ٣- يشتمل على تفسير الآيات وتأويلها وفقاً لما أملاه الرسول صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين، المراد من التأويل هو ذكر المصاديق أو بيان الآيات وإيضاحها.
- وعليه لا تدل أي من الروايات المذكورة على اشتمال مصحف علي عليه السلام على آيات أكثر من الآيات الواردة فى المصحف الدارج. مضافاً إلى ما تقدم فإن أسانيد هذه الروايات غير صحيحة، وتضم رجالاً ضعفوا فى الكتب الرجالية» (٢).

(١) الشيعة والتصحيح ١٣٤.

(٢) تحريف القرآن أسطورة أم واقع، آية الله السيد حسن طاهري الخرم آبادي ١٢٥.

٤- كتب شيعية تنقض دعوى التحريف وترد على كتاب (فصل الخطاب):

لما كتب النوري كتابه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) الذي يحاول فيه إثبات تعرض القرآن الكريم للتحريف^(١) تصدى علماء التصحيح للرد على هذا الكتاب وتفنيده ما به من أخطاء، حتى قالوا بتحريم طبعه.

يقول أحمد الكاتب: «لا يعتد علماء الشيعة على ما في هذا الكتاب من تحريف كتاب رب الأرباب، وحرّموا طبع هذا الكتاب، وكأنهم عدوه من جملة كتب الضلال»^(٢).

واعتبر بعضهم صاحب الكتاب حاطب ليل، يجمع كل ما تقع عليه يده دون تمحيص أو نقد، أو نظر في الإسناد أو المتن وهذا شأن من يتصدى لمجرد الجمع والتأليف دون فحص وتحقيق.

وقد ذكر بعض الشيعة أن العلماء المعاصرين له قد انتقدوا فعله وهاجموه بشده حتى اضطر إلى سحب الكتاب من الأسواق»^(٣).

(١) جمع المؤلف في هذا الكتاب مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهدتهم في مختلف العصور بأن القرآن قد زيد فيه ونقص منه. وقد طبع كتاب الطبرسي هذا في إيران سنة ١٢٩٨ هـ.

ومما استشهد به على وقوع النقص من القرآن إيراده في الصفحة ١٨٠ من كتابه سورة تسميها الشيعة (سورة الولاية) مذكور فيها ولاية علي «يا أيها الذين آمنوا بالني، والولي الذين بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم... الخ». انظر: الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الاثنى عشرية. محب الدين الخطيب ١٠ المطبعة السلفية.

(٢) السنة والشيعة وحدة الدين خلاف السياسة والتاريخ ٤٠. ناقلا عن: الندوة العلمية الدولية حول التشيع ٢٠٠٨.

(٣) دفاع عن القرآن الكريم، محمد رضا الجلاي ١٣٨، الهدف للإعلام والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.

وعند ظهور الكتاب ثارت ثائرة علماء الشيعة كما روى ذلك هبة الدين الشهرستاني^(١) في رسالته إلى الميرزا البروجردي^(٢) وهو يصف له حال سامراء بعد ظهور الكتاب: «كنت أراها تموج ثائرة على نزيلها المحدث النوري بشأن تأليفه كتاب فصل الخطاب، فلا تدخل مجلسا في الحوزة العلمية إلا ونسمع الضجة ضد الكتاب ومؤلفه وناشره يسلقونهم بالسنة حداد»^(٣).

وقد قام علماء الشيعة بتأليف الكتب في الرد عليه، وإثبات سلامة النص القرآني الكريم من التحريف، وإبطال الشبه التي أثارها في كتابه، وهذه بعض أسماء الكتب التي صدرت للرد عليه، ولإثبات سلامة القرآن من التحريف:

- ١- كشف الارتباب في عدم تحريف كتاب ربّ الأرباب، تأليف محمود بن أبي القاسم، المشتهر بالمعرب الطهراني (ت / ١٣١٣ هـ.)، وقد كتبه رَحِمَهُ اللهُ فِي سنة ١٣٠٣ أي بعد أقل من أربع سنوات على نشر كتاب فصل الخطاب.
- ٢- حفظ الكتاب الشريف من شبهة القول بالتحريف، تأليف هبة الدين السيد محمد حسين الشهرستاني (ت / ١٣١٥ هـ.).
- ٣- تنزيه التنزيل، تأليف علي رضا حكيم خسرواني (تأليف سنة ١٣٧١ هـ.).
- ٤- الحججة على فصل الخطاب في إبطال القول بتحريف الكتاب، تأليف عبدالرحمن المحمدي الهيدجي (تأليف سنة ١٣٧٢ هـ.).

(١) السيد هبة الدين الشهرستاني، نشأ في كربلاء وهاجر إلى النجف، هاجم بعض التقاليد الشيعية وثارته بينه وبين السيد عبد الحسين شرف الدين سجالات عدة، من مؤلفاته: نهضة الحسين، الهيئة والإسلام. أعيان الشيعة ١٠/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٢) الشيخ حسين البروجردي، توفي ١٣٥٤ هـ، عالم فقيه أصولي، كان مرجع بروجرد إلى أن توفي ودفن بقم. أعيان الشيعة ٥/ ٤٦٠.

(٣) العلاقة بين السنة والشيعة. الدكتور / محمد سليم العوا ٢٤ دار سفير الدولية ٢٠٠٦ م.

٥- البرهان عليّ عدم تحريف القرآن، تأليف الميرزا مهدي البروجردي (تأليف سنة ١٣٧٤ هـ).

٦- آلاء الرحيم في الردّ عليّ تحريف القرآن، تأليف الميرزا عبد الرحيم المدرس الماهر الخياباني (تأليف سنة ١٣٨١ هـ).

٧- بحر الفوائد في شرح الفرائد (في ضمن بحث حجية ظواهر القرآن)، تأليف الميرزا محمد حسن الآشتياني (تأليف سنة ١٣١٩ هـ).

٨- آلاء الرحمن في تفسير القرآن (مقدمة الكتاب)، تأليف الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي (تأليف سنة ١٣٥٢ هـ).

٩- البيان في تفسير القرآن (مقدمة الكتاب) تأليف آية الله السيد أبو القاسم الخوئي (تأليف ١٤١٣ هـ).

١٠- تهذيب الأصول (ضمن بحث حجية ظواهر القرآن) وأنوار الهداية، تأليف الإمام روح الله الخميني (ت / ١٤٠٩ هـ).

١١- صيانة القرآن عن التحريف، تأليف الأستاذ محمد هادي معرفة ط. ١٤١٦ هـ.

١٢- القرآن الكريم وروايات المدرستين (ثلاث مجلدات)، تأليف آية الله السيد مرتضى العسكري ط. ١٤٢٠ هـ.

١٣- حقائق هامة حول القرآن الكريم، تأليف السيد جعفر مرتضى العاملي.

١٤- التحقيق في نفي التحريف، تأليف السيد علي الميلاني ط. ١٤١٥ هـ.

١٥- أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة، تأليف رسول جعفریان، ط

١٤١٣ هـ.

(١) انظر: سلامة القرآن من التحريف ونقد الافتراءات على الشيعة الإمامية، الدكتور / فتح الله المحمدي

وقد نشرت الجمهورية الإيرانية هذا الكتاب الأخير بإشراف (معاونة العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي)، وأعيد طبعه في جمهورية مصر العربية بتقديم الدكتور/ محمد عمارة.

وقد نقل الشيخ رسول جعفریان في هذا الكتاب عن نحو ثلاثين من علماء الشيعة وكبار مراجعهم ينفون فيها القول بالتحريف، وينكرونه، ويرون حفظ القرآن من الزيادة أو النقص.

ونشر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بإيران (مركز التحقيقات والدراسات العلمية) كتاب (تحريف القرآن أسطورة أم واقع) تأليف: آية الله السيد حسن طاهري الخرم آبادي، ونقله إلى العربية السيد: تحسين البدري.

يبقى بعد ذلك أن أشير إلى بعض مسائل علق عليها الإصلاحيون تتعلق بصلة الشيعة بالقرآن الكريم من وجوه عدة:

أولاً: اهتمام الشيعة بالنصوص الحديثية على حساب القرآن الكريم:

تم إهمال النص القرآني في الاستدلال لصالح النصوص الواردة عن الأئمة، حتى صارت النصوص الحديثية الخاصة بهم لها من القداسة ما قد يطغى على القرآن الكريم، وهذا ما أشار إليه البرقي حيث:

«شدد النكير على علماء الدين الشيعة إذ بدل رجوعهم إلى النص القرآني في حال اختلافهم مع المسلمين رجعوا إلى أحاديثهم الخاصة، واعتبروها المعيار لهم فأدئ ذلك إلى نتائج سلبية فاحشة»^(١).

(١) نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي التكون والصورورة، حيدر حب الله ٦٤٨. دار الانتشار العربي -

وقد أدى ذلك إلى تفشي الجهل بالقرآن في صفوف الشيعة، مما أدى إلى انتشار الخرافة والغلو الشائعين في الثقافة الشيعية على وجه العموم.

وقد كان جهل الناس بالقرآن الكريم سببا في كل هذا الزيف والتضليل الذي حصل في الثقافة الشيعية، إضافة إلى الجهد الذي مارسه ويمارسه علماء الدين لإبداء النص القرآني غامضا ذا بطون^(١).

ثانيا: إفراط الشيعة في تأويل القرآن الكريم:

بالغ الشيعة في التفسير الباطني مبالغة جعلت كتاب الله تعالى غير مفهوم إلا من خلال هذا التفسير، وأكثر تأويلاتهم كانت خاصة بآل البيت.

يقول أحمد الكسروي: «وقد أفرطوا في ذلك إفراطا لا مزيد عليه، فترون أنهم جعلوا القرآن الكريم كديوان شعر مادح هاج، فكل آية فيها بشارة أو ذكر نعيم جعلوها في علي، وكل آية فيها إنذار أو ذكر عذاب جعلوها في عمر وأبي بكر»^(٢).

ثالثا: إهمال تدريس القرآن الكريم في الحوزات العلمية:

هذه شكوى قائمة من المناهج التعليمية في الحوزة العلمية، حيث لا يؤمر الطالب بحفظ كتاب الله تعالى، ولا يُدرس تفسير القرآن في أي مرحلة من مراحلها.

يقول جعفر الباقر^(٣): «الملاحظ عدم التوجه المطلوب لعلوم هذا الكتاب الشريف، وعدم منحه المقام المناسب في ضمن الاهتمامات العلمية في (الحوزة العلمية)، بل وإنه لم يدخل في ضمن المناهج التي يعتمدها طالب العلوم الدينية طيلة

(١) المرجع السابق ٦٤٧.

(٢) التشيع والشيعة ٨٩.

(٣) أستاذ في الحوزة العلمية في قم.

مدة دراسته العلمية، ولا يختبر في أي مرحلة من مراحل سيره العلمي بالقليل منها ولا بالكثير»^(١).

هذا الإعراض عن القرآن الكريم تدريسا وحفظا وتفسيرا في الحوزة العلمية أحدث مشكلات علمية كبيرة لدى طلاب العلم، وهو ما حذر منه مرشد الجمهورية الإيرانية علي خامنئي^(٢) حيث نُقل عنه:

«إن الانزواء عن القرآن الذي حصل في الحوزات العلمية، وعدم استئناسنا به أدى إلى إيجاد مشكلات كثيرة في الحاضر، وسيؤدي إلى مشكلات في المستقبل، وإن هذا البعد عن القرآن الكريم يؤدي إلى وقوعنا في قصر النظر»^(٣).

ويبدو أن هذه الممارسات من الاهتمام بنصوص الحديث على حساب القرآن، والإفراط في التأويل، وإهمال تدريس القرآن في الحوزة العلمية كان ناتجا طبيعيا لانتشار القول بتحريف القرآن في صفوف الشيعة مما أدى إلى هذه النتائج الخطيرة المتعلقة بالقرآن.

وبعد هذه الجولة في آراء دعاة التصحيح في مسألة تحريف القرآن نخلص إلى النتيجة التي ذكرها السيد محمد حسين فضل الله فيمن يدعي هذه الدعوى:

(١) ثوابت و متغيرات الحوزة العلمية، جعفر الباقرى ١٠٩. دار الصفوة - بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) هو «آية الله العظمى السيد علي الحسيني الخامنئي» ولد عام ١٩٣٩م، مرشد الثورة الإيرانية، أحد المرجعيات الدينية الشيعية في إيران وللشيعة في العالم الإسلامي عموماً.

انظر: موقع السيد الخامنئي: <http://www.leader.ir/langs/AR/index.php>

(٣) خطاب لسماحة آية الله العظمى علي خامنئي، نقلا عن: ثوابت و متغيرات الحوزة العلمية ١١٠ -

«كل من يلتزم بتحريف القرآن هو إنسان ينحرف عن النص القرآنى والتسالم بين المسلمين، وإذا كان هؤلاء يتعمدون ذلك فإنهم يسرون فى خط الكفر»^(١).

وبهذا يتضح أن القول بتحريف القرآن عند فريق من الشيعة قد لاقى إصلاحاً ونقداً من الإصلاحيين داخل المذهب، وكذلك من مراجع الشيعة وعلمائها التقليديين الذين يصرحون بنفى التحريف ويعتقدون بسلامة القرآن الكريم من الزيادة والنقصان.



(١) حوار صحيفة عكاظ مع السيد محمد حسين فضل الله. بتاريخ ١٣/٣/٢٠٠٨.

الفصل السابع

الموقف من الصحابة

يرى الاثنا عشرية أن الصحابة أخطئوا بعد وفاة الرسول ﷺ حيث لم يبايعوا عليا بالخلافة، وغالى بعضهم فاعتقد ارتداد الصحابة جميعا إلا عدد يسير منهم، وبناء على ذلك فإنهم يصفون الصحابة - وخصوصا أبا بكر وعمر - بأبشع الصفات (*). وتظهر جهود المصلحين فى هذه القضية من خلال مناقشة المسائل الآتية:

١- دوافع موقف الشيعة من الصحابة:

يرجع موقف الشيعة من الصحابة رضوان الله عليهم إلى الفتنة الكبرى التي حدثت وانجلت بانقسام المسلمين إلى طوائف متعددة كان منها طائفة الشيعة التي بدأت منذ ذلك الحين موقفها المشين من الصحابة.

يقول أحمد الكاتب: «إن النقد والسب واللعن والتكفير والالتهام بالردة والنفاق كان إفرازا من إفرازات الفتنة الكبرى التي عصفت بالمسلمين مع الأسف الشديد»^(١).

ويضاف إلى ذلك سبب آخر له تعلق بالجانب السياسى، ألا وهو فتح المسلمين لبلاد فارس والروم، مما خلق حالة من العداء بين بعض أهل هذه البلاد الذين دخلوا فى الدين ظاهرا وبين الصحابة الفاتحين رضوان الله عليهم، خاصة إذا علمنا أن بعض أصول التشيع فارسية - كما تقدم فى التمهيد -.

(*) انظر: التمهيد. عقائد الشيعة: الصحابة.

(١) السنة والشيعة وحدة الدين خلاف السياسة والتاريخ ١٧١.

يقول إسماعيل الخوئي^(١): «الصحابة أسقطوا ممالك الفرس والروم مما دفع بعض أصحاب هذه الأمم المنهزمة إلى الحقد عليهم، فقاموا بالتستر باسم المذهب الشيعي والطعن في هؤلاء الذين نشروا الدين»^(٢).

ويمكن أن يكون دافع سب الصحابة رضوان الله عليهم إسقاط حجية القرآن الكريم بتكذيبه، باعتبار أنهم الذين نقلوا إلينا كتاب الله تعالى.

يقول حيدر قلمداران: «إن تصديق رواية (لما قبض النبي ارتد الناس إلا ثلاثة أو سبعة) وأمثالها يؤدي إلى تكذيب جميع الآيات القرآنية الكريمة السابقة - في فضل الصحابة - أو إلى اتباع البدعة التي وضعها بعض أعداء الإسلام لإسقاط الكتاب المجيد عن الحجية بادعائهم أن كتاب الله غير قابل للفهم البشري، وأننا لا نستطيع أن نفهم منه المراد الحقيقي»^(٣).

٢- حرمة سب الصحابة:

تعددت فتاوى علماء الشيعة ومراجعهم في العصر الحديث تحرم سب الصحابة رضوان الله عليهم، وتحفظ لهم حقهم ومكانتهم، ومن أمثلة ذلك:

(١) العلامة إسماعيل آل إسحاق الخوئي: توفي ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م أحد الأبناء التسعة للشيخ آية الله عبد الكريم الخوئي مؤلف كتاب (كفاية الأصول) بالفارسية، ولد ١٩٣٧ م، درس في قم والنجف كان مشغولاً بالتأليف والكتابة في نقد وإصلاح المذهب الشيعي، وتعرض لعدد من المضايقات حتى سُجن، له مؤلفات عديدة منها: الموسوعة القرآنية، البحث في المذاهب والأديان، تبيين الإسلام.

انظر: موقع صحوة الشيعة <http://www.newshia.com/news.php?action=show&id=4>.

(٢) الموسوعة القرآنية، إسماعيل آل إسحاق الخوئي ٢١٩.

(٣) طريق الاتحاد ٢٨.

أ- آية الله علي الخامنئي مرشد الجمهورية الإيرانية:

«سئل عن حكم سب الصحابة والخلفاء الراشدين؟ فأجاب: أي قول أو فعل أو سلوك يعطي الحجة والذريعة للأعداء، أو يؤدي إلى الفرقة والانقسام بين المسلمين هو بالقطع حرام شرعاً».

وقد طالبت السلطات الإيرانية بتعميم الفتوى وإرسالها إلى وسائل الإعلام المختلفة (١).

ب- السيد محمد حسين فضل الله:

صرح في أكثر من حوار صحفي بحرمة سب الصحابة، فقال: «أحرم سب أي صحابي كان؛ لأن الله سبحانه وتعالى تحدث عن الصحابة ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُسَبِّحِينَ فَضَلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [سورة الفتح: آية ٢٩] يحرم أن نسب أي صحابي بما فيهم الخلفاء الراشدين» (٢).

وقال في موضع آخر: «لا يجوز تحت أي اعتبار من الاعتبارات أن نسب الصحابة، أو أن نسيء إليهم لأنهم عاشوا مع رسول الله ﷺ، وعملوا معه، وجاهدوا معه، وعلينا أن نتعامل معهم كما تعامل الإمام علي» (٣).

ج- حسين يوسف العاملي:

حيث يقول: «لا نسوغ لأحد أن يسبهما (الشيخين)، ولا أن يتحامل على مقامهما، ولا أفتينا لأحد بجواز سبهما، فلهما عندنا من المقام ما يقتضي الإجلال والاحترام،

(١) انظر: صحيفة الأهرام المصرية. عدد رقم ٤٣٨١٦ بتاريخ ٢٣/١١/٢٠٠٦ م.

(٢) حوار مع صحيفة عكاظ السعودية. عدد رقم ٢٤٥٤ بتاريخ ٦/٣/٢٠٠٨ م.

(٣) حوار مع صحيفة المدينة السعودية عدد رقم ١٦٠١١، بتاريخ ٥ من صفر ١٤٢٨ هـ ٢٣ من

وإننا نحرص كل الحرص على تدعيم قواعد المودة والألفة بين المسلمين»^(١).

د- موسى الموسوي:

حيث يقول: «لا يجوز تجريح الخلفاء وذمهم بالكلام البذيء الذي نجده في أكثر كتب الشيعة، الكلام الذي يغير كل الموازين الإسلامية والأخلاقية، ويناقض حتى كلام الإمام علي ومدحه وتمجيده في حقهم، ويجب على الشيعة أن تحترم الخلفاء الراشدين وتقدر منزلتهم من الرسول ﷺ»^(٢).

هـ- الشيخ حسن الصفار^(٣):

حيث يقول: «إذا كان من حق الشيعة أن تكون لهم رؤيتهم وقناعتهم فليس من حقهم الإساءة إلى رموز ومقدسات الطرف الآخر، إن ذلك يشكل انحرافاً عن تعاليم الدين وأدابه، ويؤدي إلى الفتن وتخريب وحدة الأمة، ومن هنا نعتبر الإساءة بالسب والشتم للخلفاء الراشدين عملاً محرماً خاطئاً، لا يصدر إلا من جاهل أو مغرض»^(٤).

هذه بعض آراء وفتاوى علماء الشيعة الإصلاحيون في مسألة سب الصحابة،

(١) عقيدة الشيعة الإمامية في الإمام الصادق، حسين يوسف مكي العمالي ١٩. دار الأندلس. بيروت. الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.

(٢) الشيعة والتصحيح ٤٨.

(٣) الشيخ حسن بن موسى بن الشيخ رضي الصفار، من مواليد مدينة القطيف بالسعودية عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م، تعلم في النجف الأشرف ثم قم، له مؤلفات كثيرة منها: التسامح وثقافة الاختلاف، التعددية والحرية في الإسلام، التنوع والتعايش.

انظر: موقعه على الشبكة: <http://www.saffar.org/?act=sec&pg=resume>

(٤) السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل، الشيخ حسن الصفار ٥٣. مؤسسة المعارف للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م. وأصل الكلام: حوار مع موقع إيلاف الإلكتروني بتاريخ: الجمعة ٢١ نوفمبر ٢٠٠٣م، ثم طبع في الكتاب المذكور.

وتشددهم فى إنكاره وتحريمه، وتأكيدهم على منزلة الصحابة وعدالتهم وقدرهم وصحبتهم للنبي ﷺ.

٣- سب الصحابة تكذيب للقرآن:

نزلت آيات كثيرة فى كتاب الله تعالى تمدح الصحابة وتثني عليهم، وتعددهم بالمغفرة والرضوان من الله تعالى، وقد توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وبناءً على هذا فإن التعرض لهم بالسب والشتم مناقض لكتاب الله عز وجل، ومناف لمدح النبي ﷺ لهم.

يقول البرقي: «إذا كانوا كفاراً ومرتدين فبمن تتعلق هذه الآيات التي تثنى على المهاجرين والأنصار؟ هل توفى كل هؤلاء المهاجرين والأنصار الذين أثنى الله عليهم فى زمن النبي ﷺ؟ أم أنهم خافوا من أبي بكر وعمر؟ قولوا لنا: هل كان جيش أبي بكر سوى هؤلاء المهاجرين والأنصار؟ هل يمكن أن يكون الله سبحانه قد مدح المهاجرين والأنصار إلى هذا الحد ووعدهم بالمغفرة والجنة ثم كان يجهل -نعوذ بالله- عاقبة أمرهم من أنهم سيرتدون كما يدعي الغلاة وأنهم سوف يغضبون حق علي» (١).

ويترتب على القول بمخالفة الصحابة لأمر النبي ﷺ بعد وفاته وعصيانهم، إما تكذيب القرآن الكريم فى مدحه إياهم، أو القول بعدم علم الله تعالى بما سيحدث منهم -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-.

وهذه النتائج المترتبة على القول بارتدادهم أو تغييرهم للأحكام لا يمكن أن تخطر على بال مسلم على الإطلاق.

(١) كسر الصنم ٢١٧.

يقول القاضي: «إذا كان الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة: أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم قد توفي الرسول ﷺ وهو عنهم راض، ونزلت فيهم آيات بالثناء تتلى، ثم انتكسوا وأركسوا في الفتنة بعد موت الرسول ﷺ، بل اتهموا بأنهم حرفوا القرآن وغيروا أحكام الدين، فهل كان الله يعلم أنهم سيتكسون بعد موت رسوله أم لا؟ إن كان يعلم ذلك - وهو الأمر الذي يعتقد كل مسلم من أن الله تعالى يعلم ما كان وما يكون - فما حكم الآيات التي تتلى وفيها ثناء عليهم، وهم صاروا عند الشيعة منافقين ومرتدين؟! فهل أراد الله المنزه عن كل عيب ونقيصه سبحانه وتعالى - وأستغفره من هذا القول - أن يخدع رسوله بمدحهم والرضا عنهم في القرآن ومصاهرتهم للرسول عليه الصلاة والسلام وثقته فيهم، ثم ينقلبوا بعد موته؟! أليس هذا ضربا من العبث الذي لا يجوز في حق الله سبحانه وتعالى وهو كفر، لماذا لم يذكر الله في القرآن صفاتهم الحقيقية وما سيؤول إليه وضعهم بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام» (١).

٤- إبطال دعوى ارتداد الصحابة إلا عدد يسير منهم:

يرى الإصلاحيون أن الروايات المذكورة في كتب الحديث الشيعية التي تتحدث عن ارتداد الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ إلا ثلاثة أو أربعة (٢)، أو على أقصى تقدير بضعة عشر نفرا روايات مكذوبة، فضلا عن كذب رواياتها فإنها تتضمن ما يشكك فيها، ويدل على أن واضعها أراد بها خدمة أهداف خاصة، واستدل بعضهم على ذلك بأنه: «لم يذكر في عداد الذين استثناهم من الارتداد العباس بن عبد المطلب عم علي عليه السلام، ولا أبناء العباس عبد الله والفضل وقثم، ولا خالد بن سعيد بن العاص،

(١) ربح الصحابة ولم أخسر آل البيت ٢٠.

(٢) تراجع هذه الروايات في التمهيد. مبحث «سب الصحابة».

والبراء بن عازب، وحذيفة بن اليمان والكثيرون الآخرون الذين تروى كتب الشيعة أنهم كانوا فى موضوع الخلافة بعد رسول الله من المؤيدين لخلافة علي، ومن المخالفين - فى ابتداء الأمر - لخلافة أبي بكر، لدرجة أن بعضهم اعتصم فى بيت فاطمة عليها السلام إظهاراً لرفضه وعدم رضائه عما تم، ولا ندرى ما هو ملاك الارتداد وعدمه عند واضع هذا الحديث»^(١).

ويتساءل بعضهم: «كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي، آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى فى سبيله ثم ناصروه فى حروبه ولم يرغبوا عنه بأنفسهم، ثم أى نفع لهم فى خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله، فأى الأمرين أسهل احتمالاً: أكذبُ رجل أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خُصَّ المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب»^(٢).

٥- إبطال روايات الطعن فى الصحابة:

بالإضافة إلى رواية ارتداد الصحابة فإن كتب الشيعة تمتلئ بالروايات التى تشتمل على إساءات للصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وهى كلها روايات منكرة ولا تصمد أمام الفحص العلمى الجاد، وقد قام أعلام الإصلاح برد تلك الروايات ومناقشتها، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أ- مناقشة وإبطال رواية كسر عمر ضلع الزهراء وإسقاط جنينها:

والرواية كما وردت فى كتب الحديث الشيعية:

عن سلمان وعبد الله بن العباس قالا: توفى رسول الله ﷺ يوم توفى فلم يوضع فى حفرة، حتى نكث الناس وارتدوا وأجمعوا على الخلاف، واشتغل علي برسول الله ﷺ

(١) المرجع السابق ٢٠.

(٢) التشيع والشيعة ٦٦.

حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووفي حفرته، ثم أقبل على تأليف القرآن وشغل عنهم بوصية رسول الله ﷺ. فقال عمر لأبي بكر: يا هذا إن الناس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرجل وأهل بيته فابعث إليه فبعث إليه ابن عم لعمر يقال له: قنفذ، فقال له: يا قنفذ انطلق إلى علي فقل له: أجب خليفة رسول الله، فبعثا مرارا وأبى علي أن يأتيهم، فوثب عمر غضبان ونادى خالد بن الوليد وقنفذا فأمرهما أن يحملا حطبا ونارا ثم أقبل حتى انتهى إلى باب علي وفاطمة، وفاطمة قاعدة خلف الباب، قد عصبت رأسها، ونحل جسمها في وفاة رسول الله ﷺ. فأقبل عمر حتى ضرب الباب ثم نادى: يا ابن أبي طالب افتح الباب! فقالت: فاطمة: يا عمر مالنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه، قال: افتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم، فقالت: يا عمر أما تتقي الله عز وجل تدخل على بيتي وتهجم على داري فأبى أن ينصرف، ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب ثم دفعه عمر فاستقبلته فاطمة وصاحت يا أبتاه يا رسول الله، فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت فرفع السوط فضرب به ذراعها فصاحت يا أبتاه. فوثب علي بن أبي طالب فأخذ بتلابيب عمر ثم هزه فصرعه ووجأ أنفه ورقبته، وهم بقتله، فذكر قول رسول الله ﷺ وما أوصاه به من الصبر والطاعة فقال: والذي كرم محمدا بالنبوة لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي، فأرسل عمر يستغيث. فأقبل الناس حتى دخلوا الدار فكاثروه وألقوا في عنقه حبلا فحالت بينهم وبينه فاطمة عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون بالسوط فماتت حين ماتت وإن في عضدها كمثل الدمليج من ضربته لعنه الله فألجأها إلى عضادة بيتها ودفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنيئا من بطنها فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت من ذلك شهيدة (١).

(١) بحار الأنوار ٤٣/١٩٧، ١٩٨. انظر: مظلومية الزهراء. السيد علي الحسيني الميلاني، مركز الأبحاث العقائدية، مأساة الزهراء عليها السلام شبهات وردود. العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي. مركز الأبحاث العقائدية.

وقد شكك في هذا الرواية السيد محمد حسين فضل الله قائلاً: «أنا لا أتفاعل مع الكثير من الأحاديث التي تقول بأن القوم كسروا ضلعها أو ضربوا وجهها، أو ما إلى ذلك، إنني أتحفظ في الكثير من هذه الروايات»^(١).

واستبعد من الإمام علي وهو بطل الأبطال أن يسكت ويتركهم يهجمون على الزهراء التي هي بنت رسول الله وهي وديعة رسول الله عنده بهذا الشكل وهو قاعد في البيت.

واستبعد أن تصدى لهم الزهراء وتفتح لهم الباب مع وجود الإمام وجاريتها فضة^(٢).

وقد تصدى لهذه الرواية حسن العلوي^(٣) في كتابه «عمر والتشيع ثنائية القطيعة والمشاركة» بقوله: «ليس معقولاً ولا لائقاً أن تتحدث الرواية عن إسراعها إلى الباب في تلك اللحظة، إن المهابة والمكانة والمناسبة اعتبارات تمنع وحيدة النبي أن تقترب من الباب بين أفواج من رجال قريش، ومن وضع الرواية تجاهل حزن الزهراء على فقد أبيها ووفاتها كمدا عليه في روايات أبعدنا زمناً ستة شهور، وتجاهل مهابتها فجعلها واحدة من المتخصصات في يوم الحزن، وأحال إسقاط الجنين إلى مصرع الباب بدلاً من أن يكون بسبب مصرع والدها النبي ﷺ مثلاً... لم يكن من عادات

(١) شريط مسجل بصوت السيد محمد حسين فضل الله. نقلاً عن: الحوزة العلمية تدين الانحراف. غير

م رقم الصفحات. http://www.mezan.net/Books_files/67/r67.html

(٢) المرجع السابق.

(٣) حسن نوري سلمان خلف العلوي، من مواليد بغداد ١٩٣٦م، تخرج من كلية الآداب ببغداد، عمل في حزب البعث، ثم تركه واهتم بالتأليف، من مؤلفاته: عمر والتشيع ثنائية القطيعة والمشاركة، الشيعة والدولة القومية. انظر: غلاف كتاب «عمر والتشيع ثنائية القطيعة والمشاركة» دار الزوراء. لندن. الطبعة الأولى يناير ٢٠٠٧م.

العرب رد المرأة على طارق الباب وفي البيت رجال آخرون، ولم يكن بيت علي قصرا من تلك القصور العباسية ذات الأبواب والحريم والجواري في العصور التي كتبت فيها الرواية حتى تخرج امرأة لطارق الباب، فهل يعقل أن تترك فاطمة حزنها المقيم وفجيعتها المرة لكي تفتح الباب أو تخرج إليه»^(١).

ب- مناقشة وإبطال دعوى جلوس علي في البيت من يوم وفاة الرسول ﷺ إلى وفاة عمر^(٢):

تزعم الرواية أن عليا رضي الله عنه قعد في بيته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله معترضا على تولية أبي بكر ومن بعده عمر، وأنه لم يخرج إلا بعد وفاة عمر لما كان في الستة الذين جعل عمر الشورى فيهم، وفي هذه الدعوى إساءة إلى أبي بكر وعمر؛ بل إساءة أيضا إلى علي.

وقد أبطل حسن العلوي هذه الرواية بقوله:

«كيف أسكت علي رواية تحجر الإمام جليس بيت مسلوب الإمكانات في أخطر مرحلة تأسيسية في تاريخ الإسلام معزولا عن المشاركة في الجهاد، تاركا لغيره لواءه فتدخل جيوش الفتح إلى العراق، وتقيم البصرة والكوفة، وتدخل الشام، وتفتح أبواب الإسكندرية، ويبد عمر مفاتيح بيت المقدس، وتشاد الفسطاط، والمسلمون في سواحل بحر قزوين فتقام على ظاهر الشرق دولة عظمى وإمام المسلمين الأول جليس البيت مسلوب الإمكانات فيتحول المعصوم إلى معتصم في عقر داره»^(٣).

(١) عمر والتشيع ثنائية القطيعة والمشاركة، حسن العلوي ٢١٨ - ٢١٩.

(٢) انظر: الإمام علي من المهد إلى اللحد، تأليف العلامة الخطيب: محمد كاظم القزويني ٢٣٧. مكتبة النور للمطبوعات، بيروت الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.

(٣) عمر والتشيع ٢١٥.

٦- العمل على تنقية كتب الشيعة من هذه الإساءات:

إن من أهم خطوات التصحيح فى هذه القضية العمل على تنقية الكتب الشيعية مما احتوت عليه من خرافات وغلو من ناحية، ومن إساءة وسب للصحابة من ناحية أخرى، وهو أكثر إجراء يبين مدى استعداد الشيعة للتصحيح وقبول النقد الداخلى كما يرى أعلام الإصلاح.

يقول حسن الصفار: «من الصعب أن يقبل منا الآخرون إنكار السب واللعن ما دام موجودا فى نصوص دينية متداولة»^(١).

والمؤسف أن هذه الكتب التى تمتلئ بالإساءات ما زالت تطبع، وتنتشر وتزداد. ولذا فإن الحاجة ملحة إلى تنقية هذه الكتب وغربلتها مرة أخرى، وحذف كل ما فيه إساءة إلى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وهو ما طالب به موسى الموسوي فى خطواته التصحيحية.

فقد طالب: «باختيار فريق من أهل العلم والفضيلة للقيام بغربلة كتب الروايات والأحاديث من الروايات التى نسبت إلى أئمتنا الهداة المهديين زورا وبهتاناً»^(٢).

ومن هذه الجهود ما ذكره الدكتور «علي جمعة» مفتي الديار المصرية أن كتاب «بحار الأنوار» للمجلسي قد طبع فى بيروت طبعة جديدة فى ١١٠ مجلدات، حذف الناشرون منها المجلدات من ٢٩ إلى ٣٣، ولما سأل فضيلته عن سبب الحذف،

(١) بحث تقدم به بعنوان: (انتكاسة مسيرة التقريب بين المذاهب الإسلامية) فى ندوة مركز بحوث العلوم والثقافة الإسلامية فى قم. نقلا عن: (النقد الشيعى الذاتى مراجعات على المراجعات) مهنا الجبيل. موقع الإسلام اليوم بتاريخ ٩/٤/١٤٢٨هـ.

http://islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=37&catid=185&artid=9111

(٢) يا شيعة العالم استيقظوا، موسى الموسوي ٦١.

أخبر بأن هذه المجلدات هي التي تتضمن سباً للصحابة وقدحاً فيهم، وأن الناشرين رأوا أن إبقاءها فتنة لا يقبلون المشاركة فيها، وحذفها مع تعديل الترقيم عدم أمانة لأنه يشعر بعدم وجودها أصلاً فأرأوا حذفها وإبقاء أرقام أجزاء الكتاب غير متصلة بنقص الأرقام من ٢٩ إلى ٣٣ ليدل هذا النقص في الأرقام على حذفهم مواضع سب الصحابة الذي لا يروونه جائزاً. وهؤلاء الناشرون من الشيعة الإمامية^(١).

لكن القضية تتطلب جهداً أكبر من ذلك، وخطوات أكثر فاعلية للقيام بهذا الدور.

٧- نماذج من ثناء بعض الشيعة المعاصرين على الشيوخين خصوصاً

والصحابة عموماً:

المتتبع لكتابات عدد من أعلام الشيعة في العصر الحديث - وبخاصة رواد التصحيح - يلحظ إنصافاً للصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وإنزالهم قدرهم ومكانتهم التي أنزلهم الله تعالى إياها، وهذه بعض النصوص التي فيها إنصاف للصحابة وثناء عليهم:

أ- المرجع الشيعي محمد حسين آل كاشف الغطاء:

ذكر وهو يتحدث عن (نكاح المتعة) كلاماً عن عمر بن الخطاب يحمل إجلالاً واحتراماً له فقال: «وحيث إن أبا حفص الحريص على نواميس الدين، الخشن على إقامة شرائع الله، أجل مقاماً، وأسمى إسلاماً من أن يحرم ما أحل الله، أو يدخل في الدين ما ليس من الدين، وهو يعلم أن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة»^(٢).

(١) العلاقة بين السنة والشيعة، محمد سليم العوا ٤٦، ٤٧.

(٢) أصل الشيعة وأصولها ٢٠٤.

ب- محمد باقر الصدر:

أثنى على الصحابة الكرام ثناء عطرا يدل على محبتهم وتوليهم، فقال: «الصحابة بوصفهم الطليعة المؤمنة والمستنيرة كانوا أفضل وأصلح بذرة لنشوء أمة رسالية، حتى إن تاريخ الإنسان لم يشهد جيلا عقديا أروع وأنبى وأطهر من الجيل الذى أنشأه الرسول القائد»^(١).

وقال فى منظومة له:

إياك أن تسب غير من ظلم	آل النبى الغر شافع الأمم
فهو حرام باتفاق العلماء	وجائز سبك من قد ظلما
فلا نسب عمرا كلا ولا	عثمان والذى تولى أولا
ومن تولى سبهم ففاسق	حكم قضى به الإمام الصادق ^(٢)

ج- محمد جواد مغنية:

يشي على الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وعلى فترة حكمهم فيقول: «ويعلم القاضي والداني أن عهد بني أمية كان بمجمله - باستثناء عهد عمر بن عبد العزيز - عهد التهلك والانحلال والعودة إلى أخلاق الجاهلية، وأما حكم بني العباس فهو أسوأ من حكم الأمويين بكثير. أين هؤلاء جميعا من حكم الرسول الأعظم ﷺ؟ أين هؤلاء من سيرة أخلاق أهل البيت؟ وأين هؤلاء من حكم الخلفاء الراشدين؟ ومن حكم عمر وعلي؟!»^(٣).

(١) نشأة التشيع والشيعة، محمد باقر الصدر ٧٦ تحقيق الدكتور/ عبد الجبار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
 (٢) مع الخطوط العريضة، الخطيب أبو محمد الخاقان ٥٧. مركز الأبحاث العقائدية.
 (٣) تجارب محمد جواد مغنية بقلمه ٢٨٦. دار الجواد للطباعة. بيروت - لبنان.

د- أحمد الكسروي:

أثنى على الشيخين وسيرتهما في الخلافة فقال: «إن الشيخين لما وليا الخلافة سارا بالمسلمين أحسن سيرة، وأبديا من السياسة والعدالة والتقوى ما قد حفظه التاريخ، وراج الإسلام في زمنهما كثيرا، فمن الشناعة أن يقدح أحد فيهما، أو يجوز اللعن عليهما، أو ينسبوا الارتداد إلى أصحاب النبي ﷺ لأنهم قد بايعوهما»^(١).

ه- محمد مهدي التسخيري^(٢):

علق على اغتيال عمر رضي الله عنه، واصفا إياه بالخليفة: «نحن نعتقد أن أول عملية إرهابية حصلت في التاريخ الإسلامي كانت قتل الخليفة الثاني علي يد المجرم أبي لؤلؤة المجوسي»^(٣).

هذه بعض نماذج من حديث الشيعة المعاصرين عن الصحابة رضوان الله عليهم، وإن كان المقابل عند بعضهم من السب والشتم ما زال متواصلا، ويحتاج إلى جهد متواصل حتى تصحح هذه الصورة.



(١) التشيع والشيعة ١٣٧.

(٢) محمد علي علي أكبر التسخيري، ولد ١٣٦٤ هـ ١٩٤٤ م في النجف، يشغل حاليا منصب الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران.

انظر: <http://www.taghrib.org/arabic/aminalaam/taskhiri.htm>

(٣) حوار مع صحيفة الرأي الكويتية عدد رقم ١٠٤٧٤ بتاريخ ٥/٣/٢٠٠٨.

الفصل الثامن

الخمس

الخمس عند الشيعة الاثنا عشرية حق فرضه الله لآل محمد صلوات الله عليهم عَوْض الصدقة التي حرّمها عليهم من زكاة الأموال والأبدان، ويقسمونه إلى ستة سهام: ثلاثة لله ولرسوله ولذي القربى، وهذه السهام يجب دفعها إلى الإمام إن كان ظاهراً، وإلى نائبه - وهو المجتهد العادل - إن كان غائباً، ويجب في كل ما كسبه الإنسان من طريق مشروع من الغنائم والأرباح، ويستندون في إيجابه إلى قوله تعالى:

﴿ **وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ** **وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمْنْتُمْ بِاللَّهِ** ﴾ [سورة الأنفال: آية ٤١] (*) .

وقد تولّى أعلام الإصلاح نقد نظرية الخمس كما يلي:

١- دوافع اعتقادهم وجوب الخمس:

لم يذكر الخمس مع بداية المذهب الشيعي، وإنما ظهر ذكره مؤخراً، فلم يكن معروفاً عند الشيعة الأوائل، ولم يتحدث عنه فقهاؤهم في فترة التشيع الأولى.

يقول موسى الموسوي: «هذه البدعة ظهرت في المجتمع الشيعي في أواخر القرن الخامس الهجري، فمنذ الغيبة الكبرى إلى أواخر القرن الخامس لا نجد في الكتب الفقهية الشيعية باباً للخمس أو إشارة إلى شمول الخمس في الغنائم والأرباح معاً، وهذا هو محمد بن الحسن الطوسي من أكابر فقهاء الشيعة في أوائل القرن الخامس ويعتبر مؤسس الحوزة الدينية في النجف لم يذكر في كتبه الفقهية المعروفة شيئاً عن

(*) انظر: أصل الشيعة وأصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة، محمد حسين آل كاشف الغطاء ١٧٩-

هذا الموضوع، مع أنه لم يترك صغيرة أو كبيرة من المسائل الفقهية إلا وذكرها في تأليفه الضخمة^(١).

ويرى موسى الموسوي أن السبب الذي دفع الشيعة إلى القول بوجوب الخمس على المكاسب سبب مالي، نظرا لتقدير الخلافة الموجودة آنذاك على فقهاء الشيعة في النواحي المالية، مع حاجة الفقهاء، الأمر الذي أدى بهم إلى اختراع نظرية الخمس، ثم إضافة أحكام مشددة لكي تحمل الشيعة على التمسك به وعلى تنفيذه، منها: «الدخول الأبدي في نار جهنم لمن لم يؤد حق الإمام، وعدم إقامة الصلاة في دار الشخص الذي لم يستخرج الخمس من ماله»^(٢).

٣ - لا دليل على وجوب الخمس ولا على أدائه للفقير:

رغم أن الخمس يمثل لدى الشيعة واجبا دينيا يعاقب تاركه بأشد العقوبات، إلا أنه لم يرد في إيجابه نص صريح من الكتاب أو السنة، أو عن الأئمة □، وهذا ما يرده ويطله.

يقول علاء الموسوي: «هل يعقل في عالم الإنسان أو دين من الأديان أن الله جل وعلا يفرض على أغنيائنا ربع العشر من أموالهم، أي: من كل أربعين واحدا (٤٠ / ١) أو من كل مائة اثنين ونصف (٢.٥ %) فقط إذا بلغت النصاب، وهو ما يعادل عشرين مثقالا من الذهب مرة واحدة في العام فريضة سماها الزكاة فيقيم عليها عشرات من الآيات البيّنات أدلة قاطعة في كتابه حتى لا يتقول متقول أو يشكك متشكك، ثم لا يفرض الخمس بمثل هذه الطريقة، بل لا يذكره ولو مرة واحدة مع أنه أضخم منها وأكبر أضعافا مضاعفة؟! ثم هو غير مرتبط بوقت أو نصاب -إلا ما ندر-

(١) الشيعة والتصحيح ٦٧.

(٢) المرجع السابق ٦٧ - ٦٨.

أو صنف من المال، إذ هو مفروض حتى على الدار التي تسكن وأثاثها وحاجات المطبخ، والهدية التي تهدي، بل السلعة التي خمست لكن زاد سعرها بعد التخمس فيخمس الزائد، من يصدق هذا من العقلاء؟! (١).

والحاصل أن الاثنا عشرية استدلوا على إيجابه بورود اسمه في القرآن الكريم، دون أن يشير هذا الاسم إلى المعنى الذي يقصده الشيعة، فتعلقوا بهذه الآية ليوهموا السذج بأن ما استحلوه من أموال الناس تحت ذريعة الخمس شيء مذكور في القرآن، أي أنهم استعاروا اللفظ وأعطوه معنى ومضمونا آخر يختلف تماما عن الظاهر من الآية.

وعلى فرض كون الآية التي يستدلون بها، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ [سورة الأنفال: آية ٤١] تتحدث عن الخمس، فإنها تبين أحكام الغنيمة، والغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار نتيجة الحرب، ولا يتعلق بالمسلمين البتة.

يقول علاء الموسوي: «لفظ الغنيمة لم يرد في القرآن إلا في غنائم الحرب التي تؤخذ من الكفار في ساحة القتال أو فداء للأسرى، وفيها جاء ذكر الخمس مرة واحدة في القرآن، فمن أدخل الخمس على مكاسب المسلمين وتجاراتهم وممتلكاتهم - التي عظم الله حرمتها وحرم غنمها أو الاستيلاء عليها - فقد عامل أموالهم معاملة الغنيمة، والغنيمة هي المال المأخوذ من أعداء الإسلام عن طريق الحرب والقتال، ولم ترد في القرآن في غير هذا المعنى قط، فمن أخذها من المسلمين فقد عامل المسلمين معاملة الكفار المحاربين، فمن قال بغير هذا فعليه الدليل النقلى القاطع من القرآن، لا نرضى

(١) الخمس بين الفريضة الشرعية والضريبة المالية، علاء عباس الموسوي ٢٦. طبعة جمادى الأولى

بغيره بديلاً، لأنه اشتمل على كل عظيم ومهم من شرائع الدين ولم يغادر منه شيئاً، وهؤلاء المسلمون ليسوا خارجين عن الدين، ولا هم في حرب مع أهله أو قتال، فكيف تُخمس أموالهم؟! (١).

ومع ذلك فإن الصورة الحالية لتطبيق الخمس لا يمكن أن تستند على الآية مطلقاً، إذ أنها تتحدث عن إخراجه، وليس عن إعطائه للفقير، وهما أمران مختلفان. يقول بعضهم: «موضوع خمس المكاسب في صورته الحالية مركب من قضيتين: الأولى: أن في المكاسب خمسا.

الثانية: أن هذا الخمس يجب تسليمه إلى الفقير.

وهما قضيتان منفصلتان تحتاج كل واحدة منهما إلى دليل منفصل، فلا يصح دمجهما معاً والاستدلال عليهما بدليل واحد وردت فيه إحداهما لفظاً، والأخرى لم ترد أصلاً» (٢).

وبالإضافة إلى عدم دلالة القرآن الكريم على وجوب الخمس، فإنه لم يدل عليه نص واحد ثابت عن النبي ﷺ، ولا عن الأئمة، بل لم ترد إشارة إليه في كتب التواريخ، رغم الحديث المتكرر عن الزكاة وما يتعلق بها.

يقول موسى الموسوي: «وأظهر دليل على أن الخمس لم يشرع في أرباح المكاسب هو سيرة النبي الكريم ﷺ وسيرة الخلفاء من بعده بما فيهم الإمام علي، وحتى سيرة أئمة الشيعة، حيث لم يذكر أرباب السير الذين كتبوا سيرة النبي الكريم ودونوا كل صغيرة وكبيرة عن سيرته وأوامره ونواهيته أن الرسول ﷺ كان يرسل

(١) المرجع السابق ٣٤.

(٢) المرجع السابق ٦٧.

جباته إلى أسواق المدينة ليستخرج من أموالهم خمس الأرباح، مع أن أرباب السير يذكرون حتى أسامي الجبابة الذين كان الرسول ﷺ يرسلهم لاستخراج الزكاة من أموال المسلمين»^(١).

٣ - الأئمة أباحوا الخمس لشيعتهم:

يرى الإصلاحيون أن حكم أداء الخمس إلى الإمام عند الشيعة هو الاستحباب وليس الوجوب، وأنهم يستندون إلى القياس على الإمام في حكم إعطائه للفقهاء، فيصير حكمه الاستحباب أيضا، رغم الفارق بين الإمام والفقهاء، فلماذا ارتفع حكم أدائه من الاستحباب إلى الوجوب؟! سؤال يطرحه علماء الموسوي:

«فمع أن الخمس -حسب النظرية الإمامية- هو حق الإمام إلا أن حكم أدائه إليه في كثير من الروايات المعتبرة الاستحباب وليس الوجوب، فكيف ارتفعت درجة أدائه إلى الفقهاء فصار حكمه واجبا؟! في حين أن الفتوى التي أدخلت الفقهاء في الموضوع إنما أدخلته بقياسات واجتهادات غايتها أن تجعل منه نائبا أو وكيفا عن صاحب الحق (الإمام) لا أكثر، فكيف تغير الحكم وارتفع من درجة الاستحباب إلى الوجوب مع أن المنطق يقضي في أن يكون -في أحسن أحواله- مشتركا بينهما، أي: مستحبا، مع الالتفات إلى الفارق الكبير بين الفقهاء والإمام المعصوم في الدرجة والمنزلة، فكان المفترض أن ينزل الحكم من الاستحباب إلى الإباحة، وهذا هو الذي جاءت به كثير من النصوص عن الأئمة، وقال به كثير من الفقهاء، والمقصود بالإباحة هنا: أن صاحب المال يباح له التصرف بماله دون أن يطالب بأداء خمسه إلى أي جهة كانت»^(٢).

(١) الشيعة والتصحيح ٦٦.

(٢) المرجع السابق ٥.

٤- فقهاء الشيعة أسقطوا الخمس:

بالإضافة إلى ما تقدم من عدم ذكر وجوب الخمس في القرآن أو السنة النبوية، وعدم وروده في كلام الأئمة رضوان الله عليهم، فإن بعض فقهاء الشيعة القدامى أسقطوه عن أتباعهم. وعلى إسقاطه ونفيه كبار فقهاء المذهب ومشاهيره على مر التاريخ، ومنهم:

العلامة أحمد الأردبيلي^(١)، محمد باقر السبزواري^(٢)، محمد حسن النجفي^(٣)، الشهيد الثاني (ت ٩١١هـ)، الشيخ يحيى بن سعيد الحلبي^(٤) «^(٥)».

وبناء على هذا فإن الخمس لم يرد في كتاب أو سنة، ولم يرد في أقوال الأئمة من أهل البيت، ولم يذكر في كتب الفقهاء الأوائل في الشيعة فلا مبرر لإيجابه على الشيعة في العصر الحديث.

(١) أحمد بن محمد الأردبيلي، توفي ٩٩٣هـ، من أردبيل مدينة بأذربيجان، من مجتهدي الشيعة، يضرب به المثل في الورع والزهد والعبادة، من مؤلفاته: جمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، زبدة البيان في شرح آيات أحكام القرآن. أعيان الشيعة ٣/ ٨٠.

(٢) محمد باقر بن محمد مؤمن الخراساني السبزواري، توفي سنة ١٠٩٠هـ، عالم محدث، من مؤلفاته: شرح على الإرشاد اسمه ذخيرة المعاد. معجم رجال الحديث، الإمام الخوئي ١٥/ ٢٢٤.

(٣) محمد حسن بن الشيخ باقر النجفي توفي سنة ١٢٦٦م، صاحب موسوعة «جواهر الكلام» انتهت إليه رئاسة الشيعة في زمانه. طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، السيد علي البروجردي ١/ ٤٧، تحقيق/ السيد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق الشيخ / عباس القوجاني. دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٤) نجيب الدين يحيى بن أحمد المعروف بابن سعيد الحلبي، توفي سنة ٦٩٠هـ، من كبار علماء الشيعة، من مصنفته: الجامع للشرائع، المدخل في أصول الفقه. معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي ١٩/ ٢١.

(٥) الخمس بين الفريضة الشرعية والضريبة المالية ٩ - ١١ بتصرف.

٥ - الدول الشيعية لم تفرض الخمس:

قامت دول شيعية عديدة فى التاريخ، ورغم أنها كانت تحاول تطبيق النهج الشيعى إلا أنها أغفلت مسألة الخمس تماما، وما ذاك إلا لأنها لم تكن معروفة، أو كانوا يرون أنها على سبيل الاستحباب لا الوجوب.

«لقد قامت دول عديدة وحكمت باسم أهل البيت، ودانوا بالعقيدة الإمامية عموما أو الاثنى عشرية على وجه الخصوص، كالدولة الفاطمية الإسماعيلية، والدولة الصفوية الاثنا عشرية، وكان حكام هاتين الدولتين يدعون النسب العلوى، وكذلك الدولة الجلائرية، وحكّم البويهيون بغداد ردحا من الزمن، ولم يعرف عن هؤلاء جميعا أنهم قاموا بجباية خمس مكاسب الناس وتجاراتهم»^(١).

٦ - الفقيه لا يستحق الخمس:

على فرض التسليم بصحة الاستدلال بالآية الكريمة المذكورة على وجوب الخمس فى أرباح المكاسب ومشروعية إعطائه إلى الإمام، فإنه لا دليل فى الآية على إعطائه للفقيه واستحقاقه إياه، ودخول الفقيه فى الآية تم بدليل غير معتبر عند الشيعة أصلا.

يقول محب عباس الكاظمي^(٢): «إدخال الفقيه فى الخمس كان بطريقة القياس على الإمام، والقياس فى الفقه الجعفري غير معتبر»^(٣).

وعلى اعتبار دلالة الآية على الخمس فإنها خاصة بقراءة النبي ﷺ، فلا يُستحق

(١) الخمس ٤٦.

(٢) شيعى معاصر، انتقد مذهب الشيعة وأخرج كتاب «سياحة فى عالم التشيع أسرار وخفايا الحوزة العلمية».

(٣) سياحة فى عالم التشيع، محب عباس الكاظمي ٤٨، دار الأمل - القاهرة، بدون بيانات.

لكل مجتهد، وإنما لا بد من كونه من قرابة النبي ﷺ.

«والواقع المشاهد أن كل مجتهد عندهم يحق له أخذ الخمس دون النظر إلى كونه ينتمي إلى النبي ﷺ أم لا، بل دون النظر حتى في كونه عربياً أم أعجمياً، مع أن نص الآية يذكر ﴿ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ لا (ذي الفتوى) فبأي حق يكون لهم نصيب فيه؟! وما علاقة الاجتهاد بالموضوع؟ إن الآية جعلت مناط الحكم وعلته (القربى) والنسب، وليس العلم والاجتهاد، فكيف ينطبق الخمس ويعلق بغير مناطه» (١).

٧- الآثار السلبية الناتجة عن إيجاب الخمس:

لقد ترتب على القول بإيجاب الخمس آثار سلبية كثيرة جعلت مساوئه أكثر من فوائده، وأعظم هذه الآثار هو صرف انتباه الناس عن أداء الزكاة، وتعطيل ركن من أركان الإسلام.

يقول علاء الموسوي: «لقد ألغى الخمس الاهتمام بالزكاة من الواقع، فلا تذكر كما يذكر الخمس، ولا يحرص عليها ولا يتحسس الناس لها وجوداً أو تأثيراً قط في كل المناطق المأهولة بمن يعتقد شرعية الخمس، وعامتهم لا يعرفون عن أحكامها البسيطة الواضحة شيئاً قليلاً ولا كثيراً، مع أن الله تعالى ملأ كتابه الكريم من ذكرها على عكس الخمس!!، ولعل السبب في ذلك -والله أعلم- أن مقدار الزكاة لا يعد شيئاً في مقابل الخمس، فإذا طوّل صاحب المال بخمس ماله فكيف يمكن معه أن يطالب بأداء زكاته؟! فالجمع بين الخمس والزكاة صعب على النفوس، ومخرج للمعطي والآخذ، وإذن فعلى المجتهد أن يخير نفسه بين هذا وهذا، فإذا طالب بأحدهما فعليه أن ينسى الآخر أو يتناساه، ولا شك في أن الاختيار يقع على الخمس

ويتغافل عن الزكاة، أو لا يذكرها بقوة، فإن حصلت فيها ونعمت، وإلا فالخمس يكفي وزيادة»^(١).

ومما ترتب على الخمس أيضا ما حدث من تضخم ثروات الفقهاء دون وجه حق، ومنه ما ذكره موسى الموسوي:

«أعرف مجتهدا من مجتهدي الشيعة لا زال على قيد الحياة وقد أذخر من الخمس ما يجعله زميلا لقارون الغابر أو القوارين المعاصرين، وهناك مجتهد شيعي فى إيران قتل قبل سنوات معدودة كان قد أودع باسمه فى المصارف مبلغا يعادل عشرين مليون دولار أخذها من الناس طوعا أو كرها باسم الخمس والحقوق الشرعية، وبعد التيا ومماحكات كثيرة استطاعت الحكومة الإيرانية وضع اليد على تلك الأموال كي لا يقتسمها الورثة فيما بينهم، هذه صورة محزنة من آثار بدعة الخمس التي تبناها فقهاء الشيعة»^(٢).

ولا وجه لتبرير البعض وجوب الخمس بأنه ينفق فى مصالح المسلمين كالمدارس الدينية، لأن أصل الوجوب باطل، فما يترتب عليه باطل.

يقول موسى الموسوي:

«إن بعض علماء الشيعة يدافع عن أخذهم الخمس من أموال الشيعة بأنها أموال تصرف على المدارس الدينية والحوزات العلمية والشئون المذهبية الأخرى، ولكن المناقشة ليست فى أن تلك الأموال كيف تصرف ولماذا؟ بل المناقشة أصولية وواقعية ومذهبية، وهي أن تلك الأموال تؤخذ زورا وبطلانا من الناس، وحتى إذا

(١) المصدر السابق ٥١.

(٢) الشيعة والتصحيح ٦٩.

صرفت فى سبيل الله فإنها غير شرعية لا يجوز التصرف فيها^(١).
وهكذا رد الإصلاحيون كل الأدلة التى ذكرها فقهاء الشيعة على إيجاب
الخمس، وبينوا أن الأئمة لم يوجبوا الخمس على أتباعهم، وأن فقهاء الشيعة القدامى
لم يذكروا الخمس، وكذلك الدول الشيعية عبر التاريخ لم تطبقه، فضلا عن كون
الفقيه ليس من مستحقي الخمس على فرض القول به.



الفصل التاسع

إباحة نكاح المتعة

المتعة عند الاثنا عشرية: نكاح إلى أجل مسمى بعوض معلوم (١).

وقد استدلووا على إباحته بتأويل بعض آيات القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ كِ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ [سورة النساء: آية ٢٤].

ويرون أن المقصود بالآية المتعة استنادا إلى ما روى عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: إنما نزلت: (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة) (٢).

ويرون أن رسول الله ﷺ قد أباحها، وعمل بها جماعة من الصحابة في حياته وبعد وفاته، وعمل بها في زمن أبي بكر وفي شطر من عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب حتى حرمها وأمر المسلمين بالكف عنها (٣).

وأهل السنة يرون أنه كان مباحا في أول الإسلام ثم حرم في غزوة خيبر، ثم رخص

(١) خلاصة الإيجاز في المتعة، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، ١٩، تحقيق: علي أكبر زماني نجاد، بدون بيانات.

(٢) الكافي ٤٤٩/٥.

(٣) أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين آل كاشف الغطاء ١٩٦، ٢٠٤، انظر: زواج المتعة، السيد علاء الدين السيد أمير محمد القزويني. دار المحجة البيضاء للطباعة ٢٠٠١م، المتعة ومشروعيتها في الإسلام، مجموعة من العلماء. دار الزهراء للإعلام العربي. بيروت، المتعة النكاح المنقطع بين الشريعة والبدعة، مرتضى الموسوي الأردبيلي. مؤسسة الخرسان للمطبوعات. بيروت ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.

فيه مرة أخرى في فتح مكة، ثم حُرِّم بعد ذلك على التأييد^(١).

ويستدلون على ذلك بما رواه سبرة الجهني أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: «يأيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلي يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيموهن شيئاً»^(٢).

وقد قام أعلام الإصلاح بنقد الزواج المؤقت (المتعة) من وجوه:

بداية يرى موسى الموسوي أن الشيعة يبيحون نكاح المتعة على النحو الذي يمارس حالياً لأهداف أخرى غير كونه مشروعاً بإقرار النبي ﷺ وأباحته له.

يقول: «فكرة الزواج المؤقت على ما يبدو لي استخدمت في حث الشيعة ولا سيما الشباب منهم للالتفاف حول المذهب لما فيه من امتيازات خاصة لا تقرها المذاهب الإسلامية الأخرى، ولا شك أن الإغراء الجنسي المباح باسم الدين يستقطب الشباب وأصحاب النفوس الضعيفة في كل عصر ومصر»^(٣).

فالهدف من إباحة نكاح المتعة عندهم هو استقطاب الشباب للمذهب، وجعلها عنصر جذب هام داخل المذهب.

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص ٣/٩٤ وما بعدها، تحقيق/ محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني ٣/١٤٢، دار الفكر - بيروت، فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ٩/١٦٧، دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ، شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي ٩/١٧٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

(٢) صحيح مسلم، كتاب «النكاح» باب «نكاح المتعة» حديث رقم (٢٥٠٢).

(٣) الشيعة والتصحيح ١١٢.

والاحتجاج بأن النبي ﷺ قد أقرها وأباحها للصحابة رضوان الله عليهم، إنما هو تلاعب بالألفاظ، فالفرق كبير بين المتعة التي أباحها النبي ﷺ والمتعة التي يمارسها الشيعة ويعتقدون إباحتها.

يقول محب الكاظمي: «نكاح المتعة الذي كان عند بعثة النبي ﷺ إنما هو نكاح لا يختلف عن الزواج الشرعي إلا في الأجل والإرث، أي تشترط فيه موافقة الولي وإشهاد الشهود، أما هذه الصورة السافلة التي يجيزها فقهاء اليوم فليس لها منه إلا الاسم، والمتعة التي كانت أول الأمر شيء وهذا الذي يجري شيء آخر، فالاحتجاج بها مغالطة تعتمد على لعبة الاشتراك اللفظي لا أكثر، ومع ذلك فقد حرمه النبي ﷺ آخر حياته، فلم يمت إلا وقد حرم الله الخمر آخر الأمر»^(١).

والاعتراض على تحريمه بأن عمر هو الذي حرمه اعتراض لا محل له؛ لأن علي ابن أبي طالب أقره على هذا التحريم في خلافته، ولم يسع إلى تغيير ذلك رغم تمكنه زمن خلافته.

يقول موسى الموسوي: «إن النظرية الفقهية القائلة بأن المتعة حُرمت بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب يفندها عمل الإمام علي الذي أقر التحريم في مدة خلافته ولم يأمر بالجواز، وفي العرف الشيعي وحسب رأي فقهاءنا عمل الإمام حجة لا سيما عندما يكون مبسوط اليد ويستطيع إظهار الرأي وبيان أوامر الله ونواهيه، والإمام علي كما نعلم اعتذر عن قبول الخلافة واشترط في قبولها أن يكون له اجتهاده في إدارة الدولة، فإذن إقرار الإمام علي للتحريم يعني أنها كانت محرمة منذ عهد الرسول ﷺ ولولا ذلك لاعترض عليه وبين حكم الله فيه، وعمل الإمام حجة على الشيعة، ولست أدري كيف يستطيع فقهاؤنا أن يضربوا به عرض الحائط»^(٢).

(١) سياحة في عالم التشيع ٦٣.

(٢) الشيعة والتصحيح ١٠٩.

وبالإضافة إلى إقرار علي عليه السلام تحريمه فإن الأئمة من أهل البيت أجمعوا أيضا على تحريمه واجتنابه، وبذلك جاءت الروايات عنهم.

فالروايات الواردة عن الأئمة تحرم المتعة، وتشنع بمقترفيها.

يقول القاضي: «إن إباحة المتعة كانت إباحة مؤقتة للضرورة ثم حرّمها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة في أحاديث صحيحة صريحة، والغريب أن نجد في التراث الشيعي روايات أئمة آل البيت تصرح بحرمة وشناعة المتعة ثم لا تجد استجابة من قومنا تجاه هذه الروايات.

فعن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عن المتعة فقال: لا تدنس نفسك بها (١).

وعن علي بن يقطين قال: سألت أبا الحسن عن المتعة فقال: وما أنت وذاك وقد أغناك الله عنها (٢).

وعن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله - جعفر الصادق - قال: ما يفعلها عندنا إلا الفواجر (٣) (٤).

ولو صحت الروايات التي تبيحها، فإننا نبقى أمام روايات متعارضة تحتاج إلى الترجيح.

يقول محب الكاظمي: «إن الأخذ بروايات التحريم لا يخرج الشيعي من مذهبه؛ لأنه إنما يرجح بعض الروايات المتعارضة على بعض، وليس في هذا الترجيح ما

(١) بحار الأنوار ١٠٠ / ٣١٨ باب «أحكام المتعة».

(٢) الكافي ٥ / ٤٥٢، باب «يجب أن يكف عنها من كان مستغنيا».

(٣) بحار الأنوار ١٠٠ / ٣١٨ باب «أحكام المتعة».

(٤) ربحت الصحابة ولم أخسر آل البيت ٢١ - ٢٢.

يخرج عن المذهب أو الدين، بل المذهب كله - في واقع الأمر - قائم على الترجيح^(١).
ثم إن الممارسة الفعلية للمتعة، والحديث عنها في كتب الفقهاء يمتلئ بالكثير من
الأمور التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنتسب إلى دين أو أن يأمر بها مذهب
أتباعه.

«إن هذا الذي يجري في الواقع تحت مسمى المتعة زنا صريح بلا فرق»^(٢).
وفضلاً عن ذلك فإن القول بإباحة زواج المتعة يترتب عليه من المخاطر
الاجتماعية ما يخرجها عن كونها شرع حكيم شرعه الله لعباده.
يقارن موسى الموسوي بين الزواج الدائم المعلوم عند كافة المسلمين وبين
الزواج المؤقت الذي يبيحه المذهب الشيعي قائلاً:
«وهنا أفران بين صورتين للزواج أحدهن متفق عليها عند المسلمين جميعاً بما
فيهم الشيعة وهو الزواج الدائم والثاني هو الزواج المؤقت أو المتعة والذي يفتي
بجوازه فقهاء الشيعة الإمامية فقط وأطلب من الشيعة أن يقولوا كلمتهم فيه:

شروط الزواج الدائم المتفق عليه لدى المسلمين كافة	الزواج المؤقت القائل به الشيعة الاثنا عشرية
١ - يتم الزواج بين الزوجين بتلفظ صيغ العقد أمام شاهدين.	١ - يتم الزواج بتلفظ صيغة العقد بدون شاهد.
٢ - يجب على الزوج نفقة الزوجة بما فيها المسكن والملبس.	٢ - الرجل في حل من نفقة الزوجة.

(١) سياحة في عالم التشيع ٦٤ - ٦٥.

(٢) المرجع السابق ٥٤.

<p>الزواج المؤقت القائل به الشيعة الاثنا عشرية</p>	<p>شروط الزواج الدائم المتفق عليه لدى المسلمين كافة</p>
<p>٣- يجوز للرجل الجمع بين أعداد لا تحصى وبلا شرط. ٤- الزوجة لا ترث الزوج. ٥- موافقة الولي ليس شرطاً في كل الأحوال. ٦- مدة الزواج المؤقت قد تكون لربع ساعة وقد تكون لتسعين عاماً وحسب ما يقترحه الرجل وتقبله المرأة.</p>	<p>٣- لا يجوز للرجل أن يجمع أكثر من أربع زوجات. ٤- الزوجة ترث الزوج في حالة الوفاة. ٥- موافقة الولي شرط في صحة زواج البكر. ٦- الزواج دائم ديمومة الزوجين على قيد الحياة.</p>
<p>شروط الفسخ:</p>	<p>شروط الفسخ:</p>
<p>١- يقع الطلاق واسمه فسخ العقد بدون شهود وبكلمة فسخت أو وهبت المدة. ٢- عدة فسخ المدة بالنسبة للمرأة هي عدة الجارية بعد عتقها، نصف عدة الحرة. ٣- الفسخ يقع في كل الأحوال. ٤- الرجل في حِلٍّ من نفقة الزوجة في عدة الفسخ.</p>	<p>١- يقع الطلاق بحضور شاهدين عدلين وبتلفظ صيغة الطلاق. ٢- عدة الطلاق بالنسبة للمرأة ثلاثة شهور وعشرة أيام. ٣- الطلاق لا يقع والمرأة في حالة قرء. ٤- يجب على الزوج نفقة الزوجة المطلقة في مدة عدتها.</p>

إن نظرة فاحصة على هذا الجدول الذي رسمناه تغنيناً عن الإسهاب في المتعة من المفسد والمخاطر الاجتماعية وأعتقد جازماً أن نداء التصحيح سيجتمع حوله من أبناء الشيعة كل من كان له قلب أو عقل يستطيع أن يدرك بهما فداحة الخطب والهوان والسخرية في أمر هو أظهر من ظهور الشمس في منتصف النهار^(١).

وبناء على ذلك فإن المتعة بالمفهوم الشيعي المعاصر مخالفة لما عليه جمهور المسلمين، وقد استحدثها الشيعة لأهداف داخلية في المذهب من باب إغراء الناس بالاعتناق به، ثم إنه يترتب عليها مفسد خلقية وأضرار اجتماعية تجعل القول بها منافياً للأصول الإسلامية العامة.

(١) الشيعة والتصحيح. ص ١١٠-١١٢.

مع ملاحظة أن بعض الشروط التي ذكرها لا تستقيم مع مذهب جمهور أهل السنة؛ كمسألة اشتراط الشهود للطلاق، وعدم وقوع الطلاق والمرأة حائض.

ولمراجعة هذه الشروط في مذهب أهل السنة تراجع كتب الفقه، مثل: المغني، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ٣٣٣/٧، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥، المبسوط، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي ٣٤٩/٤ دراسة وتحقيق: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، المجموع شرح المهذب، للامام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، ١٦/١٢٥، دار الفكر، بيروت.

ولمراجعة شروط الشيعة في نكاح المتعة: المبسوط في فقه الإمامية تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، ٤/٢٤٦، صححه وعلق عليه السيد محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران ١٣٨٧ هـ، خلاصة الإيجاز في المتعة، الشيخ المفيد، الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي، ٥/٢٤٥، منشورات جامعة النجف الدينية، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ.

الفصل العاشر

الشعائر الحسينية

لثلاثا عشرية شعائر يجري العمل بها في الأول من محرم من كل عام حتى العاشر منه، لأنها تمثل رحلة الحسين إلى كربلاء.

وتتضمن هذه الشعائر ما يعرف بالمأتم، وهي: مجالس التعزية، والمواكب الشيعية، وزيارة قبر الحسين وما يصاحبه من اللطم، وهو: ضرب الصدر باليد، والتطبير، وهو: ضرب الظهر بالسوط والسلاسل، وتصل الشعائر إلى ذروتها في يوم العاشر من محرم عند تشبيه مقتل الحسين في مشهد تمثيلي، وهو ما يطلق عليه (الشبيه) (*).

وقد قام أعلام الإصلاح بنقد هذه الشعائر من الوجوه التالية:

١- أصول ودوافع الشعائر الحسينية:

ظهرت الشعائر الحسينية في وقت متأخر في مذهب الشيعة، وتحديدًا مع مدة حكم الدولة الصفوية في إيران، والأرجح أن هذه الشعائر مستمدة من طقوس مسيحية.

يقول علي شريعتي: «ذهب وزير الشعائر الحسينية إلى أوروبا الشرقية وكانت

(*) للمزيد انظر: المأتم الحسيني مشروعيته وأسراه. عبد الحسين شرف الدين الموسوي. تحقيق: فارس الحسن. مركز الأبحاث العقائدية. مراسم عاشوراء شبهات وردود. جعفر مرتضى العاملي، وله أيضا: المواسم والمراسم. طبعة معاونة العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، مراسم عاشوراء في فتاوى المراجع والعلماء، ترجمة وتحقيق: علاء الدين آل بحر العلوم الطبائبي النجفي. دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع.

تربطها بالدولة الصفوية روابط حميمة يكتنفها الغموض، وأجرى هناك تحقيقات ودراسات واسعة حول المراسيم الدينية والطقوس المذهبية والمحافل الاجتماعية المسيحية وأساليب إحياء ذكرى شهداء المسيحية والوسائل المتبعة في ذلك حتى أنماط الديكورات التي كانت تزين بها الكنائس في تلك المناسبات واقتبس تلك المراسيم والطقوس وجاء بها إلى إيران حيث استعان ببعض الملالي لإجراء بعض التعديلات عليها لكي تصبح صالحة لاستخدامها في المناسبات الشيعية وبما ينسجم مع الأعراف والتقاليد الوطنية والمذهبية في إيران، ما أدى بالتالي إلى ظهور موجة جديدة من الطقوس والمراسم المذهبية لم يعهد لها سابقة في الفلكلور الشعبي الإيراني، ولا في الشعائر الدينية الإسلامية»^(١).

وقد حافظ الشيعة على هذه الاحتفالات لما لها من دور بارز في تثبيت الهوية الشيعية عند هذه الدول.

يقول موسى الموسوي: «كان للبويهيين الذين حكموا إيران والعراق باسم حماة الخلافة العباسية دورا بارزا في تنمية الاحتفالات في أيام عاشوراء، ولكن هذه الاحتفالات أخذت طابعا عاما وأصبحت جزءا من الكيان الشيعي عندما استلم السلطة الشاه إسماعيل الصفوي وأدخل إيران في التشيع، وخلق فيها تماسكا مذهبيا للوقوف أمام أطماع الخلافة العثمانية المجاورة لإيران، وكان البلاط الصفوي يعلن الحداد في العشر الأول من محرم من كل عام، ويستقبل الشاه المعزين في يوم عاشوراء»^(٢).

ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه الشعائر من طقوس المذهب الشيعي إظهارا

(١) التشيع العلوي والتشيع الصفوي ٢٠٠٨.

(٢) الشيعة والتصحيح ٩٩.

للحزن على استشهاد الحسين، ومما ساعد على انتشارها ورواجها وعدم التصدي لها أنها كانت تمثل دخلا وموردا ماليا للمدن المقدسة من ناحية، ولبعض رجال الدين من ناحية أخرى، مما أسهم في رواجها واقتناع الناس بها.

ويرى بعض الباحثين أن: «مواكب الزوار من جميع بلاد الشيعة أصبحت تشكل أحد المصادر المالية الأساسية للمدن المقدسة، فلم يكن في نية المجتهدين الشيعة أن يعارضوا شعائر تقوم بأود عقيدتهم، وتشكل بالإضافة إلى ذلك دافعا قويا إلى تماسك الجماعة من حيث المساهمة في الحفاظ على ذاكرتها وإظهار هويتها، وعلى صعيد آخر كانت هذه الشعائر تشكل لبعض رجال الدين موردا تجاريا حقيقيا»^(١).

٣- فتاوى تحرم الشعائر الحسينية:

تعددت فتاوى علماء ومراجع الشيعة المصلحين التي تحرم القيام بمثل هذه الشعائر، خاصة ما يقوم منها على أذى النفس أو التمثيل، واعتبروها ليست من التشيع في شيء، وهذه بعض الردود التي تعطي فكرة عن مدى التصحيح التي لقيتها هذه الشعائر داخل المذهب:

أ- السيد محسن الأمين:

تعتبر حركة السيد محسن الأمين الإصلاحية لتصحيح الشعائر الحسينية أكبر وأعنف نقد وجه إلى هذه الشعائر، ويتضح ذلك من خلال الصدى الذي أحدثته هذه الحركة داخل الصف الشيعي، من ناحية كثرة المؤيدين والمعارضين لها كما سيأتي^(٢).

(١) حركة الإصلاح الشيعي في جبل عامل. صابرينا ميرفان ٢٧٦.

(٢) يأتي بيان ذلك في فصل: موقف الشيعة من تيار التصحيح.

وقد قام السيد محسن الأمين بمحاربة هذه الشعائر محاربة عنيفة، حتى أبطلها في زمانه، إلى أن وصل به الأمر إلى أنه استعان بالشرطة لإجبار من يقوم بها على احترام أوامره (١).

وقد سجل نقده لهذه الشعائر داخل رسالته المشهورة: (رسالة التنزيه لأعمال الشبيه)، ومما قاله:

«إقامة شعائر الحزن على سيد الشهداء... فيها أمور أجمع المسلمون على تحريم أكثرها وأنه من المنكرات، وبعضها من الكبائر التي هدد الله فاعلها وذمه في كتابه العزيز.

١- فمنها الكذب بذكر أمور مكذوبة معلوم كذبها، لم توجد في خبر ولم تنقل في كتاب.

٢- ومنها إيذاء النفوس وإدخال الضرر عليها بضرب الرءوس وجرحها بالمدى والسيوف حتى يسيل دمها، وكثيرا ما يؤدي ذلك إلى الإغماء بنزف الدم الكثير، وإلى المرض أو الموت، وبضرب الظهر بسلاسل الحديد وغير ذلك، وتحريم ذلك ثابت بالعقل والنقل وبما هو معلوم من سهولة الشريعة وسماحتها.

٣- ومنها استعمال آلات اللهو كالطبل والزمر والصنوج النحاسية، وغير ذلك.

٤- ومنها تشبه الرجال بالنساء في وقت التمثيل.

٥- ومنها إركاب النساء الهوادج كاشفات الوجوه وتشبيههن ببنات رسول الله ﷺ وهو في نفسه محرم لما يتضمنه من الهتك والمثلة.

- ٦- ومنها صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب، وهو معيب شائن مناف للآداب والمروءة يجب اجتنابه في المآثم وغيرها.
- ٧- ومنها الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة القبيحة.
- ٨- وكذا كل ما يوجب الهتك والشنعة مما لا يدخل تحت الحصر ويختلف الحال فيه بالنسبة إلى الأقطار والأصقاع إلى غير ذلك.
- فإدخال هذه الأشياء في إقامة شعائر الحزن على الحسين عليه السلام من تسويلات إبليس، ومن المنكرات التي تغضب الله ورسوله ﷺ^(١).
- وتحدث عنها أيضا في سيرته الذاتية التي ضمّنها كتابه (أعيان الشيعة) حيث قال:
- «جرح الرءوس بالمدى والسيوف ولبس الأكفان وضرب الطبول والنفخ في البوقات وغير ذلك من الأعمال محرم بنص الشرع وحكم العقل، فجرح الرءوس إيذاء للنفس محرم عقلا وشرعا، لا يترتب عليه فائدة دينية ولا دنيوية، بل يترتب عليه زيادة على أنه إيذاء للنفس الضرر الديني؛ وهو إبراز شيعة أهل البيت بصورة الوحشية والسخرية وكل ذلك، كلبس الأكفان وباقي الأعمال مزر بفاعله وبطائفته، لا يرضاه الله ولا رسوله ولا أهل بيته، فهو من عمل الشيطان وتسويل النفس الأمارة بالسوء، سواء أسمى بالموكب الحسينية أم بإقامة الشعائر أم بأي اسم كان»^(٢).

(١) رسالة التنزيه ٢١-٢٣ بتصرف، ضمن كتاب (ثورة التنزيه) إعداد: محمد القاسم الحسيني النجفي، دار الجديد- بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦ م.

(٢) سيرة السيد محسن الأمين وهي جزء من كتاب أعيان الشيعة. تحقيق وشرح: هيثم الأمين، وصابرنا ميرفان ١٥٧. دار رياض الريس للكتب والنشر. بيروت- لبنان. الطبعة الأولى. يناير ٢٠٠٠ م.

ب- مهدي بن صالح القزوينى (١):

فى سنة ١٩٢٦ م فى البصرة أصدر المجهه مهدي بن صالح القزوينى فتوى تحرم أعمال الشبيه ومواكب لطم الصدور (١).

ج- محمد باقر الصدر:

أصدر فتوى بتحريمه مبينا أن العلماء لا يقولون به: «إن ما تراه من ضرب الأجسام وإسالة الدماء هو من فعل عوام الناس وجهالهم، ولا يفعل ذلك أى واحد من العلماء، بل هم دائبون على منعه وتحريمه» (١).

د- محمد جواد مغنيه:

صرح بكونها بدعة فى المذهب، وأنكر على من يقوم بها فى قوله: «ما يفعله بعض عوام الشيعة فى لبنان والعراق وإيران كلبس الأكفان وضرب الرؤوس والجباه بالسيوف فى العاشر من محرم. إن هذه العادات بدعة فى الدين والمذهب، وقد أحدثها لأنفسهم أهل الجهالة دون أن يأذن بها إمام أو عالم كبير كما هو الشأن فى كل دين ومذهب حيث توجد فيه عادات لا تقرها العقيدة التى ينتسبون إليها، ويسكت عنها من يسكت خوف الإهانة والضرر» (١).

(١) مهدي بن صالح القزوينى الكاظمى المولد الموسوى، توفى ١٣٤٠هـ، إمام الجماعة بالكويت، له كتاب «إكمال السنة فى نقض منهاج السنة»، و«منهاج الشريعة فى الرد على ابن تيمية». الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ أغا بزرك الطهرانى ٢٤ / ١٧٢، دار الأضواء - بيروت، الطبعة الثانية.

(٢) حركة الإصلاح الشيعى. صابرينا ميرفان ٣٠٥.

(٣) كل الحلول عند آل الرسول، محمد التيجانى السماوى ١٥٠. دار المجهى - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٤) تجارب محمد جواد مغنيه بقلمه ٢٧٧ دار الجواد. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى. ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

هـ - السيد محمد حسين فضل الله:

أفتى السيد محمد حسين فضل الله وصرح في أكثر من موضع بحرمة هذه الأعمال التي تمارس في عاشوراء، ومن ذلك:

«نرى أنه يحرم إضرار الإنسان بنفسه إلا في الحالات التي تفرضها الضرورة، ولذلك قلنا بأنه يحرم ضرب الرؤوس بالسيف أو ضرب الظهر بالسلاسل وحتى اللطم العنيف الذي يوجب أضراراً بالإنسان ولو إضراراً غير خطير، لأننا نستفيد من النصوص التي بين أيدينا حرمة الإضرار بالنفس، كما أننا نجد أن السيرة العقلانية تقتضي ذلك... ومن هنا فإننا نرى أن هذا أمر محرم شرعاً حتى لو كان ذلك بعنوان الحزن والمواساة»^(١).

وأصدر بياناً بمناسبة عاشوراء سنة ١٤٢٩ هـ جاء فيه:

«التطبير يسيء إلى الإسلام باعتباره يجعل من ذكرى عاشوراء مناسبة لتعذيب النفس وجلد الذات، وأضاف أنه قد أفتى قبل سنوات بحرمة التطبير لسببين، الأول: لحرمة الإضرار بالنفس، وثانياً: لأن ذلك يؤدي إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين الشيعة بالخصوص»^(٢).

و- الدكتور موسى الموسوي:

دعا إلى منع هذه الأعمال، حيث قال:

«إن على الطبقة المثقفة من الشيعة الإمامية أن تبذل قصارى الجهد لمنع الجهلة من القيام بمثل هذه الأعمال التي مسخت وشوهت ثورة الإمام الحسين، وعلى

(١) فتوى للسيد محمد حسين فضل الله. منشورة في موقع إسلام أون لاين. بتاريخ ٢٧/١/٢٠٠٧ م.

<http://www.onislam.net/content/arabic/ashura/fatwas/articles/11.shtml>

(٢) بيان نُشر في صحيفة الوطن السعودية. عدد رقم (٢٦٦٠) بتاريخ ٢ محرم ١٤٢٩ هـ ١١/١/٢٠٠٨ م.

الوعاظ والمبلىغىن أن يقوموا بدور أكثر وضوحاً ورؤية، والحقيقة التى أود أن أذكرها بكل صراحة ووضوح هى أن السبب الذى حدا بالحسين للاستشهاد فى يوم عاشوراء كان أعلى وأجل بكثير من الصورة التى ترسمها الشيعة عن ذلك، فالحسين لم يستشهد لتبكي الناس عليه وتلطم الخدود وتصوره بالبائس المسكين، وإنما أراد الإمام أن يعطى درساً بليغاً فى الإيثار عن النفس والحزم والعزم والشجاعة فى مقارعة الظلم والاستبداد، فلذلك أن الاحتفال فى شهادة الإمام الحسين ينبغى أن يكون احتفالاً يتناسب مع مقام الحسين بعيداً عن الغوغاء والجهلة والأعمال التى تضحك وتبكي فى آن واحد»^(١).

ز- عباس موسى^(٢):

حيث أعلن عدم مشروعيته فى قوله: «هذه الظواهر لم ترد فى الشريعة الإسلامية فى مصادرها الأساسية القرآن والسنة، فهى لا تعد شعيرة من ناحية، ومن ناحية أخرى هذه الأعمال فيها من المفسدة للمذهب لما تؤديه من التهتك والتوهين مما لا يختلف فيه أحد، وبالتالي فهذه الظواهر هى للحرمة أقرب إن لم نقل بتحريمها لمفسدتها الواضحة»^(٣).

وقد أصبحت هذه الآراء أقرب للتحقيق والتنفيذ، خاصة بعدما تبنتها الجمهورية الإيرانية، ففي عام ١٩٩٥ دعت السلطات الإيرانية السكان إلى أن يمتنعوا عن إيذاء أنفسهم فى الاحتفالات الخاصة بعاشوراء التى تجرى فى الثامن والتاسع من حزيران،

(١) الشيعة والتصحيح ١٠٢.

(٢) كاتب شيعى، من القطيف بالمملكة العربية السعودية.

(٣) بحث (التطير بدعة أم شعيرة) عباس موسى، شبكة راصد الإخبارية. بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٩.

وأعلن مجلس الأمن الداخلي برئاسة السيد وزير الداخلية علي بشارقي أن قوى الأمن ستتصدى بحزم لكل من يتسبب في إصابة نفسه بجروح في هذه الاحتفالات، ودعا المجلس أمس أيضا أئمة المساجد في كل البلاد إلى توعية الناس وإقناعهم بعدم اللجوء إلى مثل هذه الممارسات في ذكرى عاشوراء.

وقد حضر مرشد الجمهورية الإسلامية آية الله علي خامنئي العام الماضي هذه الممارسات التي تظهر الشيعة كأنهم يعيشون في الوهم ولا يعيرون العقل أي أهمية، كذلك دعت منظمة نشر الدعوة الإسلامية التي أنشئت بعد قيام الثورة في إيران المؤمنين في العالم إلى التبرع بدمائهم للمستشفيات بدل إهراقها بهذه الطريقة^(١).

وبهذا يظهر أن كثيرا من علماء الشيعة قد أفتى بحرمة هذه الممارسات التي يفعلها الشيعة في عاشوراء، والتي لا أصل لها في الفكر الشيعي، فضلا عن كونها تسعى للشيعة حول العالم.



(١) انظر: ثورة التنزيه، إعداد محمد القاسم الحسيني النجفي ٥٤.

الفصل الحادى عشر

الفروع الفقهية

توجد بعض الفروع الفقهية الخاصة بالشىعة الاثنى عشرية، ينفردون بها عن غيرهم من المذاهب الأخرى، وهى تعبر عن عقائد وآراء داخل المذهب، وقد قام أعلام الإصلاح بنقد هذه الفروع على النحو التالى:

١- الشهادة الثالثة فى الأذان

الشهادة الثالثة هى قول الشىعة فى الأذان بعد الشهادتين (أشهد أن علياً ولي الله) وقد اتفق العلماء والمراجع على جواز ذكر الشهادة الثالثة عقب الشهادتين فى الأذان والإقامة، بل أكدوا على استحباب ذلك.

ورغم قولهم برجحان ذكر الشهادة الثالثة فى الأذان والإقامة، إلا أنهم لم يعدوها جزءاً منهما، غير أن بعض العلماء صرح بجزئيتها لهما^(*).

وقد أنكر تيار الإصلاح زيادة (أشهد أن علياً ولي الله) فى الأذان تمسكاً بأنه:

لم تظهر الشهادة الثالثة فى الأذان فى مذهب الشىعة الاثنا عشرية فى بداية المذهب، وإنما ظهرت فى وقت متأخر.

يقول موسى الموسوي:

«يبدو لي أن الشهادة الثالثة دخلت فى أذان الصلوات بعد الغيبة الكبرى، ولكنها لم تظهر ظهوراً رسمياً على مسرح الأحداث المذهبية إلا بعد أن أدخل الشاه

(*) انظر: الشهادة بالولاية فى الأذان. السيد علي الحسيني الميلاني. مركز الأبحاث العقائدية. سر الإيمان

الشهادة الثالثة فى الأذان. العلامة السيد عبد الرزاق الموسوي المقيم.

إسماعيل الصفوي إيران في التشيع وأمر المؤذنين بإدخال الشهادة الثالثة في أذان الصلوات ومن على المآذن... ومنذ ذلك الحين ومساجد الشيعة في العالم تسير على الطريقة التي نماها ووسعها الشاة الصفوي»^(١).

ولذلك فإن أبو الفضل البرقي يرى أن بعض الغلاة وضع الأحاديث التي تؤخذ منها الشهادة الثالثة. ومنها:

«روى الكليني عن سهل بن زياد، ويونس بن يعقوب أن الله لما خلق السموات والأرض أمر المنادي بنداء شهادات ثلاث: بشهادة التوحيد، والنبوة، وأن عليا أمير المؤمنين حقا»^(٢).

فأما التوحيد والنبوة فليس فيهما كلمة حقا، هذا هو الذي جعل الشيخ الصدوق يقول في (من لا يحضره الفقيه): لعنة الله على من زادوا الشهادة الثالثة في الأذان وكانوا من المفوضة الذين أدخلوا أنفسهم في الشيعة»^(٣).

وبناء على ذلك فإن عبارة (أشهد أن عليا ولي الله) ليست من الأذان، وإنما دخلت فيه بناء على رواية بعض الغلاة الوضاعين.

(١) الشيعة والتصحيح ١٠٤.

(٢) الكافي ١/ ٤٤١، باب «مولد النبي ﷺ ووفاته».

(٣) يقول الشيخ الصدوق: «وفي بعض رواياتهم بعد «أشهد أن محمدا رسول الله»، «أشهد أن عليا ولي الله» مرتين، ومنهم من روى بدل ذلك «أشهد أن عليا أمير المؤمنين حقا» مرتين، ولا شك في أن عليا ولي الله وأنه أمير المؤمنين حقا وأن محمدا وآله صلوات الله عليهم خير البرية، ولكن ليس ذلك في أصل الأذان، وإنما ذكرت ذلك ليعرف بهذه المتهمون بالتفويض، المدلسون أنفسهم في جملتنا». من لا يحضره الفقيه، ١/ ٢٩٠، ٢٩١ صححه وعلق عليه/ علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين، الحوزة العلمية في قم، الطبعة الثانية.

(٤) كسر الصنم ٢٩٧-٢٩٨.

يقول محمد حسين فضل الله: «نحن لا نعتبر أن كلمة (أشهد أن عليا ولي الله) جزء من الأذان، وقد كتبنا ذلك في كتاب الفتاوى، وقلنا إننا لا نوافق على أن يزداد في الأذان أي شيء... كلمة (أشهد أن عليا ولي الله) ليست جزءا من الأذان، ولا يجوز اعتقاد كونها جزءا من الأذان»^(١).

وإنما لا تجوز الزيادة في الأذان لأنه عبادة توقيفية وردت عن النبي ﷺ، ولا يمكن تغييرها بالزيادة أو النقصان.

ولذلك كان من جملة الخطوات التصحيحية التي دعا إليها موسى الموسوي في رسالته الإصلاحية إصلاح الأذان في مساجد الشيعة فقال:

«نطالب الشيعة في الحركة التصحيحية أن تعود إلى الأذان الذي أذنه بلال الحبشي في مسجد رسول الله ﷺ وفي حضور رسول الله ﷺ وصحابته بما فيهم علي، وأن يطلبوا من المؤذنين في مساجد الشيعة أن يلتزموا بذلك»^(٢).

٣- الجمع بين الصلوات:

تفرد الاثنا عشرية بإباحة الجمع بين صلاة الظهر والعصر معا، والمغرب والعشاء معا، جمع تقديم أو تاخير دون عذر، فتصير أوقات الصلاة ثلاثة بدلا من خمسة في الحضر لغير عذر يبيح ذلك، خلافا لجمهور المسلمين.

وقد قالوا بجوازه مطلقا غير أن التفريق أفضل، فيجمعون غالبا بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء في السفر والحضر، لعذر أو لغير عذر، وجمع التقديم وجمع

(١) حوار محمد حسين فضل الله مع مجلة الأهرام العربي بتاريخ ١/٣/٢٠٠٧.

(٢) الشيعة والتصحيح ١٠٦.

التأخير عندهم في الجواز سواء (١).

ويستدلون على ذلك بما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر» (٢).

وأما جمهور أهل السنة، فحملوا الجمع المذكور في حديث ابن عباس على أنه جمع صوري، بأن تؤخر الصلاة الأولى إلى قرب دخول وقت الصلاة الأخرى فتصلى، وبعد الانتهاء منها يدخل وقت الصلاة الثانية، فتصلى في أول وقتها.

ويؤيد ذلك ما رواه النسائي عن ابن عباس أيضاً بلفظ: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً آخر الظهر وعجل العصر وأخر المغرب وعجل العشاء» (٣).

وقد ذكر الشوكاني روايات كثيرة تؤيد أن المقصود من حديث ابن عباس الجمع الصوري (٤). وقد قام علماء الإصلاح بالرد على رأي الشيعة.

حيث يرى موسى الموسوي أن من أهداف هذا القول عزل الشيعة عن المحيط الإسلامي العام مع بقية المذاهب الأخرى التي تؤدي الصلاة في أوقاتها.

(١) مسائل فقهية، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، ١٠، مركز الأبحاث العقائدية.

وانظر: الشيعة شبهات وردود، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ١٢٧ وما بعدها.

<http://www.makaremshirazi.org/arabic/compilation/?bi=38&itg=15&s=im>

(٢) صحيح مسلم، كتاب «صلاة المسافرين قصرها»، باب «الجمع بين الصلاتين في الحضر» حديث رقم «١١٤٦».

(٣) سنن النسائي الكبرى، كتاب «الصلاة»، باب «عدد صلاة المغرب» حديث رقم «٣٧٦». وهو صحيح، انظر: صحيح وضعيف سنن النسائي رقم «٥٩٨».

(٤) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ٢٦٤/٣، إدارة الطباعة المنيرية.

يقول: «هل هناك سبب يجدى بالخير فى التظاهر بهذا الاختلاف مع الأكثرية الساحقة من المسلمين، أم أنه عمل سنه أناس وكان غرضهم عزل الشيعة عن كل مظاهر الوحدة، ثم سار عليه الفقهاء وأئمة المساجد وهم يعلمون أو لا يعلمون»^(١).

وهذا مخالف لعمل رسول الله ﷺ وما سار عليه الأئمة بعد ذلك، فقد كان الرسول ﷺ يصلى فى مسجده بالمدينة فى الأوقات الخمسة، وهكذا الخلفاء من بعده بما فىهم الإمام علي، وهى سيرة أئمة الشيعة جميعا، وإذا ما جمع الرسول ﷺ بين الصلاتين مرة أو مرتين فى غير سفر فقد كان لضرورة أو للترخيص، أما عمله ﷺ فكان هو الالتزام بالأوقات الخمسة.

ولذلك نادى موسى الموسوى فى رسالته الإصلاحية التى وجهها إلى الشيعة قائلا:

«نبيب بأئمة مساجد الشيعة وبالشيعة أنفسهم أن يلتزموا بالصلوات فى أوقاتها ويضعوا نصب أعينهم الصلوات الخمس التى كان رسول الله ﷺ يؤديها فى مسجده بالمدينة ومعه صحابته من المهاجرين والأنصار، وألا يشذوا عن طريق رسمه للمسلمين نبي الإسلام، ففي الاقتداء به وبسنته عزهم وكرامتهم وشوكتهم»^(٢).

٣ - السجود على التربة الحسينية:

يرى الشيعة الاثنا عشرية أن السجود على التربة الحسينية المأخوذة من كربلاء أفضل من السجود على غيرها.

(١) الشيعة والتصحيح ١٣٨.

(٢) المرجع السابق ١٣٨ - ١٣٩.

وأنة ليس فرضاً، وإنما هو من المستحبات الأكيدة وهذا ما يقوله جميع الشيعة بلا استثناء^(١).

ويبين العلامة محمد حسين آل كاشف الغطاء حكمة استحباب السجود على التربة الشريفة، حيث يقول:

«ولعل السر في إلزام الشيعة الامامية (استحباباً) بالسجود على التربة الحسينية، مضافاً إلى ما ورد في فضلها، ومضافاً إلى أنها أسلم من حيث النظافة والنزاهة من السجود على سائر الأراضي وما يطرح عليها من الفرش والبوراي والحصر الملوثة والمملوءة غالباً من الغبار والميكروبات الكامنة فيها، مضافاً إلى كل ذلك، فلعله من جهة الأغراض العالية والمقاصد السامية أن يتذكر المصلي حين يضع جبهته على تلك التربة تضحية ذلك الإمام بنفسه وآل بيته والصفوة من أصحابه في سبيل العقيدة والمبدأ وتحطيم الجور والفساد والظلم والاستبداد»^(٢).

وقد غالى الاثنا عشرية في أمر تربة كربلاء فأثبتوا لها شرفاً عظيماً، ومنزلة رفيعة في الشفاء من الأمراض المستعصية لبركتها، ويستندون في ذلك إلى أقوال الأئمة، ومن ذلك:

قول الإمام الصادق: «في طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كل داء وهو الدواء الأكبر»^(٣).

(١) السجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية، ١٠١ إعداد مركز الرسالة.

(٢) الأرض والتربة الحسينية ٢٤. المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت. وانظر أيضاً: السجود على التربة الحسينية. العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني. مركز الأبحاث العقائدية، السجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية. إعداد مركز الرسالة.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ٢/ ٥٩٩، ٦٠٠، باب «فضل تربة الحسين عليه السلام وحریم قبره».

وقد قام عدد من تيار الإصلاح داخل مذهب الشيعة بالرد على استحباب السجود على تربة كربلاء، منهم السيد محمد حسين فضل الله حيث قال:

«إن السجود على التربة الحسينية لا يمثل أي قداسة لهذه التربة فالثابت لدى فقهاء أهل البيت، أنه لا يجوز السجود إلا على الأرض، وما أنبت مما لا يستعمل بمادته للأكل أو للبس ويقولون إن النبي ﷺ يقول: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً^(١)، فالأرض بطبيعتها هي الأساس في المسجد، وأما السجاد والموكيت أو ما أشبه ذلك أو حتى الأوراق التي يمكن أن تؤكل مثل ورق العنب فإنه لا يجوز السجود عليه، ولكن يجوز لنا أن نسجد على العشب أو نسجد على الخشب، ويجوز لنا أن نسجد على الأوراق التي لا تستعمل للأكل من قبل البشر وما إلى ذلك، ولكن لا نسجد على الصوف ولا القطن، لذلك فمسألة التربة هي مجرد تراب يسجد عليه عندما يفقد الإنسان ما يسجد عليه مما يصح السجود عليه، وليست أي قداسة، فيأمكن الإنسان أن يكسر هذه التربة ويرميها في الهواء، ولكن بعض الناس يتبركون بالتراب الذي هو من كربلاء باعتبار استشهاد الإمام الحسين عليه، ولكن ليست هناك أي خصوصية وأي قداسة لهذا التراب الذي يسجد عليه المسلمون الشيعة ولا يلتزمون به بالخصوص، بل إننا نستطيع أن نسجد على الورق أو أي شيء آخر يسجد عليه»^(٢).

ويجب أيضاً عليهم الغلو في أمر هذه التربة وتقديسها التماساً للبركة منها أو للشفاء.

(١) الحديث أخرجه: البخاري، كتاب «التيمة» رقم ٣٢٨، وكتاب «الصلاة» باب «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» رقم ٤٢٧، وفي كتب الشيعة: بحار الأنوار ١٦ / ٣١٣، باب «فضائله وخصائصه صلى الله عليه وآله وما امتن الله به على عباده».

(٢) حوار مع مجلة الأهرام العربي. عدد ٥٢٠ بتاريخ ١٠ / ٣ / ٢٠٠٧.

يقول موسى الموسوي: «إن السجود على التربة الحسينية كما نعرفها بل يعرفها الشيعة أنفسهم لا تتوقف عند هذا الحد الفقهي أو أنه سجود على التراب وحسب، بل المسألة أبعد من ذلك بكثير، فكثير من الذين يسجدون على التربة يقبلونها ويتبركون بها وفي بعض الأحيان يأكلون قليلاً من تربة «كربلاء» للشفاء، في حين أن أكل التراب حرام في الفقه الشيعي، ثم إنهم صنعوا من التراب هيئات مختلفة يحملونها في جيوبهم وينقلونها معهم في أسفارهم ويعاملونها معاملة تقديس وتكريم»^(١).

ولذلك نادى في حركته الإصلاحية داخل المذهب الشيعي إلى البعد عن هذا الأمر الشائع بين الشيعة، وعدم إعطاء أي قداسة لهذه التربة، فلا فرق بينها وبين أي أرض أخرى، ولو كانت هناك قداسة لأرض دون أرض لكانت القداسة لتربة مكة أو المدينة المنورة.

«والحركة التصحيحية التي ننادي بها لا تعني أننا نحث الشيعة على عدم السجود على التراب فرسول الله يقول: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» ورسول الله ﷺ كان يسجد على التراب في مسجده بالمدينة، ولكننا نود القول: إن تفضيل أرض على أرض حتى إذا ثبت في الشرع لا يعني الالتزام بالسجود على تلك الأرض وإلا لكان المسلمون يحملون معهم تراب مكة والمدينة والقدس ليسجدوا عليه»^(٢).

(١) الشيعة والتصحيح ١١٥.

(٢) المرجع السابق ١١٧.

٤ - سقوط صلاة الجمعة

يرى بعض الشيعة الاثنا عشرية أن صلاة الجمعة تسقط في عصر الغيبة ويقوم مقامها صلاة الظهر، لعدم وجود الإمام المعصوم.

قال المحقق الكركي في رسائله: اختلف أصحابنا في حكم صلاة الجمعة حال غيبة الإمام عليه السلام على قولين، الأول: القول بجواز فعلها إذا اجتمعت باقي الشرائط، القول الثاني: المنع من صلاة الجمعة حال الغيبة ونفي شرعيتها^(١).

وقد وجه سؤال إلى المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطبطبائي الحكيم^(٢) جاء فيه: ماذا تقول في صلاة الجمعة بالنسبة لمقلديكم؟ فأجاب قائلاً: لا تجب صلاة الجمعة حتى لو أقيمت في بعض الأماكن، وعلى ذلك جرت سنة الشيعة قديماً وحديثاً^(٣).

وقد لاقت هذه المسألة نقداً كثيراً داخل المذهب الشيعة على النحو التالي:
القول بسقوط صلاة الجمعة في عصر الغيبة - لعدم وجود الإمام - لم يكن موجوداً في أول الأمر، وإنما حدث في وقت متأخر.

يقول أحمد الكاتب: «لم يعرف عن أحد من علماء القرن الثالث والرابع قولاً

(١) انظر: رسائل المحقق الكركي (الجمعة) ١٤٥، ١٥٣، تحقيق الشيخ / محمد حسون، مركز الأبحاث العقائدية.

(٢) المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطبطبائي الحكيم، ولد في النجف الأشرف، عام ١٣٥٤ هـ الموافق ١٩٣٤ م، اعتقل في العراق في الفترة من ١٩٨٣ حتى ١٩٩١ م، من مؤلفاته: «المحكم في أصول الفقه»، «مصباح المنهاج»

انظر: الموقع الشخصي <http://www.alhakeem.com/arabic/alhakeem/sira/index.htm>

(٣) موقع المرجع الديني محمد سعيد الطبطبائي الحكيم.

بمقاطعة صلاة الجمعة باعتبار فقدانها لشرط وجود الإمام أو إذنه الخاص، إلا ما نقل عن الشيخ علي ابن الحسين بن بابويه القمي الذي يقول في (رسالة) له: إذا زالت الشمس من يوم الجمعة فلا تصلّ إلا المكتوبة. ولكن هذا القول لم يعرف عن الشيخ الصدوق الوالد، ولم يروه عنه أحد من العلماء، ولم تثبت صحة نسبة الكتاب إليه.

ولم يكن ليحدث في أمر هذه الصلاة العظيمة من جديد لولا التفسير الذي راج عند بعض الفقهاء الإمامية في وقت متأخر حول كلمة: (الإمام) أو (الإمام العادل) حيث حصروا معناها بالإمام المعصوم. ولما كانوا يقولون: إن الإمام المعصوم غائب في هذا العصر، وإن من شروط إقامة صلاة الجمعة حضور الإمام أو إذنه، فقد قال أولئك الفقهاء بافتقاد أحد شروط صلاة الجمعة وهو إذن الإمام المعصوم المهدي المنتظر، ونتيجة لذلك قال أولئك الفقهاء المؤمنون بنظرية (الانتظار) بحرمة أو بعدم وجوب صلاة الجمعة في (عصر الغيبة) (١).

ويبدو أن الذي دفع أولئك الفقهاء إلى القول بسقوط صلاة الجمعة في عصر الغيبة هو رغبتهم في انعزال الشيعة عن المجتمع المسلم، ومنعه من الاختلاط في هذه الشعيرة العظيمة التي يجتمع فيها المسلمون.

ويستدل موسى الموسوي على ذلك بأن صلاة الجمعة كانت تقام في إيران حيث الأكثرية الشيعية.

يقول: «ملوك الصفويين الذين كانوا حماة التشيع في إيران - وكثير من البدع التي ألصقت بالتشيع إنما ألصقت به بمباركتهم وسياستهم - كانوا من أشد أنصار صلاة الجمعة وأكبر المساجد الإيرانية وأضخمها بنيت في عهد ملوك الصفويين، وكان

(١) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه. أحمد الكاتب. النسخة الإلكترونية، من

المسجد الرئيسي يسمى «مسجد الجمعة» ولا يوجد مدينة كبيرة في إيران إلا وفيها مسجد من هذا الطراز وكان إمام المسجد يلقب (إمام الجمعة) ويعين بمرسوم خاص من الشاه، وكان هذا المنصب منصباً محترماً يناط بكبير العلماء أو شيخ الفقهاء في كثير من الأحيان، ويعني هذا أن فكرة حرمة صلاة الجمعة في عصر الغيبة لم تطرح إلا في بلاد كان الاحتكاك شديداً فيها بين الشيعة وغيرها من الفرق الإسلامية الأخرى حتى تنشي الشيعة من الالتحام بالركب الإسلامي الموحد ولكن في إيران حيث كانت الأكثرية من الشيعة فإن الفقهاء لم يعارضوا صلاة الجمعة وكانت تقام في مساجد البلاد بطولها وعرضها»^(١).

ويرى أن اجتهاد الشيعة القائل بإسقاط صلاة الجمعة في عصر الغيبة يصطدم مع نص قرآني صريح لا يحتمل التأويل - يقصد قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

يقول: «إن كل ما قيل ويقال في إسقاط صلاة الجمعة في عهد غيبة الإمام يصطدم بنص صريح لا اجتهاد فيه وذلك إذا كنا ملتزمين بدستور الإسلام فنحن أمام دستور ثابت وصريح وواضح لم يكن مقيداً بقيود أو مشروطاً بشروط، ولست أدري كيف استطاع فقهاؤنا أن يجتهدوا في نص قرآني بليغ وواضح بالاستناد إلى روايات نسبت إلى أئمة الشيعة»^(٢).

وقد قام عدد من علماء الشيعة المعاصرين ببداية إقامة صلاة الجمعة في كثير من المناطق الشيعية، وتحديداً بعد الثورة الإسلامية في إيران، وقد كان الشعار الذي

(١) الشيعة والتصحيح ١٢٨.

(٢) المرجع السابق ١٢٧.

أطلقه السيد/ محمد صادق الصدر (نعم نعم للجمعة) عندما أفتى بجواز إمامة صلاة الجمعة عام ١٩٩٧ (١).

وتوالى إقامة صلاة الجمعة بعد ذلك من قبل الشيعة.



تعقيب

بعد هذا العرض يمكن ملاحظة الآتي:

أولاً:

من خلال مطالعة الآراء الشيعية التي تعرضت للنقد من قبل رموز الإصلاح الشيعي يتبين قدر الانحراف الذي حدث في مذهب الشيعة حتى يمكن القول إنه ما من مسألة من المسائل ورأي من الآراء إلا وتعرض للتحريف والتغيير حتى ظهر في صورته النهائية مخالفا للصورة الأولى تماما، وهذا دليل على شدة الانحراف المبتدع في الآراء الشيعية مما يستدعي وجود تيار إصلاحي قوي يصحح هذه المخالفات.

ثانياً:

تعرض أعلام التصحيح لأكثر مفردات المذهب الشيعي بالنقد فقد وضعوا كل الآراء على طاولة البحث بدءاً من أركان وأصول المذهب الشيعي التي يرى علماء الشيعة عدم صحة إدعاء التشيع إلا بالإقرار بها، بل يرى بعضهم عدم صحة إيمان

(١) مقال (ثقافة التيار الصدري بين المرجعية والعشائرية) ، حامد محمود السيد، شبكة إسلام أون لاين بتاريخ ٧/١١/٢٠٠٥.

المراء إلا بالاعتقاد بها وصولا إلى عدد من الفروع الفقهية المخالفة التي لا تعد من صلب العقائد الشيعية والتي يمكن القول إن مخالفتها لا تعد خروجا عن التشيع. وقد يرى جمهور الشيعة أن هذا انفلاتا وخروجا عن الأصول، لكن بما أن التيار الإصلاحي وجد خلا في مسألة ما من الأصول فكان لا بد أن يتعرض لأركان المذهب وأصوله بالدراسة والبحث حتى يتبين الأصيل من الدخيل والصحيح من الفاسد.

ثالثا:

بالنظر إلى ما سبق من الآراء التي تم تصحيحها يمكن تصنيفها كالتالي:

١- أكثر دعاوى الشيعة تعرضا للنقد الإصلاحي كانت دعوى تحريف القرآن الكريم وقول عدد من الشيعة بها، ويرجع ذلك إلى خطورة هذه الدعوى لأنها تتعلق بأصل الدين، فالقول بتحريف القرآن - زيادة أو نقصا - ينقض أصل الدين. ولم يقتصر تصحيح هذه الدعوى على رموز التيار الإصلاحي فحسب وإنما تصدى لها كثير من أعلام ومراجع الشيعة التقليديين وألفوا فيها كثيرا من الكتب حتى يمكن الادعاء أن القول بسلامة القرآن من التحريف يكاد يُجمع عليه في الوقت الحالي بين عموم الشيعة.

٢- كانت أقل دعوى تعرضا لنقد الإصلاحيين دعوى النص على الأئمة والتحديد باثني عشر إماما، حيث تكلم فيها بحرية وانفتاح شديدين أحمد الكاتب وأثبت عدم صحة هذا القول، وسبقه إلى القول بها أبو الفضل البرقي وحيدر قلمداران القمي لكن ليس بنفس الأسلوب الذي تحدث به أحمد الكاتب.

ويرجع ذلك إلى أن هذه القضية هي صلب المذهب الشيعي حتى يمكن القول إن إثبات عدم صحتها ليس إصلاحا للتشيع وإنما هدم للتشيع من أساسه فلا يبقى له أركان يعتمد عليها.

٣- نالت مسألة سب الصحابة اهتماما كبيرا من التيار الإصلاحى فنادى بحرمته ذلك وبوجوب تقدير واحترام الصحابة جميعا رضوان الله عليهم، وقد نالت هذه المسألة أيضا اهتمام عدد من مراجع الشيعة التقليديين فأفتوا بذلك، لكن لم يصل تحريم سب الصحابة وتحريم ذكرهم بسوء إلى الإجماع الشيعى.

ولعل السبب فى ذلك أن جمهور الشيعة يرون أنه إذا أجمع على هذه المسألة فإنها تكون مقدمة لتصحيح خلافة الشيخين أبى بكر وعمر رضي الله عنهما وهذا يبطل إدعاء النص على الإمامة الذى يدعيه الشيعة، فلذلك تحفظ جمهور علماء الشيعة فى هذه المسألة.

٤- وافق عدد من مراجع الشيعة البارزين قديما وحديثا التيار الإصلاحى فى مسألة تحريم الشعائر الحسينية التى تحدث فى يوم عاشوراء والقائمة على أذى النفس، وكانت هذه القضية من أكثر القضايا التى واجهت اعتراضا من تيار الشيعة التقليدي إذ أنهم يعتبرونها إحياء للتقاليد الشيعية وربطها للشيعى بالمذهب ورموزه، ويعدون مخالفتها مخالفة لأهل البيت ونقضا لذكراهم. ولذلك فإنه قد صدرت دراسات كثيرة تتعلق بهذه المسألة سواء فى إثباتها أو فى نقضها والرد عليها.

٥- نالت مسألة ولاية الفقيه اهتماما كبيرا فى الوسط الشيعى، فعلى حين يرفض التيار الإصلاحى هذه النظرية ويرى بعضهم - أحمد الكاتب - أن الفكر الشيعى قد تجاوز هذه المسألة ولم يعد لها وجود عملي فى الواقع الشيعى، فإن بعض المراجع التقليديين يرون ولاية جزئية للفقيه أو محصورة فى نطاق معين - كما مر - وهذا تطور مهم فى النظرية.



الباب الثاني

أبرز رموز الإصلاح

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: إصلاحيون نقدوا أكثر مفردات المذهب.

الفصل الثاني: إصلاحيون نقدوا بعض مفردات المذهب.

تهيد

سوف أعرض في هذا الباب أبرز رموز الإصلاح في مذهب الشيعة الاثنا عشرية، في ضوء ما يلي:

أولاً:

عرضت في الباب الأول الأفكار التي تعرضت للإصلاح داخل مذهب الشيعة، ولم ألتزم بكون قائلها من تيار الإصلاح أم لا، لأن الغرض كان بيان الأفكار وليس الحديث عن الأشخاص، أما في هذا الفصل فسوف أهتم بالأشخاص الذين حملوا لواء الإصلاح والنقد الداخلي للمذهب.

ويمكن تقسيم الأفراد الذين حملوا لواء الإصلاح داخل المذهب إلى فريقين:

الأول: اهتم بنقد وإصلاح أصول وأركان مذهب الشيعة، وبيان ما بها من خلل وفساد، ويمكن القول بأنهم تخلوا عن القول بالإمامة.

الثاني: قام بنقد وإصلاح بعض المفردات داخل المذهب مع التزامه بالأصول الشيعية، فلم يتطرق إليها بالإصلاح أو النقد.

وبناء على ذلك فإن هذا الفصل سوف ينقسم إلى مبحثين:

الفصل الأول: إصلاحيون نقدوا أكثر مفردات المذهب.

الفصل الثاني: إصلاحيون نقدوا بعض مفردات المذهب.

ثانياً:

أعلام الإصلاح تتشابه مناهجهم وآراؤهم التصحيحية مع احتفاظ كل واحد منهم بأسلوب خاص في عرض منهجه، مع تركيزه على مسألة معينة من المسائل التي

يعرض لها بالإصلاح، فنجد - مثلا - من يركز جهده في مسألة الإمامة والنص عليها وما يترتب عليها من غيبة الإمام الثاني عشر - كأحمد الكاتب مثلا - مع وجود آراء له في المسائل الأخرى بالنقد والإصلاح.

ولذا فإن الخط العام الذي يجمع رواد التصحيح إنما هو نقد وتصحيح الآراء المخالفة في المذهب، مع تنوع الأساليب، واختلاف مناهج العرض بينهم.

ثالثا:

يتواجد بعض رواد الإصلاح في المناطق العربية الشيعية، وبعضهم يتواجد في إيران حيث اللغة الفارسية، وكثير من كتاباتهم وآرائهم نشرت باللغة الفارسية، ولم يترجم منها إلى اللغة العربية إلا القليل، ولذلك فقد عرضت آراءهم ومناهجهم حسب ما توفر لي من كتابات باللغة العربية التي حاولت أن أستخلص منها صورة توضح جملة آرائهم ومعالم مناهجهم.

رابعا:

قمت بترتيب الأعلام الذين عرضت لهم ترتيبا زمنيا بداية بالأقدم حسب تاريخ الوفاة، ثم الأحياء، وقد عرضت لهؤلاء الأعلام على النحو التالي:

ترجمة موجزة.

جهودهم في الإصلاح والنقد.

أهم مؤلفاتهم.

معالم مناهجهم من خلال مؤلفاتهم التي توفرت لي.

الفصل الأول

إصلاحيون نقدوا أكثر مفردات المذهب

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول : شريعة سنكاجي.

المبحث الثاني : أحمد الكسروي.

المبحث الثالث : حيدر قلمداران.

المبحث الرابع : أبو الفضل البرقعي.

المبحث الخامس : موسى الموسوي.

المبحث السادس : أحمد الكاتب.

تهديد

قام عدد من رموز التيار الإصلاحي بوضع كافة الآراء داخل المذهب الشيعي على طاولة البحث، فلم يقتصر نقدهم على رأي دون رأي أو قول دون الآخر، بل بدأ إصلاحهم من أركان المذهب مثل: القول بالإمامة والنص عليها وتحديد اثني عشر إماما من أهل البيت، واعتقاد عصمتهم، والقول بغيبة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، والاعتقاد برجعته في آخر الزمان. ووصل نقدهم إلى بعض الفروع الفقهية داخل المذهب كالقول بالصلاة على التربة الحسينية، والجمع بين الصلوات، وعدم مشروعية إقامة صلاة الجمعة.

هذه الفئة من العلماء قادهما البحث إلى نقد العديد من الآراء الشيعية المخالفة مع تنوعهم في طريقة نقدهم، واختلافهم في أهم الأصول التي ينبغي التركيز عليها في نقد المذهب الاثني عشري.

وسوف أعرض في هذا المبحث ستة من رموز الإصلاح الشيعي الذين تكلموا في أصول المذهب، واحد منهم ما زال على قيد الحياة، وهم [مرتبين على تاريخ الوفاة]:

- * شريعت سنكلجي.
- * أحمد الكسروي.
- * حيدر قلمداران.
- * أبو الفضل البرقي.
- * موسى الموسوي.
- * أحمد الكاتب.

المبحث الأول

شريعة سنكلجي (ت ١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م)

تعد محاولة العلامة (شريعة سنكلجي) التصحيحية من أوائل حركات الإصلاح في مذهب الشيعة الاثنا عشرية في العصر الحديث، وتأتي أهميتها من كونها فتحت الطريق لكثيرين ممن ساروا على طريق التصحيح والإصلاح والنقد الداخلي لمذهب الشيعة.

ترجمته (*)

اسمه: شريعة بن محمد حسن سنكلجي، ولد عام (١٣١٠هـ).

تعلم علوم الابتدائية على يد والده، ثم دخل مدرسة (ميرزا زكي) في طهران، وقد اشتهرت هذه المدرسة بكثرة طلابها في ذلك الوقت، وطلب العلم على يد عدد من العلماء في هذه الفترة حتى أتم الدراسة الأولية في الحوزة العلمية (١).

(*) اعتمدت على ترجمته التي أوردها محقق كتابه «توحيد العبادة» في مقدمة الكتاب، ولم أعثر على ترجمة له باللغة العربية غيرها. تحقيق: خالد بن محمد البديوي. أشرف على الترجمة: عبدالله جمعة البلوشي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(١) تتم الدراسة في الحوزة العلمية في ثلاث مراحل هي:

١. المرحلة الأولى: دراسة المقدمات وتقوم مقام الدور الابتدائي في الأنظمة التربوية، ويقوم الطالب في هذه المرحلة بدراسة النحو والصرف والعلوم البلاغية والعروض والمنطق والفقه وأصول الفقه وبعض النصوص الأدبية.

٢. المرحلة الثانية: دراسة السطوح وتقوم مقام الدور المتوسط، وفيها يتفرغ الطالب لدراسة الكتب الاستدلالية الأصولية والفقهية والفلسفة، وفي هذه المرحلة يقوم الأستاذ بشرح كتاب في كل فن من الفنون.

٣. المرحلة الثالثة: دراسة الخارج وتقوم مقام الدراسات العالية، وسميت بمرحلة البحث الخارج لأن الدراسة فيها تتم خارج نطاق الكتب التي يعتمد عليها الأستاذ في تحضير مادته في مرحلة البحث الخارج.

ثم انتقل مع أخيه الشىخ محمد سنكلجى إلى حوزة النجف لاستكمال دراسته العلمىة، فحضر دروسا لعلماء معروفىن، أمثال: السىد ضىاء اللىن العراقى (١)، والسىد أبو الحسن الأصفهانى (٢)، حتى عاد من النجف إلى إىران فاشتغل بالوعظ والتبلىغ، ولم يتجاوز عمره آنذاك ثلاثون عاما.

جهوده فى الدعوة والإصلاح:

بعد عودته من النجف واشتغاله بالوعظ كان أكثر ما يشغله هو تجدىد اللىن فى حىاة الناس، ومحاربة الخرافات والبدع التى علقّت باللىن، والعودة بالإسلام إلى منابعه الصافىة، وقد كان هذا كفىلا بأن ىنقسم الناس إزاءه إلى فرىقىن:

«المستمعون والقراء المتابعون للشىخ شرىعت ىوافقونه على استدلالاته وآرائه العقلىة، ولكن أصحاب البازار (تجار طهران) اللىن كانوا ىميلون إلى مشاىخ الغلو كانوا ىشنون حملات تحرىضىة ضده محاولىن ثنىه عن مسىرته التصحىحىة» (٣).

انظر: نظام الحوزات العلمىة، محمد الحسىنى الشىرازى، دار العلوم للتحقىق والطباعة والنشر، ٢٠٠٣م، وانظر: الانتصار، الشىخ على الكورانى العاملى ٤٥٥، ٤٥٦، دار السىرة، بىروت- الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(١) الشىخ ضىاء اللىن على بن الشىخ محمد العراقى ولىد الشىخ العراقى عام ١٢٧٨ هـ بمحافظة أراك فى إىران، توفى عام ١٣٦١ هـ، درس فى النجف الأشرف، له مؤلفات منها: مقالات الأصول، روائع الأمالى فى فروع العلم الإجمالى.

<http://www.al-shia.org/html/ara/others/?mod=monasebat&id=231>

(٢) أبو الحسن الموسوى الأصفهانى، ولىد ١٢٧٧، توفى عام ١٣٦٥ هـ، درس فى أصفهان وهاجر إلى النجف، وصارت إلىه مرجعىة الشىعة بلا منازع، من مصنفاته: وسىلة النجاة، شرح كفاىة الأصول.

<http://www.alhodacenter.com/index.php?p=details&lecID=490>

(٣) مقال: (محاولات أولىة لإصلاح الفكر الشىعى). صباح الموسوى.

وقد وجدت مقالاته وكتبه ومحاضراته صدئ بين جموع المتدينين المثقفين الذين يتطلعون إلى فهم جديد للدين بعيدا عن تسلط المنتفعين الذين يروجون للخرافة، وهذا ما جرّ عليه كثيرا من المتاعب والمصاعب.

يقول في مقدمة (توحيد العبادة): «أنا أعتقد أن ما يورده الجهلة ويشغبون به عليّ إنما هو بسبب دعوتي للإصلاح التي قدمتها في هذا الكتاب وكتب ومحاضرات أخرى، حيث بينت الإسلام الصحيح الذي هو إسلام السلف، والذي تكون نتيجته دحض كثير من الخرافات، وهدم كثير من معابد الوثنية»^(١).

ويحدد الأسباب التي دفعت المخالفين للهجوم عليه بأحد أمرين:

الأول: حسد بعض الأقران، فالحاسد إذا لم يستطع أن يبلغ مرتبة المحسود فإنه يجتهد في تحقير الآخر وتصغير مقامه بين الناس.

الثاني: أنه قد ظهر تأثير كتبنا ومحاضراتنا بحول الله وقوته بشكل كبير لدى أصحاب العقول النيرة، وساهمت كلماتي في تعريف الناس بالقرآن، ومن المسلم به أن الشخص إذا تعرف على حقائق القرآن فإنه سينفك عن أهل الدعاوى الباطلة، ولن يستطيع أي كاهن أو شيطان من الإنس أو الجن أن يغلبه، وهذا ما يملأ قلوب أصحاب الدعاوى الباطلة حسدا وغيظا؛ لأنهم يرون أن منافعهم في خطر عظيم، فسيسعون بكل وسيلة إلى الإبقاء عليها»^(٢).

لكن هل كان لهؤلاء الذين يهاجمونه أهدافا دينية دفعتهم إلى هذا الهجوم؟ كالحفاظ على المذهب وعقائده، جعلتهم يستبسلون في الدفاع عنها، وصد أي خروج عليها.

(١) مقدمة الطبعة الثانية من (توحيد العبادة) ٢٥، ٢٦.

(٢) المصدر السابق ٢٧.

يرى شريعت سنكلجي أنه لم تكن هناك أهداف دينية وراء هذه المواجهة على الإطلاق، وأنها أهداف دنيوية بحتة، أو كما يقول أهداف مادية اقتصادية، لأنهم ينتفعون بهذه الخرافات، ويستغلون الناس في سبيل إقرارها وتثبيتها^(١).

مؤلفاته:

خلف شريعت سنكلجي تراثا باللغة الفارسية، حيث لم يكتب بالعربية، ومن أبرز مؤلفاته:

١- الإسلام والرجعة: حيث ناقش فيه بشجاعة وجرأة غير مسبوقه رواية خروج المهدي الموعود، وفند ما تفيده الروايات الشيعية من أن المهدي تصاحب خروجه ثورة مسلحة يضع فيها السيف على رقاب خصومه، مؤكدا أن خروج المهدي سيأخذ طابعا نهضويا جماعيا واجتماعيا يلقي فيه قبولا عالميا، مقدما بذلك تصورا جديدا لمسألة المهدي يتلاءم مع الرؤية الإسلامية العامة، ومخالفا للرواية الشيعية التي تظهر المهدي وكأنه سياف لا هم له سوى القتل والانتقام^(٢).

٢- مفتاح فهم القرآن^(٣): وقد فسر فيه المؤلف القرآن بطريقة يعتمد فيها على الآيات القرآنية، ويقرر نفي الغلو والانحراف في كتاب الله تعالى، فضلا عن اعتماده على مصادر من كتب أهل السنة.

٣- توحيد العبادة: وهذا الكتاب تمت ترجمته إلى العربية مؤخرا، ولم يترجم غيره.

(١) المصدر السابق ٢٦.

(٢) مقال (محاولات أولية لإصلاح الفكر الشيعي) صباح الموسوي.

(٣) ذكره صباح الموسوي في مقاله بعنوان (مفتاح فهم الإسلام)، والظاهر أن الاسم الأول هو الأصوب

لتعلقه بتفسير القرآن.

٤ - كتاب الإسلام.

٥ - محاضرات ليلة الخميس.

٦ - الموسيقى (١).

معالم منهجه:

يمكن رصد أهم معالم منهج شريعت سنكلجي من خلال مؤلفاته وترجمته ومسيرة حياته في النقاط التالية:

١ - الاعتماد على القرآن:

يرى أن القرآن الكريم سبب هدايته، وأن مطالعة كتاب الله سبيل للتحرر من الخرافة التي تسيطر على العقول.

يقول: «أقول: إن العبد الفقير الفاني (شريعت سنكلجي) قد اجتهد منذ سنوات في مطالعة فنون عدة بحسب طاقته البشرية، فتعلم التفسير، والحديث، والكلام، والفلسفة، والفقه، وأصول الفقه، والتاريخ مستعينا بقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [سورة العنكبوت: آية ٦٩] حتى اهتديت بهدى القرآن» (١).

ويرى أن القرآن الكريم مُيسر للفهم، من قرأه وتدبر فيه علم مراد الله تعالى منه، ولهذا لا صحة لما يقال من وجود ظاهر وباطن للقرآن الكريم، أو أن هناك بعض الآيات صعبة تحتاج إلى واسطة في الفهم، ولهذا ينقل عنه رسول جعفریان: «كان يقول ليس هناك آية أو كلمة في القرآن لا يمكن أن يفهمها البشر، وبطن القرآن هو

(١) لم أطلع على هذه الكتب، لأنها بالفارسية، ولم أعرف محتواها. انظر: ترجمة المؤلف في مقدمة (توحيد العبادة).

(٢) مقدمة توحيد العبادة ٣٧.

نفس التفسىر والتأوىل، وهو نفس ظاهر القرآن» (١).

ولذلك كان من أهم كتبه: «كلىء فهم قرآن» أى: «مفتاح فهم القرآن»، الذى يذهب فىه إلى أن عوامل فشل المسلمىن ترجع إلى هجرهم لكتاب الله تعالى، وأن الحل يكمن فى الرجوع إلى الكتاب الكرىم، وىطرح بعض الأفكار التى يؤسس بها لمرجعية القرآن الكرىم عند الشىعى:

١- النص القرآنى غير محرف، وىذكر أدلته على ذلك.

٢- النص القرآنى قابل للفهم.

٣- النص القرآنى مستوعب لتمام القضاىا المرتبطة بالدىن، وىقىم شواهد على ذلك من القرآن» (٢).

٢- الدعوة إلى التوحىء:

كان أهم ما يشغل شرىعت سنكلجى عووء الناس إلى التوحىء الصافى الذى دعا إلىه القرآن، ونادى به الرسول ﷺ، وسارت علىه الأئمة، والذى كان الانحراف عنه أعظم انحراف وسبب كل غلو وخرافة حدثت فى الدىن، ولذلك فإنه ىتساءل:

«أىن تاج التوحىء الفاخر الذى ألبسه الرسول الأمىن ﷺ أمته، قد خلعه كثر من المسلمىن واستبدلوا الإسلام بالخرافات وعباءة الأوثان» (٣).

ولذلك ألف كتاب (توحىء العباءة) رغم إغفال الشىعة الحدىث عن هذا الجانب

(١) مقدمة محقق توحىء العباءة ٨. ناقلا عن: الحركات المذهبىة والسىاسىة فى إىران. رسول جعفرىان،

(٢) انظر: نظرىة السنة فى الفكر الإمامى الشىعى، حىدر حب الله ٦١٣.

(٣) مقدمة توحىء العباءة ٣٤.

تماما وإهماله، لكنه أولاه عنايته، وتحدث عن رغبته في علاج هذا القصور عند الشيعة في مقدمة كتابه فقال:

«رأيت أن أقدم شيئاً من المطالب المهمة في التوحيد الذي هو ركن من أركان الإسلام، وسبب لسعادة الدنيا والآخرة، وللأسف فإن كثيرا من المظاهر شاعت بين الناس باسم التوحيد» (١).

وقد عرض في الكتاب حقائق التوحيد ومعناه، ومعنى العبودية، والعبادة ومراتبها، وتحدث عن الشرك وأنواعه الأكبر والأصغر، وكيفية ظهوره بين الناس، وكيف سد الإسلام الطرق الموصلة إلى الشرك.

٣- محاربة الغلو والخرافة في الدين:

كان شريعت سنكلجي يتألم بسبب الخرافات المنتشرة بين أبناء الأمة - وخصوصا الطائفة الشيعية - يقول عن نفسه:

«واليوم صرنا نبكي دما لأن الإسلام المحرف والخرافات الباطلة حلت محل الحقائق الدينية التي لا يعرفها كثير من الناس الذين لم يقرءوا سطور العلوم الدينية، ولم يتعلموا القرآن والسنة النبوية وأخبار أئمة الدين، بل هم أبعد ما يكون عن المعارف الحقّة وتعاليم خاتم المرسلين ﷺ، ومقيدون بأغلال الشرك والخرافات» (٢).

هذه الخرافات التي تسيطر على عقول الناس، وتصل إلى درجة العقيدة، عمل شريعت على محاربتها، موجهها العقول إلى التفكير، محررا الأفكار من الانقياد وراء الغلو، ومحذرا من الاستسلام للمألوف، فقد كان كما يقول صباح الموسوي:

(١) المصدر السابق ٣٨.

(٢) المصدر السابق ٣٣، ٣٤.

«يعمل عن وعي كامل في مواجهة الخرافات التي كان ينتقدها بانتظام في مجالسه وكتاباته، ومنها على سبيل المثال خرافة الرجعة، وغيرها من الخرافات الشيعية الأخرى»^(١).

٤ - اقترابه من منهج أهل السنة:

انتقد شريعت سنكلجي كثيرا من مفردات مذهب الشيعة الاثني عشرية، وقد كان ناقدا شيعيا من داخل المذهب، فلم يعلن عن تسننه، بل ظل على رأيه من ولاية أهل البيت، وإن ترك القول بأصول المذهب المخالفة؛ كالإمامة، والرجعة، والمهدي بالصورة التي يرسمها الشيعة، حتى يمكن القول إنه لم يبق شيء من أصول مذهب الشيعة ظل مقتنعا به، مع اقترابه اقترابا كبيرا من أصول أهل السنة، وكان يلجأ كثيرا إلى مصادرهم، حتى إنه استعان في كتابه (توحيد العبادة) بما يقارب الثلاثين مرجعا من مراجع أهل السنة من جملة مراجعه في الكتاب البالغة سبعة وخمسين مرجعا.



(١) مقال: محاولات أولية لإصلاح الفكر الشيعي. صباح الموسوي.

المبحث الثاني

أحمد الكسروي (١٣٠٧: ١٣٦٥ هـ - ١٨٨٩: ١٩٤٦ م)

يمكن القول بأن محاولة أحمد الكسروي الإصلاحية من أبرز المحاولات الشيعية، وذلك لأن صاحبها اقترب كثيرا في آرائه من مذهب أهل السنة الأمر الذي دفع طوائف من الشيعة إلى محاولة قتله أكثر من مرة حتى تم لهم ذلك، وفيما يلي عرض لنشأته ومجمل أفكاره.

نشأته:

اسمه: أحمد مير قاسم بن مير أحمد الكسروي، ولد في تبريز عاصمة أذربيجان أحد أقاليم إيران عام (١٣٠٧ هـ الموافق ١٨٨٩ م).

تلقى تعليمه الأولي في إيران، وأتقن عددا من اللغات منها: العربية والتركية والإنجليزية والأرمنية والفارسية الحديثة والفارسية القديمة حتى عمل أستاذا في جامعة طهران.

عمل في بعض المناصب القضائية حيث تولى رئاسة بعض المحاكم في المدن الإيرانية حتى أصبح أحد كبار مفتشي وزارة العدل الأربعة في طهران ثم تولى منصب المدعي العام في طهران.

وقد اشتغل بالصحافة حيث كان محررا في جريدة «برجم الإيرانية»، وله مقالات كثيرة في الصحف الإيرانية.

صدر له عدد من الكتب التي هاجم فيها أصول مذهب الشيعة مما جعل عددا من المثقفين يلتفون حوله وخصوصا الشباب إلى أن وصلت آراؤه إلى بعض البلاد العربية «الكويت» فطلب بعض الكويتيين منه تأليف كتاب بالعربية ليستفيدوا منه

فكتب لهم: «التشيع والشيعة»، بين فيه فساد المذهب الشيعي ومخالفته للحق. بعد أن انتهى من تأليف الكتاب تربص به بعض الشيعة فضربوه بالرصاص فدخل المستشفى وأجرى عملية جراحية وتم شفاؤه.

ولم يتركه خصومه بعد ذلك بل أخذوا يتربصون به حتى رفعوا شكوى ضده إلى وزارة العدل يتهمونه فيها بمخالفة الإسلام، فدُعي للتحقيق معه في ذلك وفي آخر جلسة من جلسات التحقيق عام ١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٦م ضرب بالرصاص مرة أخرى وطُعن بخنجر حتى مات متأثراً بجراحه رَحِمَهُ اللهُ.

مؤلفاته:

لم يكتب أحمد الكسروي باللغة العربية غير كتاب: «التشيع والشيعة».

وله عدة كتب باللغة الفارسية:

* صوفيكري (كتاب في نقد الصوفية).

* بهائيكري (كتاب في نقد البهائية).

* شيعيكري (كتاب في نقد الشيعة).

* آيين. (دستور أو دين).

(١) انظر ترجمته في: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، الدكتور/ ناصر القفاري ٢/ ٢١٨ - ٢٢٠، دار طيبة، الطبعة السادسة ١٤٢٠هـ. ترجمة موجزة في معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة ٢/ ٥٣.

وانظر: موقع صحوة الشيعة www.newshia.com.

(٢) صدرت طبعة الكتاب عام ١٩٨٨م بتحقيق الشيخين / سلمان العودة، وناصر القفاري. بدون بيانات.

معالم منهجه:

من خلال مطالعة كتابه: «الشيعية والتشيع» يمكن بيان منهج أحمد الكسروي فيما يلي:

١ - اعتماده على القرآن الكريم:

يُلاحظ هذا من خلال كثرة استشهاده بالآيات القرآنية في الرد على ضلالات الشيعة وبيان فساد ما يتمسكون به من آراء ومعتقدات من خلال منهج معتدل لا غلو فيه ولا تفريط.

من ذلك مثلاً رده على القول المشهور عند الشيعة: «حب علي حسنة لا يضر معها سيئة» يقول: «وأنتم ترون أنه يخالف القرآن حيث يقول: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة: آية ٨] مخالفة صريحة، ثم أليس هذا نسخاً للدين؟ إن كان حب علي لا تضر معه سيئة فأى حاجة إذن لشرع الأحكام»^(١).

ويقول: «أفراطوا في ذلك إفراطاً لا مزيد عليه فترون أنهم جعلوا القرآن كديوان شاعر مادح هاج، فكل آية فيها بشارة أو ذكر نعيم جعلوها في علي، وكل آية فيها إنذار أو ذكر عذاب جعلوها في عمر وأبي بكر»^(٢).

وقد ذكر عنه أنه كان يتلو بعض سور القرآن في مناظراته مع أحد الشيخية^(٣).

(١) التشيع والشيعة.

(٢) المرجع السابق ٨٩.

(٣) طائفة من طوائف الشيعة الاثني عشرية، تنسب إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي، وقد يقال لهم الأحمديّة، له آراء كفرية وزندقة ظاهرة، ومهد السبيل بأرائه لظهور ملاحدة جاءوا بعده، وقد اختلف الشيعة في شأنه ما بين مُعَظِّم له ومُكَفِّر، نُسِب إليه القول بالحلول، وتأليه الأئمة، وإنكار المعاد الجسماني، وأن من أصول الدين الاعتقاد بالرجل الكامل وهو المتمثل في شخصه، وهم اليوم

٢- الشورى منهج الخلافة:

يرى الكسروي أن خليفة رسول الله ﷺ ليس منصوفا عليه، وأن الأمر متروك لجماعة المسلمين ليختاروا خليفتهم، وينقل في ذلك قول علي بن أبي طالب: «إنما الشورى في المهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما فهو الله رَضِيَّ» (١).

ويُفند أدلة الشيعة في قضية الإمامة، فيرى أن قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: آية ٥٩] الذي يستدل به الشيعة على إمامة علي رضي الله عنه يدل على نقيض مقصودهم، وإذا كان المقصود كما يقولون فلم لم يُسَمَّ الله عليا فتكون الآية صريحة لا تحتمل الخلاف (٢).

ويبطل الاستدلال بالحديث المشهور عند الشيعة: «من كنت مولاه فعلي مولاه» بأنه لا تعلق له بالإمارة والخلافة، وكل ما فيه أنه أمر بالتوصية بالولاء لعلي رضي الله عنه (٣). ويدافع بقوة عن الصحابة رضوان الله عليهم، ويرد كل روايات الشيعة التي تقول بارتدادهم ونكوصهم عن بيعة علي رضي الله عنه، ويرى القدر فيهم من أشنع ما يمكن أن يقع فيه المسلم.

ويعرض المسألة بوجهة عقلية واضحة لا لبس فيها قائلا:

موجودون في إيران والعراق والكويت والأحساء. انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د/ غالب بن علي عواجي ١/ ٢٣٩، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د/ ناصر بن عبد الله القفاري ١/ ١١١، أعيان الشيعة ٢/ ٥٨٩.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/ ٧٥.

(٢) التشيع والشيعة ١١١.

(٣) المرجع السابق ١١٣.

«أي نفع لهم في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟ فأبي الأمرين أسهل احتمالا: أكذب رجل أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة أو ارتداد بضع مئات من خُلص المسلمين؟ فأجيونا إن كان لكم جواب»^(١).

٣- التصدي الخرافة والغلو:

اهتم كثيرا ببيان بطلان ما يعتقده الشيعة من خرافات وغلو في شأن الأئمة رضوان الله عليهم أدى بهم إلى الوقوع في شركيات كثيرة.

يقول: «وآخر منكراتهم ما هو رائج فيهم من عبادة القبب، فقد شادوا على قبر كل واحد من أئمتهم في خراسان أو العراق أو الحجاز قبة من الذهب أو الفضة وبنوا مباني ونصبوا خداما فيقصدها الزائرون من كل فج عميق فيقفون أمام الباب متواضعين ويستأذنون متضرعين ثم يدخلون فيقبلون القبر ويطوفون حوله ويكون ويتهلون ويسألون حاجات لهم، فهل هذه إلا العبادة»^(٢).

ويشدد الكسروي كثيرا على المسائل التي تتعلق بالتوحيد، وينكر على الشيعة كثيرا مما أحدثوه كزيارة المشاهد وشد الرحال إليها والطواف حولها وسائر الأمور الخرافية التي يعتقدها عموم الشيعة.

وكذلك يرد ويطعن في كثير من القصص والروايات الواردة في كتب الشيعة التي تحتوي خوارق ينسبها الشيعة للأئمة رضوان الله عليهم^(٣).

(١) المرجع السابق ١١٤.

(٢) المرجع السابق ١٤٣.

(٣) المرجع السابق ١٣١.

٤ - تبرؤة من التشيع:

أعلن الكسروي في أكثر من موضع في كتابه أن التشيع وصل إلى مرحلة من الابتداء في الدين حتى صار طريقاً للضلالة.

يقول: «نحتاج إلى كلام طويل لنوضح ضلال هذه الطائفة عن الدين وتوغلهم في الكفر»^(١).



(١) المرجع السابق.

المبحث الثالث

حيدر علي بن إسماعيل قلمداران القمي (١٩١٣م - ١٩٨٩م)

نسبه وترجمته (*):

حيدر علي بن إسماعيل قلمداران، ولد في قرية (ديزيجان) من أعمال مدينة (قم) في إيران سنة ١٩١٣م، من أبوين قرويين فقيرين.

بدأ التعلم في كتاب القرية، ولشدة فقره كان يعجز عن شراء الأقلام التي يستخدمها في الكتابة، فكان يصنعها بنفسه فسمي: (قلمداران) أي: صاحب القلم، كان شغوفاً بالقراءة والمطالعة والكتابة منذ صغره حتى كان يقرض الشعر في شبابه، وقد كتب مقالات في عدد من الصحف والمجلات الإيرانية التي كانت تصدر آنذاك، وكانت مقالاته تدور حول المطالبة بإصلاح أوضاع المسلمين وإيقاظ الهمم، والرد على المخالفين للأفكار الإسلامية، وغير ذلك من الموضوعات الإصلاحية.

أبرز من تأثر بهم:

تأثر حيدر قلمداران بعدد من دعاة الإصلاح الذين كان لهم دور كبير في مسيرته الإصلاحية، فقد تأثر بالسيد مهدي بازرگان (١)، والدكتور علي شريعتي، لكن أكثر من أثر في أفكاره آية الله الشيخ محمد بن محمد مهدي الخالصي الذي كان منفيًا من

(*) انظر ترجمته في: مقدمة طريق الاتحاد. بقلم المترجم: سعد رستم. مقدمة الإمامة والخلافة. بقلم المحقق. عبد الله سلمان.

(١) سياسي إيراني، ولد عام ١٩٠٥م، حصل على شهادة الدكتوراة من فرنسا، انضم إلى الجبهة الوطنية وكان مقرباً إلى الدكتور مصدق، في عام ١٩٦١ أسس حركة التحرير الوطنية فاعتقل على يد الشاة، بعد الثورة عينه الخميني أول رئيس للحكومة المؤقتة ١٩٧٩م.

العراق إلى إيران فى ذلك الوقت من قبل السلطات الإنجليزية المحتملة لرفضه التوقيع للإنجليز على تعهد بعدم تعرضه للسياسة.

ونتيجة لهذا التأثير الكبير قام بترجمة بعض كتب الشيخ الخالصى إلى اللغة الفارسية.

جهوده:

بعد أن التقى قلمداران بالشيخ الخالصى وتأثر بأفكاره، يقول مترجم كتاب (طريق الاتحاد) ناقلاً حواراً دار بينه وبين المؤلف: «أنه وجد الشيخ الخالصى رغم وافر علمه وجرأته فى الحق وإصلاحاته العظيمة قد توقف عند حدود الأصول المسلمة لمذهب الإمامية، أما هو فلم يجد مبرراً لهذا التهيب، بل تجاوز شيخه ومقتداه الخالصى بخطوات للإمام، ووصل لنتائج كالقول بعدم وجوب أداء خمس المكاسب والأرباح، وبأن الأئمة الاثنى عشر ليسوا منصوبين أو منصوباً عليهم من قبل الله تعالى ورسوله ﷺ، بل هم علماء ربانيون وفقهاء مجتهدون وأفضل أهل عصرهم وأولاهم بالاتباع والتقليد، وبالنظر لكفاءاتهم الذاتية وعلو مقامهم وقربهم من جدهم رسول الله ﷺ علماً ونسباً فحسب، وكذلك قال بأنه لا وجود لإمام غائب مستتر، ولا رجعة ولا عصمة مطلقة لأحد إلا عصمة رسول الله ﷺ فى تبليغ رسالات ربه» (١).

وكان مما اجتهد الشيخ فى تصحيحه مسألة القبور والأضرحة وتعظيمها وزخرفتها وإقامة القباب عليها، وتوج ذلك بتأليف كتابه المشهور (طريق النجاة من شر الغلاة).

(١) طريق الاتحاد ٤.

ونتيجة لجهوده الإصلاحية ومحاربه للخرافات والبدع المنتشرة في المذهب تعرض لكثير من المضايقات، حتى حَكِيَ أنه بعد تأليف كتابه (طريق الاتحاد) سنة ١٩٧٦ أو ١٩٧٧م وانتشاره بين الناس استدعاه أحد علماء قم البارزين في عصره ويدعى آية الله مرتضى الحائري (١) فلامه على تأليف هذا الكتاب ونصحه بأن يجمعه من السوق ويحرقه أو يدفنه في التراب وإلا فسيلقى ما لا تحمد عقباه، فما كان من جواب قلمداران إلا أن قال: لماذا أجمعه وأحرقه؟! أثبت لي أين الخطأ فيما قلته وأنا مستعد للتراجع عنه، ولما لم يجد النقاش نافعا قال: فاجمعوه أنتم وافعلوا به ما شئتم!

وبعد مدة من الزمن تعرض الأستاذ قلمداران فعلا لمحاولة اغتيال فاشلة حيث داهم أحدهم ليلا بيته الصيفي في قرية (ديزيجان) في صيف عام ١٩٧٩م وأطلق عليه الرصاص عن قرب وهو نائم، لكن الرصاصة عبرت جلده رقبتة واستقرت في أرض الغرفة ونجاه الله بإذنه رغم قرب المجرم من هدفه (٢).

وفاته:

بعد حادثة الاغتيال التي تعرض لها قلمداران واصل جهوده الإصلاحية للاثنا عشرية حتى توفي عام ١٩٨٩م عن عمر يناهز السادسة والسبعين.

مؤلفاته:

تنوعت مؤلفات حيدر قلمداران في مسائل شتى مما يتعلق بأصول المذهب الشيعي، وكانت كلها باللغة الفارسية، ومن أبرزها:

(١) مرتضى ابن الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، ولد سنة ١٣٣٤هـ، توفي سنة ١٤٠٦هـ، ورحل إلى قم حتى صار أحد الأساتذة المعروفين، ولم ينقطع عن التدريس إلا لمرضه، من مصنفاته: رسالة في الخمس، ابتغاء الفضيلة. انظر: <http://www.alhadi.ws/public/content/view/1342/471>

(٢) طريق الاتحاد ٤.

- ١- ترجمة كتاب (الإسلام سبيل السعادة والسلام) للعلامة الخالصي إلى الفارسية.
- ٢- ترجمة كتاب (إحياء الشريعة) للعلامة الخالصي إلى الفارسية.
- ٣- ترجمة كتاب (المعارف المحمدية) للعلامة الخالصي إلى الفارسية.
- ٤- الهدية الإلهية، ترجمة لكتاب (الجمعة) للعلامة الخالصي أثبت فيه الوجوب العيني لصلاة الجمعة في كل الأعصار خلافا لفتوى القائلين بوجوبها التخيري في عصر الغيبة.
- ٥- هل هم مسلمون؟ وهو ترجمة وصية الخالصي.
- ٦- هدية السماء، وهو مجموع مقالاته التي كانت تنشر في جريدة (وظيفة) في طهران.
- ٧- رسالة الحج أو مؤتمر الإسلام العظيم.
- ٨- الحكومة الإسلامية، في مجلدين. وقد أوقعه هذا الكتاب تحت ملاحقة مخابرات الشاة الإيراني قبل قيام الثورة الإسلامية في إيران.
- ٩- بحث حول أهم واجب بعد الصلاة. أي الزكاة أثبت فيه وجوب الزكاة في كل أنواع الأموال والممتلكات خلافا للمشهور من مذهب الاثنا عشرية الذي يحصرها في الأجناس التسعة.
- ١٠- الخمس، بحث فقهي ضخم أثبت فيه عدم وجوب أداء خمس أرباح المكاسب خلافا لمذهب الإمامية الاثنا عشرية.
- ١١- رسالة الملكية في إيران في نظر الإسلام.
- ١٢- نهضة الحسيني المقدسة.

١٣- سبيل النجاة من شر الغلاة. وهو خمسة أجزاء حول: علم الإمام بالغيب، حقيقة الولاية، بحث حول الشفاعة، بحث حول الغلو والغلاة، بحث حول حقيقة زيارة القبور وتشييد الأضرحة.

١٤- سنة الرسول من عترة الرسول.

١٥- طريق الاتحاد، أو تمحيص روايات النص على الأئمة، وهو أهم كتبه على الإطلاق، وفيه قام بنقد الأحاديث التي يستدل بها الشيعة على النص على الأئمة، وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية (١).

معالم منهجه:

يمكن رصد أهم ما يميز منهج حيدر قلمداران من خلال كتبه المترجمة وما نُشر عنه على النحو التالي:

١- الدعوة إلى الوحدة الإسلامية:

يرى قلمداران أن أهم مطلب يجب السعي إلى تحقيقه بين المسلمين هو الاتحاد والاتئلاف، واتفق كلمة المسلمين على أمر سواء، وعدم تحقيق ذلك أكبر خسارة يمكن أن تصيب المسلمين.

يقول: «برغم أن هيئة ونظام الخليفة بحد ذاته دليل واضح على أن خالقها واحد، وهذه حقيقة واضحة وبرهان متقن، لكن إذا لم تكن ثمرة هذه الحقيقة ونتيجتها توحيد الكلمة والاتفاق فإن ذلك يعتبر فقداناً كبيراً وخسارة عظيمة تماثل أن نكون عمياناً ونحن بجوار بحر النور، أو عطاشى ونحن بجوار شريعة الكوثر الزلال، لقد حذرنا الحق تعالى من الاختلاف والتشتت، ودعا الناس للاعتصام بحبل الله الذي

(١) انظر: طريق الاتحاد، ترجمة المؤلف ٤.

هو القرآن المجد ودين الإسلام المبين»^(١).

ولذلك فإنه جعل عنوان كتابه (طرىق الاتحاد) وعنوانه الفرعى (تمحص روايات النص على الأئمة) فكأنه يرى أن مناقشة هذه الدعوى -النص على الأئمة- وإبطالها وبيان أنها لا سند لها من الصحة هو الذى يجلب الاتحاد بين المسلمين.

٢- الدعوة إلى النهوض بالأئمة:

اهتم قلمداران كثيرا بنهوض الأئمة الإسلامية، وقد كتب فى ذلك كثيرا فى الصحف الإيرانية، ثم إنه جمع تلك المقالات بعد ذلك فى كتابه (أرمغان أسمان) أى: (هدية السماء)، وكان من أهم ما تكلم عنه فى هذا الكتاب أسباب انحطاط المسلمين، وعوامل النهضة، ويرى أن أبرز عوامل الانحطاط هى:

١- الجهل وترك العلم.

٢- إهمال الخلافة وترك الشورى.

٣- تقاعس المسلمين عن الجهاد.

٤- تعطيل القوانين والحدود الإلهية، ومن أبرز ذلك تعطيل صلاة الجمعة والعيدين عند الشيعة^(٢).

٣- تعظيم أمر التوحيد ومحاربة الخرافات:

حيث يرى قلمداران أن حقيقة الدين قائمة على الدين الخالص الذى لا تشوبه شائبة، وأن كل ما ينقض هذا التوحيد إنما يخالف الشرع مخالفة واضحة جلية، فىرى أن:

(١) طرىق الاتحاد ٧.

(٢) نظرية السنة فى الفكر الإمامى الشىعى، حيدر حب الله ٦٥٤ - ٦٥٥.

«المغلاة والإغراق في تقديس وتعظيم الأئمة من آل الرسول أو أي أشخاص آخرين في أي مذهب يتنافى مع حقيقة الدين القائمة على التوحيد الخالص، وكثير من الأعمال التي يقوم بها الناس باسم احترام وتعظيم أولئك الأشخاص أعمال تتنافى مع أحكام الشرع؛ وذلك كالمبالغة في تعظيم قبورهم والطواف حولها ودعاء أصحابها والتوسل والاستغاثة والاستنجاد بهم ونذر الندورات والموقوفات لهم»^(١).

ويظهر من خلال مراجعة أسماء الكتب التي كتبها قلمداران أن هذه المسألة كانت تشغل حيزا كبيرا في منهجه، فقد تحدث عن: (بحث حول الولاية وحقيقتها)، (بحث حول الشفاعة)، (بحث حول الغلو والغلاة)، (بحث حول حقيقة زيارة القبور وتشييد الأضرحة).



المبحث الرابع

آية الله العظمى أبو الفضل البرقي (ت ١٩٩٣م)

ذكر أبو الفضل البرقي ترجمة له ملحقة بكتابه (كسر الصنم) أرخ فيها لنشأته وتاريخ حياته، وجهوده في الإصلاح.

نسبه:

أبو الفضل بن الحسن بن حجة الإسلام السيد أحمد بن السيد رضي الدين، ينتهي نسبه إلى موسى المبرقع بن محمد الجواد (١).

ولد في قم، ولم يذُكر تاريخ مولده، ورجح البعض أنه ولد سنة ١٣٢٩ أو ١٣٣٠هـ؛ لأنه ذكر في ترجمته أنه بدأ في طلب العلم وعمره أحد عشر أو اثنا عشر عاما وذلك عام ١٣٤١هـ (٢).

طلبه للعلم:

طلب العلم منذ صغره على يد عدد من المشايخ والمجتهدين، وقد ذكر منهم: آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري (٣)، وآية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني، وغيرهم كثير.

(١) ملحق كسر الصنم ترجمة المؤلف لنفسه ٣٧٤.

(٢) أعلام التصحيح والاعتدال مناهجهم وآراؤهم. خالد بن محمد البديوي ٦٤. الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٣) الشيخ عبد الكريم بن محمد جعفر الحائري اليزدي، ولد عام ١٢٧٦هـ بقرية يزد في إيران، توفي عام ١٣٥٥هـ، سافر كربلاء واستقر في قم، وضع الهيكل الأساسي للدراسة الحوزوية في قم، من مؤلفاته: درر الفوائد. أعيان الشيعة ٤٢/٨.

ونظرا لصغر سنه في ذلك الوقت فقد عانى كثيرا في طلب العلم، حتى إنه لم يخصص له مكانا للإقامة في المدرسة الرضوية التي ذهب إليها في قم، وبعد عامين من الدراسة والاجتهاد تم منحه ثمانية ريات شهرية^(١).

ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه عدد من العلماء الذين درس على أيديهم وحصل على إجازات منهم بالرواية والاجتهاد، فقد أجازته آية الله الكاشاني^(٢) قائلا: «صرف أكثر عمره الشريف في تحصيل المسائل الأصولية والفقهية حتى صار ذا قوة قدسية في رد الفروع الفقهية إلى أصولها، فله العمل بما استنبطه واجتهده، ويحرم عليه التقليد»^(٣).

وجاء في إجازة السيد أبو الحسن الأصفهاني له: «بلغ مرتبة عالية من الفضل والاجتهاد مقرونة بالصلاح والسداد، وله التصدي في الأمور الحسية وفيما لا يجوز لغير الفقهاء والمجتهدين التصدي له، وأجزته أن يأخذ من سهم الإمام عليه السلام»^(٤).
وبهذا فإنه يحق له أن يأخذ من سهم الإمام الغائب الذي يصرف للمجتهد في حال غيبة الإمام^(٥).

(١) ملحق كسر الصنم ٣٧٧.

(٢) آية الله العظمى السيد علي اليربجي الكاشاني، ولد عام ١٣١١ هـ، توفي عام ١٣٧٩ هـ، درس في النجف الأشرف، وتصدىق للتدريس في قم ثم عاد إلى كاشان وبقي بها، لم يترك مؤلفات لأنه كان يرى أن المتأخرين لن يأتوا بجديد.

<http://holynajaf.org/arb/html/hawzailem/2/rezvan/mtn.php?file=yasrebi.htm>

(٣) ملحق كسر الصنم ٣٧٤.

(٤) السابق ٣٧٥.

(٥) ذكر مترجم كتاب (كسر الصنم) أن أبو الفضل البرقي بعد أن نبذ التشيع بهذه الكيفية أفتى بحرمة الخمس، ودعا كل من أدى إليه شيئا من الخمس أن يأتي ليرده إليه. مقدمة كسر الصنم. هامش ٣٧٥.

جهوده في الإصلاح والدعوة:

اجتهد أبو الفضل البرقي في محاولة الإصلاح وإزالة المنكرات وتبنيه الناس إلى المخالفات الشرعية، والتصدي لولاية الأمر عند مخالفة الشرع، وأول ما ذكره من ذلك مواجهته للشاه (رضا بهلوي) في محاولة خلع حجاب النساء التي كان عنوانها (مشف الحجاب)، فتصدى البرقي مع من تصدى له من العلماء - وهم قليل - وكتب إعلانا دعا الناس إليه، وخطب في الناس بجرأة متحديا قرارات منع الخطابة التي صدرت (١).

ثم قاد بعد ذلك حملة لمنع المراسيم التي كانت ستعقد لاستقبال جنازة الشاه مع مجموعة من الطلبة - وكان وقتذاك مدرسا في الحوزة العلمية في قم - حتى اضطرت الدولة إلى إلغاء تلك المراسيم، وقد ألقى القبض عليه ودام سجنه ثلاثة أشهر.

اجتهد في تعليم الناس وتوعيتهم، ونشر العقيدة الصحيحة من خلال الدروس والمواعظ والخطب، فقد كان إماما لمسجد في طهران، وكان يستغل أي فرصة لتعليم الناس حتى في أسفاره، كما يقول:

«كنت أستغل رحلاتي وتنقلاتي لنشر الحقائق الإسلامية، وأذكر رحلتي إلى شيراز إذ مررنا في طريقنا إليها ب(آباده) وأدركنا وقت صلاة المغرب وكان الجو باردا فدخل المسافرون المطعم ليأكلوا شيئا، ولكنني ذهبت إلى المسجد لأصلي، وبعد الصلاة رأيت الناس جالسين ينتظرون الواعظ لكنه لم يأت وكان الناس ينتظرونه ليأتي من (إقليد) فاعتنمت الفرصة وصعدت المنبر وبينت بعض الحقائق التوحيدية» (٢).

(١) ملحق كسر الصنم ٣٧٥.

(٢) السابق ٣٩١.

واستغل وسيلة أخرى لإظهار الحقائق بين الناس، وهى تأليف الكتب بهدف الإصلاح، يقول: «قمت بتأليف كتب لإصلاح عقول الناس وآرائهم،... ولقد كنت أقصد من تأليف هذه الكتب أن أعرف الناس بكتاب الله والعقائد الإسلامية، وأن نتشل شعبنا من كيد أهل البدع وضلالاتهم»^(١).

ونتيجة لجهوده الإصلاحية تعرض لمضايقات كثيرة، وناصبه التيار الشيعى التقليدى العدا، وأضمر له العداوة أكثر من طائفة كانت تخشى على مصالحها من جهوده، وهم رجال السياسة ومعاونوهم من جهة، ومحترفو التدين وتجاره من جهة أخرى، وقد حدد الفئات التى أضمرت له العدا بثلاث فئات: الأولى: فئة موظفي الدولة وعملائها.

الثانية: خدم حرم السيدة المعصومة الذين كانوا عبيدا لمتولى باشا نائب قم فى المجلس، وقد كان يراه غير صالح لهذا المنصب.

الثالثة: هى فئة المشايخ^(٢). بل إنه تعرض للتهديد بالقتل حينما نشر كتاب (حقيقة العرفان) الذى يتحدث فيه عن التصوف وحقيقته، فقد عزم الصوفية ومرشدوهم على قتله وهددوه بذلك هاتفياً^(٣).

مؤلفاته:

كتب أبو الفضل البرقى مؤلفات كثيرة فى مواضيع شتى باللغة الفارسية، وذكر أن بعضها طبع، وبعضها منعت طباعته، وأورد قائمة بأسماء مؤلفاته فى نهاية كتابه (كسر الصنم) كالاتى:

(١) ملحق كسر الصنم السابق ٣٩١.

(٢) السابق ٣٨٨.

(٣) السابق ٣٩١.

- ١ - مرآة الآيات، أو المرشد لموضوعات القرآن.
- ٢ - كنز الذهب أو ألف وخمسمائة حديث للرسول ﷺ.
- ٣ - كلمات قصيرة لسيدنا سيد الشهداء عليه السلام.
- ٤ - كنز الحقائق كلمات الإمام الصادق عليه السلام.
- ٥ - كنز الكلام كلمات الإمام الحسين عليه السلام.
- ٦ - كنز الجوهر كلمات الإمام الباقر عليه السلام.
- ٧ - رسالة الحقوق في بيان حق الخالق والمخلوق.
- ٨ - الأربعين من أحاديث خاتم النبيين ﷺ.
- ٩ - النظام الجمهوري الإسلامي.
- ١٠ - جامع المنقول في سنن الرسول ﷺ عدة مجلدات.
- ١١ - تراجم الرجال. عشرة مجلدات.
- ١٢ - تراجم النساء. مجلدين.
- ١٣ - دعبل الخزاعي وقصيدته التائية.
- ١٤ - الإسلام دين السعي والعمل.
- ١٥ - ترجمة المختار الثقافي.
- ١٦ - سيد جمال الدين الحسيني والشيخ فضل الله النوري.
- ١٧ - تفسير (تابشي از قرآن = قيس من القرآن) وهو ترجمة للقرآن وتوضيح لآياته ومقدمة تحوي ٢٧ موضوعا.
- ١٨ - الجبر والتفويض.

- كما ألف الكتب التالية لإبطال الخرافات والعقائد الباطلة التي نسبت إلى الإسلام:
- ١٩- التفتيش في بطلان مسلك الصوفي والدرويش.
 - ٢٠- حقيقة العرفان.
 - ٢١- فهرس عقائد العرفاء والصوفية.
 - ٢٢- فهرس عقائد الشيخية ومخالفتها للإسلام.
 - ٢٣- العقل والدين في التوحيد والعدل.
 - ٢٤- العقل والدين في النبوة والمعاد.
 - ٢٥- العشق والمعاشقة في نظر العقل والدين.
 - ٢٦- الشعر والموسيقا - المصالح والمفاسد.
 - ٢٧- دراسة دعاء الندب.
 - ٢٨- دعاء الندب ومخالفة عباراته للقرآن.
 - ٢٩- دروس من الولاية.
 - ٣٠- جواب الإشكالات على درس من الولاية.
 - ٣١- الخرافات الكثيرة في زيارة القبور.
 - ٣٢- تحريم المتعة في الإسلام.
 - ٣٣- حديث الثقلين.
 - ٣٤- كسر الصنم، أو عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول. درس فيه روايات الكافي.
 - ٣٥- دراسة علمية لأحاديث المهدي، درس فيه الأحاديث المتعلقة بالمهدي.
 - ٣٦- مخالفة مفاتيح الجنان لآيات القرآن.

كما ألف الكتب التالية نظما:

- ٣٧- المثنوى المنطقى، مجلدان.
- ٣٨- حديقة القدس = غلشن قدس.
- ٣٩- منظومة فى الأسماء الحسنى.
- ٤٠- مجموعة من الأشعار.
- ٤١- ديوان (حافظ سكن = كسر حافظ) رد فيه على أشعار حافظ الشيرازى نظما.

كما ترجم الكتب التالية من العربية إلى الفارسية:

- ٤٢- الصحيفة العلوية (١).
- ٤٣- أحكام القرآن للشافعى رَحِمَهُ اللهُ.
- ٤٤- التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ.
- ٤٥- نهج البلاغة.
- ٤٦- تعدد زوجات الرسول ﷺ والمصالح المتعلقة بها للصابونى.
- ٤٧- المذاهب الخمسة.
- ٤٨- المنتقى مختصر منهاج السنة لابن تيمية.
- وتزيد مؤلفاته عن ٨٥ واكتفى بسرد هذه فقط (٢).

(١) الصحيفة العلوية: مجموعة من الأدعية والخطب والاستغفار منسوبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، جمعها بعض العلماء، وقد طبعت هذه الصحيفة كثيرا. دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م.

(٢) انظر: ملحق كسر الصنم ٤٠٠-٤٠٢.

وفاته:

تعرض البرقي للأذى من اجل الإصلاحات التي نادى بها، وهُوجم كثيرا من الفئات التي كانت تخشى من منهجه وطريقته حتى تعرض للاغتيال فأطلقت عليه النيران في داره أثناء صلاته فأصابته خده الأيسر لتخرج من خده الأيمن فسببت له بعض الأذى في سمعه خاصة أن عمره قد شارف حينئذ على الثمانين، وفي المستشفى صدر الأمر للأطباء بعدم علاجه، فنصحته أحد الأطباء بمغادرة المستشفى والتداوي في منزله، ثم اقتيد إلى سجن (أوين) أقسى السجون السياسية في إيران ف قضى فيه قرابة سنة، ثم نُفي بعد ذلك إلى مدينة (يزد) فظل بها خمسة أيام فقط، ثم أعيد إلى السجن مرة أخرى، ثم أعيد نفيه حتى توفي بعد ذلك بأيام قليلة عام ١٩٩٣ م (١).

معالم منهجه:

يبدو من خلال مطالعة مسيرة حياة أبو الفضل البرقي الإصلاحية، والموضوعات التي أثارها في كتاباته ومؤلفاته وتحدث عنها في رسائله وخطبه أن أهم ما يميز مسيرته الإصلاحية ما يلي:

١- تدبر القرآن الكريم:

كان تدبر القرآن الكريم سبب هداية البرقي، وبفضل تدبره والتأمل فيه تراجع عن كثير من الآراء التي كان يعتنقها، يقول:

«كنت أجد فراغا في الوقت ساعدني على المطالعة والبحث والتأليف والتدبر في كتاب الله فتبين لي أنني وجميع علماء مذهبنا غارقون في الخرافات وغافلون عن كتاب الله، وتخالف آراؤهم صريح القرآن وتعارضه، وبركة التدبر لكتاب الله

(١) مقدمة كسر الصنم للمترجم ٢٤.

صحوت قليلا قليلا»^(١).

ويرى أن القرآن الكريم هو المرجعية الرئيسية للمسلم، وهو الحكم لفصل الخلاف، وقد أمر الله تعالى بالرجوع إليه درءا للفساد والاختلاف^(٢). وأي نهضة للمسلمين لن تتحقق إلا بالاعتماد على القرآن الكريم مصدرا أولا، ومرجعا يحسم أسباب الخلاف، وقد كان القرآن سبب نهضة المسلمين الأولى، وكان ابتعادهم عنه سبب غفوتهم الأخيرة.

«كان المسلمون متحدين فى عهد رسول الله ﷺ وحتى بعد وفاته بمدة، لم يكن لهم اسم إلا الإسلام، ولم يكن فيهم من هدى إلا هدى القرآن، ولم تكن العصية المذهبية ولا كتبها وجدت آنذاك، وكان القرآن هو حججهم الوحيدة، وكان كتاب هداية للمتقين، وبسبب اجتماعهم على الدين الواحد والكتاب الواحد تقدموا إلى الإمام وقوي أمرهم، ونشروا الإسلام بين العباد والبلاد، وعرفوا الناس به، ولكن بعد مضي قرن أو قرنين من الزمان ظهرت أخبار باسم الدين، ووجد أشخاص باسم المحدثين أو المفسرين الذين جاءوا بأحاديث مسندة عن النبي ﷺ أو أقوال لأكابر المسلمين محاولين بذلك توجيه الأنظار إليهم»^(٣).

وسبب الخلاف بين الشيعة وغيرها من الفرق الإسلامية الأخرى إنما هو عدم رجوعهم إلى القرآن الكريم لحسم اختلافاتهم، وقد كان هذا سلوك علماء الشيعة الذي عابه عليهم أبو الفضل البرقي، ومع الأسف فإن علماء بلادنا الذين أحدثوا الخلاف يابون الرجوع إلى القرآن فى خلافاتهم مع المذاهب الإسلامية الأخرى، بل

(١) ملحق كسر الصنم ٣٩٠.

(٢) مقدمة كسر الصنم ٣١.

(٣) السابق ٣٠.

يرجعون إلى روايات مذهبية فيوسعون بذلك بؤرة الخلاف» (١).

٢- مرجعية العقل:

يعتبر البرقعي أن العقل السليم، الذي يسير في ضوء النقل الصحيح لا بد أن يكون حجة، وأن النصوص لم تأت بما يناقض العقل، وكون العقل حجة مما لا خلاف فيه. يقول: «إن في الإسلام حجتين لا ثالث لهما؛ وذلك طبقاً لآيات القرآن وسنة الرسول ﷺ والأحاديث المعتمدة، وهما:

١- الكتاب الإلهي، يعني القرآن في دين الإسلام.

٢- والعقل، حيث قال تعالى في سورة النساء: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [آية: ١٦٥] يشير في هذه الآية إلى أنه لا أحد حجة بعد الرسل سواء العالم أو الجاهل، الإمام أو المأموم» (٢).

ومناطق التكليف بين الناس وجود العقل، فمن لم يعقل أمر الله تعالى ولم يفقهه لم تقم عليه الحجة، لكونه لم يفهمها.

يقول: «العقل حجة، وذلك طبقاً لآيات القرآن والأخبار المعتمدة، ومن لا عقل له لا يكون مكلفاً لتكلم معه» (٣).

٣- مواجهة الخرافة:

يرى البرقعي أن أكثر ما يسيء إلى الإسلام والتشيع هو تلك الخرافات المنتشرة التي لا يمكن للعقل أن يقبلها، وأن هذه الخرافات التي دخلت على التشيع لا بد من مواجهتها.

(١) مقدمة كسر الصنم ٣١.

(٢) السابق ٤٠.

(٣) السابق ٤٣.

يقول: «لقد دخلت إلى الإسلام خرافات باسم الإمام، ونحن نعلم أن الخرافات فى الدين لا يقبلها العقلاء والعلماء، بل هى سبب نفرتهم، وقد دخلت هذه الخرافات على الغالب عن طريق وضع الحديث، وعن طريق الثقة بالمتقدمين، ولذلك يجب تطهير ساحة الإسلام من أمثال هذه الشوائب»^(١).

ولذلك فقد أخذ على عاتقه مهمة تصحيح هذه الخرافات، وتبنى مواجهتها، وناضل من أجل إزالتها وقام بتأليف كتب لإصلاح عقول الناس وآرائهم، وتعريفهم بكتاب الله والعقائد الإسلامية القرآنية.

وهذا الطريق - أعني طريق تحرير عقول الناس من الخرافة - واتباع العقل هو السبيل الوحيد لاستعادة مجد هذه الأمة، والخطوة الأولى على طريق البناء، والمسلك الوحيد للعودة إلى الدين الصافى الذى أتى به خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

يقول: «وأظن أن الناس إذا لم يعودوا إلى اتباع الإسلام الصحيح ومنطق العقل، ولم ينفضوا أيديهم من رجس الطائفية والخرافات فإنهم لن يعرفوا للفلاح طريقا، إن شعوبنا غارقة فى مستنقع الخرافة والتقليد الأعمى، ومع ذلك فنحن لا نتورع عن تعليق جميع سلبياتنا وتقصيرنا على مشجب القوى الأجنبية»^(٢).

ولذلك فإنه يرى أن هذا العمل - مواجهة الخرافة وتحرير العقول - أهم الأعمال التى ينبغى التصدي لها فى الوقت الحاضر مع كونها أصعب الأعمال، وينبغى على العلماء أن يتحملوا فى سبيلها، ويبدلوا من جهودهم لإصلاحها، حتى ليعدها البرقى أكبر وأعظم من الجهاد بالسيف^(٣).

(١) مقدمة كسر الصنم ٣٩.

(٢) السابق ٣٩٧.

(٣) السابق ٣٧.

٤ - الإصلاح السياسي:

كان البرقعي يرى أن من واجبات العالم الشرعي أن يرفع صوته بين الناس محذرا وموجها، وألا يسكت عما يراه من مظالم، وأن يكون جريئا في قول كلمة الحق لا يبالي ولا يخاف إلا الله تعالى، ولذلك فإنه كان يردد وصية آية الله الكاشاني التي أرسلها له من منفاه في لبنان، وجاء فيها:

«يا برقعي: إياك أن تجعل المسجد متجرا كبقية المشايخ، بل أيقظ الشعب ولا تلق بالا لما يرددونه من أن الشيخ الصالح هو الذي ينقطع عن أمور الناس ولا يبالي بشعبه»^(١).

وقد كان علماء الدين في ذلك الوقت بعيدون عن الاشتغال بالسياسة وأمور الحكم، ولا يعرف الناس عنها شيئا، لكن البرقعي تخطى ذلك، وطَبَّق وصية الكاشاني، وقاد الناس لتغيير نائب (قم) في مجلس الشورى (متولي باشا) وكان عاميا غير صالح، فأرادوا ترشيح وكيل صالحا للمجلس، ونجحوا في ذلك، وغير ذلك من الأمور التي سعى إليها^(٢).

هذه أبرز معالم منهج أبو الفضل البرقعي الذي حاول إصلاح المذهب الشيعي من داخله، وجاهد في سبيل التصحيح حتى قيل إنه ترك مذهب الشيعة وتسنى، لكن الدعوى تفتقر إلى دليل؛ لتصريحه بخلاف ذلك كما نقل حيدر حب الله:

«البرقعي يعني بشدة أن يكون سنيا مع تصريحه بأنه اتهم بذلك، بل يؤكد أن حملته على مصادر الحديث تشمل حتى صحيحي البخاري ومسلم، وأنه إنما نقد

(١) ملحق كسر الصنم ٣٨٥.

(٢) السابق ٣٨٢.

الكافى وأمثاله لأنه تحول إلى مرجع فى بلاده، وأنه لا معنى لنقد مثل البخارى فى بلد شيعى كإيران^(١).

وهكذا فإن أبو الفضل البرقى قد سلك أكثر من طريق للإصلاح، أولها طريق الإصلاح الدينى بنقد الخرافات والغلو والدعوة إلى العودة إلى القرآن الكريم ليكون طريق الاتحاد بين المسلمين، ومحاربة العقائد الشيعية التى تخالف القرآن. وسلك طريق الإصلاح السياسى بالجهر بكلمة الحق ومواجهة الظلم، وعدم المتاجرة بالدين لتحقيق مكاسب سياسية.



(١) نظرية السنة فى الفكر الشيعى الإمامى، حيدر حب الله ٦٤٦.

المبحث الخامس

موسى الموسوي (١٣٤٩: ١٤١٧هـ - ١٩٣٠ - ١٩٩٦م)

ترجمته:

موسى بن الحسن بن السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني. ولد في النجف الأشرف عام ١٩٣٠م في بيت علم، حيث نشأ في بيت جده السيد أبو الحسن الأصفهاني مرجع الشيعة الأكبر في زمانه.

طلب العلم في النجف في جامعتها الكبرى حتى حصل على الشهادة العليا في الفقه الإسلامي (درجة الاجتهاد) حيث نال درجة الاجتهاد على يد الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء زعيم الحوزة الدينية في النجف الأشرف^(١).

- حصل على شهادة الدكتوراة في التشريع الإسلامي من جامعة طهران عام ١٩٥٥م.

- حصل على شهادة الدكتوراة في الفلسفة من جامعة باريس «السوربون» عام ١٩٥٩م.

- أستاذ للاقتصاد الإسلامي في جامعة طهران ١٩٦٠ - ١٩٦٢م.

- أستاذ للفلسفة الإسلامية في جامعة بغداد ١٩٦٨ - ١٩٧٨م.

- أستاذ زائر في جامعة هالة بألمانيا الديمقراطية.

- أستاذ معارف في جامعة طرابلس بليبيا ١٩٧٣ - ١٩٧٤م.

- أستاذ باحث في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية ١٩٧٥ - ١٩٧٦م.

- أستاذ موفد إلى جامعة لوس أنجلوس ١٩٧٨م.

(١) أورد في نهاية كتابه «الشيعة والتصحيح» صورة إجازة الاجتهاد التي نالها من الشيخ محمد حسين آل

مؤلفاته:

ترك موسى الموسوي مؤلفات عديدة باللغة العربية، من أهمها:

- ١- من الكندي إلى ابن رشد.
- ٢- إيران في ربع قرن.
- ٣- قواعد فلسفية.
- ٤- الجديد في فلسفة صدر الدين.
- ٥- من السهروردي إلى صدر الدين.
- ٦- فلاسفة أوريون.
- ٧- الثورة البائسة.
- ٨- الجمهورية الثانية.
- ٩- الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيع.
- ١٠- المتآمرون على المسلمين الشيعة من معاوية إلى ولاة الفقه.
- ١١- يا شيعة العالم استيقظوا.
- ١٢- عقيدة الشيعة الإمامية في أصول الدين وفروعه في عهد الأئمة وبعدهم (الصرخة الكبرى)
- ١٣- فقه الإمام الصادق.

وفاته:

توفي عام ١٤١٧هـ^(*).

(*) انظر ترجمته على غلاف كتابه: الشيعة والتصحيح.

معالم منهجه:

يعتبر موسى الموسوي من أبرز الداعين إلى الإصلاح في مذهب الشيعة في العصر الحديث، حيث نادى بذلك في كل مؤلفاته، ودعا إلى هدم ما يسيء إلى التشيع الحقيقي، وحدد أسسا للإصلاح دعا إليها، ويمكن إجمال معالم منهجه فيما يلي:

١ - الدعوة إلى التشيع الأول:

ينادي موسى الموسوي بضرورة العودة إلى التشيع الأول المعروف زمن عليّ عليه السلام؛ وهو الاعتقاد بأن الإمام عليا أولى بالخلافة من الخلفاء الذين سبقوه ولكن الإمامة بالشورى، وأن انتخاب المسلمين للخلفاء الراشدين كان انتخابا شرعيا لا غبار عليه ^(١).

ويرى أن كل ما حدث في مذهب الشيعة من بدع وأمور دخيلة لا صلة له بالتشيع الحقيقي، وأن الأمر وصل إلى صورتين متضادتين للتشيع. الأولى: نقية وضاءة في أول الأمر، والثانية: خارجة عن معنى التشيع الأصلي.

يقول الموسوي: «كلما تعمقت في الشيعة والتشيع وعقائد الإمامية أجد أن هناك هوة عظيمة تفصل بين الشيعة والتشيع قد تصل في بعض الأحيان إلى التناقض الصارخ حيث أرى بوضوح أن التشيع شيء والشيعة شيء آخر، وكلما تعمقت في تاريخ الصراع بين الشيعة والتشيع تتجلى أمامي العصور الثلاثة التي انبثق فيها هذا الصراع مبتدئا بالعصر الأول وهو عصر ظهور الصراع الفكري بعد الغيبة الكبرى الذي مهد الطريق للعصر الثاني وهو ظهور الدولة الصفوية على يد مؤسسها الشاه إسماعيل الصفوي في عام ٩٠٧ هجري وتأسيس الدولة الشيعية في إيران ومن ثم

(١) الصرخة الكبرى ٤٣.

العصر الثالث والأخير وهو عصر الصراع الذي نشاهده في حياتنا المعاصرة بين الأفكار الشيعية الحديثة والتشيع، تلك الأفكار التي عصفت بالمجتمع الشيعي وأدت إلى نتائج حزينة خطيرة لا تحتملها الأرض ولا السماء»^(١).

ولذلك فإنه يرى أن أول طريق الإصلاح في المذهب إنما هو التخلي عن تلك العقائد الدخيلة التي أصابت المذهب والعودة إلى الصورة الأولى للتشيع في عصر الأئمة، وأن هذا هو الضمان الوحيد للإصلاح داخل المذهب.

يقول: «إن التصحيح والعودة بالعقيدة الشيعية إلى التشيع الذي كان يسود الشيعة في عصر الأئمة؛ أي الأخذ بالمذهب الفقهي للإمام الصادق والعودة إلى عصر الرسالة وما كان عليه السلف الصالح لهو خير ضمان كي لا تتكرر المأساة التي أصابت الشيعة مرة أخرى»^(٢).

٢- القيادة الروحية لآل البيت:

يرى الموسوي أن النبي ﷺ أوصى بآل البيت وأمر باتباعهم والاهتداء بهديهم وهذا يعني قيادتهم للأمة، لكنه يرى أن هذه القيادة روحية وليست سياسية تتصل بشأن الإمامة والخلافة.

يقول: «ترك رسول الله ﷺ في أمته قيادتين منفصلتين إحداهما تتجسد في الخلافة وهي بالشورى نزولا عند النص الدستوري (القرآن الكريم)، وثانيهما: الإمامة (القيادة الروحية) وجعلها في الإمام علي ومن بعده في أولاده أئمة أهل البيت، وقد سارت الأمة على هذا المنهج في ظل قيادتين منفصلتين»^(٣).

(١) الشيعة والتصحيح ٩.

(٢) يا شيعة العالم استيقظوا ٤٥.

(٣) المتآمرون على المسلمين الشيعة ٢١.

٣- التشيع مذهب فقهي:

يعتقد الموسوي أن أصول الإسلام واحدة عند الشيعة والسنة، لا اختلاف بينهما في ذلك، ويحصر أسباب الخلاف في المسائل الفقهية، ولا ريب أن هذا التصور يحصر أسباب الخلاف ويقرب وجهات النظر بين الفريقين، يقول:

«أما الفئة الداعية إلى التصحيح فيجب عليها أن تحصر الخلاف بين الشيعة والسنة في خلاف فقهي، فما دام كتابنا واحدا ونبينا واحدا وقبالتنا واحدة وتجمعنا أصول العقيدة وأركان الإسلام فالخلاف بيننا وبين الفرق الإسلامية الأخرى خلاف فقهي وحسب لا فرق بين سنة وشيعة إلا بأن يسلك الشيعة فقه الإمام الصادق وتسلك السنة فقه أئمتها، وما عدا هذا الكلام فالغرض منه الوقعة بين الشيعة وبين الأكثرية الساحقة من المسلمين»^(١).

وفي الجملة: يطالب الشيعة أن تتمسك بهذا المنهج وتدعو إليه، وترجع في أحكامها إلى فقه الإمام الصادق، وهذا واجب المصلحين في مذهب الشيعة حسب رؤيته التي يعرضها:

«دور الطبقة المثقفة أن تفهم الشيعة أن عليها أن تأخذ بفقه الإمام الصادق وألا تأخذ لنفسها إماما وفقهيا غيره، وبذلك تأخذ الأحكام من منهلها الأساسي الصحيح»^(٢).

٤- الدعوة إلى الوحدة الإسلامية:

ينظر الموسوي إلى واقع الأمة الإسلامية وما يظهر من خلاف بين الفرق المتعددة فيدرك أن إزالة أسباب الخلاف أهم واجب ينبغي أن تنصرف إليه الجهود، وأن كل مسلم غيور على دينه ينبغي أن يعمل على راب هذا الصدع.

(١) يا شيعة العالم استيقظوا ٥٨.

(٢) السابق ٥٣.

يقول: «كنت أعيش آلام الخلافات المريرة بين الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى وأشاهد عواقبها الوخيمة عن كثب وفي ظل خطوات جريئة وعزومة كان جدنا الإمام الأكبر يخطوها لتخطي الصعوبات في إرساء العلاقات الصحيحة بين الشيعة والسنة للوصول إلى الوحدة الكبرى بين الطائفتين والتي كانت تصطدم بالسياسات الاستعمارية الحاكمة في العالم الإسلامي تساندها عقول متحجرة وأناس متعصبون ومتاجرون بالطائفية البغيضة بدأت أدرك خطورة المهمة وقداستها في نفس الوقت»^(١).

ويسعى جاهدا في سبيل إزالة أسباب الخلاف بين الطائفتين، فيحدد أولا أسباب الخلاف ويدعو إلى تجنبه.

يقول: «وقد وصلت إلى نتيجة حاسمة في تبني للخلاف بين الشيعة الإمامية والفرق الإسلامية الأخرى هي أن الخلاف بينهما ليس بسبب الخلافة بعد رسول الله ﷺ، أو أن الإمام عليا أولى بالخلافة من غيره؛ لأنني أرى الشيعة الزيدية وهي تؤلف طائفة كبيرة تربو على الملايين تعتقد بأحقية علي بالخلافة بعد الرسول الكريم ولكن الوثام والأخوة والمحبة يسود بينها وبين أهل السنة والجماعة، فإذا السبب الأساسي في الخلاف بين الشيعة الإمامية والفرق الإسلامية الأخرى ليس هو موضوع الخلافة، بل هو موقف الشيعة من الخلفاء الراشدين وتجريحهم إياهم الأمر الذي لا نجده عند الشيعة الزيدية وبعض الفرق الأخرى، ولو اكتفت الشيعة الإمامية بسلوك الزيدية لقلت الخلافات ولصاقت مساحة الشقاق»^(٢).

(١) الشيعة والتصحيح ٥.

(٢) الشيعة والتصحيح ٦.

• طريق الإصلاح عند الموسوي:

أهم ما يميز منهج موسى الموسوي أنه لم يقم على النقد وكفى، بمعنى أن طريقته لم تكن مجرد بيان ما في المذهب من بدع وخرافات وزيادات ليست من منهج الأئمة في شيء، وإنما وضع طريقاً للإصلاح وأسساً للبناء وخطوات عملية حددها للشيعنة الاثنا عشرية حتى يتخلصوا من هذا الميراث الثقيل ويرجعوا إلى التشيع الأول الصافي، وقد عرض هذه الخطوات في كتابه (يا شيعنة العالم استيقظوا) على النحو التالي:

«أما خططي للتصحيح والتي أطلب من الشيعة الإمامية أن تساهم فيها فهي تتلخص في:

- ١- اختيار فريق من أهل العلم والفضيلة للقيام بغربلة كتب الروايات والأحاديث من الروايات التي نسبت إلى أئمتنا الهداة المهديين زورا وبهتاناً... إن تلك الروايات لعبت دوراً هداماً في التفرقة وضرب الشيعة بالسنة والعكس.
- ٢- لقد وضعنا كتاب (فقه الصادق) ليكون مرجعاً للشيعة في المسائل الفقهية التي يحتاج إليها الشيعة، وهذا الكتاب يجب ترجمته إلى اللغات الفارسية والأردية والهندية والتركية والانجليزية أي اللغات التي يتكلم بها الشيعة في العالم، وهذه الخطوة هي من أهم خطوات خلاص الشيعة من الاستعباد والاستبداد الفكري المتمثل في تبعيتهم المطلقة لآيات الله وحجج الإسلام وثقة الإسلام حسب التعابير والألقاب التي لقب هؤلاء الآيات والحجج بها أنفسهم.
- ٣- يجب تأمين مركز دائم لتهيئة الدعاة إلى التصحيح ليكونوا امتداداً للفكرة، فإن موسى الموسوي يموت ولكن الفكرة يجب أن تبقى حية لا تموت حتى تؤتي أكلها كل حين، وهذا المركز يجب أن يضم بين جدرانه علماء ومثقفين من الشيعة الذين آمنوا بفكرة التصحيح.

٤- كنت أعتقد ولا زلت متمسكا بعقيدتي أن أمر الشيعة فى إيران إذا صلح صلحت أمور الشيعة فى أماكن أخرى من العالم، وكنت أعتقد أن التصحيح إذا أخذ طريقه إلى قلوب الشيعة فى إيران فإن الشيعة فى أماكن أخرى من العالم تتأثر بالتصحيح، ولذلك همى وجهدي منصبان على إنقاذ الشيعة فى إيران من المحنة التى كتبوها وفرضوها على أنفسهم.

٥- التصحيح بحاجة إلى مجلة باللغات التى يتكلم بها الشيعة، العربية والفارسية والأردية والهندية والانجليزية.

٦- لجنة التصحيح التى تضم أعلاما من الشيعة المؤمنين بالتصحيح قد تدعو إلى عقد مؤتمر عالمى يضم علماء الشيعة الموالين لفكرة التصحيح.... إن عقد مؤتمر سنوى لهؤلاء الأعلام الشيعة أمر ضرورى لتدارس الخطوات التى يجب أن تتخذ للتصحيح»^(١).

والحقيقة أن موسى الموسوى قام بدور عظيم فى إصلاح مذهب الشيعة وتنقيته، وكان لجهوده أثر على طوائف من المثقفين وطلاب الحقيقة حتى قال عنه الدكتور/ إبراهيم بسيونى الذى ترجم بعض كتبه إلى العربية، قال:

«نظر إليه على أنه قام فى ثورته الإصلاحية بنفس الدور الذى قام به الفيلسوف الألمانى مارتن لوتر فى ثورته البروتستية الاحتجاجية ضد هيمنة الكنيسة فى العصور الوسطى الأوروبية والتى كانت عاملا منسبطا للإصلاح الدينى فى عصر النهضة»^(٢).

(١) يا شيعة العالم استيقظوا ٦١: ٦٥ بتصرف.

(٢) مقدمة كتاب «المتأمرون على المسلمين الشيعة من معاوية إلى ولاة الفقه».

المبحث السادس

أحمد الكاتب (١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.....)

يعد أحمد الكاتب من أبرز رموز الإصلاح المعاصرين في مذهب الشيعة، ويرجع ذلك إلى عدة أمور:

أولها: أنه تكلم في مسائل تنقض أصول المذهب الشيعي كمسألة وجود الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري.

ثانيها: كثرة الجدل الذي أثير حول كتاباته والردود التي أثارها جمع من الشيعة حول آرائه.

وسوف ألقى الضوء على ترجمته وحياته ومنهجه.

نشأته^(*):

أحمد الكاتب، كان يسمى: «عبد الرسول» ثم سمي نفسه أحمد الكاتب، وأبوه: «عبد الزهراء ابن عبد الأمير بن الحاج حبيب الأسدي».

ولد في صباح عيد الفطر سنة ١٣٧٢هـ المصادف ١٣ حزيران ١٩٥٣ في مدينة كربلاء في العراق.

نشا في أسرة متدينة، كان أبوه يعمل في تجارة المسابح والتراب الحسينية في كربلاء، وتولت أمه تعليمه الأبجدية وقراءة القرآن حيث كانت تعده ليكون جنديا في صفوف جيش المهدي وواحدا من أنصاره الثلاثمائة والثلاثة عشر الذين يشكلون شرطا لظهوره.

(*) مصدر هذه الترجمة: مذكرات أحمد الكاتب التي نشرها على موقعه على الشبكة العالمية بعنوان:

«سيرتي الفكرية والسياسية من نظرية الإمامة إلى الشورى». <http://alkatib.co.uk/seerati.htm>.

لما بلغ سن السابعة التحق بمدرسة تعنى بحفظ القرآن الكريم وعلومه التي أسسها السيد مهدي الشيرازي (١) عام ١٩٦٠م وكانت مدرسة دينية بحثة تدرس برامج في القرآن والتفسير والتاريخ الإسلامي والأخلاق والفقه والحساب.

مراحل حياته:

يمكن تقسيم الحياة العملية لأحمد الكاتب إلى مرحلتين أساسيتين:
المرحلة الأولى: الاقتناع بالمذهب الإمامي:

وتبدأ هذه المرحلة منذ بداية التحاق أحمد الكاتب بالمدارس الدينية ونشأته في أحضان الحركة المرجعية، وكان أبرز من أثر فيه في هذه المرحلة: السيد محمد كاظم القزويني (٢) الذي كان يحرص على حضور مجالسه كل أسبوع.

وفي هذه المرحلة انضم إلى منظمة العمل الإسلامي عام ١٩٦٩م وقام بتأليف عدد من الكتب منها:

«الحسين كفاح في سبيل العدل والحرية»، وكتب في عام ١٩٧١م كتابه الثاني «تجربتان في المقاومة» تحدث فيه عن ثورة التنبك في إيران وثورة العشرين في العراق، وبعده بعام كتب كتابه الثالث: «الإمام الصادق معلم الإنسان»، ثم كتابه الرابع «عشرة - واحد = صفر» وهو يدور حول موضوع الإمامة لأهل البيت حيث اعتبرها جزءا

(١) ولد في كربلاء سنة ١٣٠٤هـ ونشأ بها، توفي سنة ١٣٨٠هـ، كان فقيها بارعا اضطلع بمسؤولية المرجعية الدينية، له مؤلفات في مباحث الأصول ورسائل بلغت حوالي ثمانية عشر كتابا. انظر: تراث كربلاء، سلمان السيد هادي آل طعمة ٣٠٠ وما بعدها، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٨٣م.

(٢) السيد محمد كاظم بن السيد إبراهيم بن السيد هاشم الموسوي القزويني، ولد بكربلاء ١٣٤٨هـ، توفي سنة ١٤١٥هـ، ودرس في حوزتها العلمية، كان خطيبا مفوها، له مؤلفاته كثيرة منها: فاجعة الطف، موسوعة الإمام الصادق، الإمام علي من المهد إلى اللحد.

مهما من الإسلام والذي إذا سقط منه موضوع الإمامة فلن يبقى منه شيء. وعندما قام النظام البعثي بحملة اعتقالات ضد رموز منظمة العمل الإسلامي خرج أحمد الكاتب متنقلاً بين عدة دول عربية حيث خرج إلى البحرين سنة ١٩٧٣ ثم الكويت فسوريا ولبنان.

ولما قامت الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م اعتبر أحمد الكاتب أنها انتصار لمبادئه التي يقوم عليها حتى إنه ذهب من الكويت إلى طهران بعد خمسة عشر يوماً من قيام الثورة في وفد لتهنئة الإمام الخميني بالنصر.

وفي إيران ساهم في افتتاح القسم العربي من الإذاعة الإيرانية حيث أخذ يهاجم النظام العراقي ويدعو الشعب العراقي للثورة، وفي هذه الفترة أصدر كتابه: «تجربة الثورة الإسلامية في العراق».

وفي سنة ١٩٨٢ استقال أحمد الكاتب من منظمة العمل الإسلامي واتجه نحو إكمال دراساته الحوزوية التي أهملها منذ خروجه من العراق.

في سنة ١٩٨٥م دعاه السيد المدرسي (١) إلى التدريس في حوزة الإمام القائم، ومنها قام بالدعوة إلى التشيع حيث سافر إلى السودان وبقي بها أربعين يوماً قام فيها بالاتصال بمجموعة من الطلبة الجامعيين ودعاهم إلى التشيع حيث كانوا نواة شيعية في الخرطوم.

(١) السيد محمد تقى المدرسي، ولد في كربلاء ١٩٤٥م، نال درجة الاجتهاد وهو صغير السن، ساند الثورة الإسلامية في إيران، وأنشأ عدداً من الحوزات العلمية، له مؤلفات عديدة منها: تفسير من هدى القرآن، موسوعة التشريع الإسلامي.

المرحلة الثانية: مرحلة مراجعة الأفكار الشيعية:

كان أحمد الكاتب ينظر إلى تجربة الثورة الإسلامية الإيرانية على أنها تجربة مثالية تصلح للتطبيق فى العراق لأنه كان مقتنعا بنظرية ولاية الفقيه.

أما الذى دفعه لدراسة هذه النظرية مرة أخرى فقد كان أزمة حدثت فى إيران سنة ١٩٨٨م بين مجلس الشورى ووزارة العمل وبين مجلس صيانة الدستور حول قانون العمل الذى قدمته الحكومة وأقره مجلس الشورى ثمان مرات وعارضه مجلس صيانة الدستور الذى وجد فيه مخالفة لبعض القوانين الإسلامية فأجاز الإمام الخميني العمل بالقانون قبل أن يأخذ صيغته النهائية وطرح نظرية ولاية الفقيه المطلقة وأنها شعبة من ولاية الله والرسول والأئمة المعصومين وأن له الحق بتجاوز القانون.

يقول أحمد الكاتب: «استوقفني هذا الخلاف الدستوري، وأحيا لدي رغبة قديمة فى دراسة التجربة الإيرانية، فقررت القيام بدراسة اجتهادية دقيقة لموضوع (ولاية الفقيه) من مصادرها الأصولية والفقهية القديمة. واشتغلت سنة كاملة على هذا الموضوع وقبل أن أكتب الموضوع بصورته النهائية، فكرت بعمل مقدمة تاريخية له تستعرض آراء ومواقف علماء الشيعة خلال ألف عام زمن (الغيبة الكبرى) من موضوع نظرية (ولاية الفقيه).

ولإكمال الصورة كان علي أن أبحث فترة (الغيبة الصغرى) التى امتدت حوالى سبعين عاما بعد وفاة الامام الحسن العسكري، ولم أكن قد سمعت بوجود عدة نظريات شيعية أو اختلاف داخلي حول وجود أو عدم وجود ذلك (الامام الثانى عشر) الذى كنت أعتبره حقيقة لا يعترىها الشك، وبديهة عشت عليها وأنتظر قدومها فى أية لحظة. وكانت صدمتي الكبرى عندما وجدت مشايخ الفرقة الاثنا عشرية

كالشيخ المفيد والسيد المرتضى والنعمانى والطوسى يصرحون ويلوحون بعدم وجود دليل علمى تاريخى لديهم على وجود وولادة (ابن) للإمام الحسن العسكرى وأنهم مضطرون لافتراض وجود ولد له لكي ينقذوا نظرية (الإمامة الإلهية) من الانهيار ورحت أقرأ ما يتعلق بموضوع الإمامة من مصادر كتب الشيعة القديمة التي لم أقرأها من قبل ولا توجد ضمن البرنامج الدراسى للحوزة وكانت مفاجآتى الثانية أو الثالثة عندما اكتشفت أن نظرية (الإمامة الإلهية) الطافية على سطح التاريخ والفكر السياسى الشيعى ما هي إلا من صنع (المتكلمين) ولا علاقة لها بأهل البيت؛ وذلك لأنها تتعارض مع أقوالهم وسيرتهم وأدركت عندها أن نظرية الإمامة المفتعلة والمنسوبة إلى أهل البيت كذبا و زورا، وصلت إلى طريق مسدود بوفاة الإمام الحسن العسكرى دون خلف من بعده، وأن بعض أعوانه الانتهازيين ادعوا وجود ولد له فى السر وخلافا لقانون الأحوال الشخصية الإسلامى، من أجل إنقاذ نظريتهم الباطلة من الأساس. وهكذا أسسوا الفرقة (الاثنا عشرية) فى غيبة من وجود أحد من أئمة أهل البيت.

عرض أحمد الكاتب نتائج بحثه وخلاصة آرائه على عدد من أعلام المذهب وأرسلها إلى ما يقرب من أربعمائة عالم ومفكر من علماء الشيعة ولم يتلق جوابا من أحد حتى قام بنشر كتابه سنة ١٩٩٧ فى لندن*).

مؤلفاته:

يمكن تقسيم مؤلفات أحمد الكاتب إلى قسمين تبعا لتطور مراحل حياته العلمية.

(*) انظر: مذكرات أحمد الكاتب التي نشرها على موقعه على الشبكة العالمية بعنوان: «سيرتي الفكرية

المرحلة الأولى: قام فيها بتأليف عدد من الكتب التي تنتصر للمذهب الشيعي من أهمها:

- ١- الإمام الحسين كفاح في سبيل العدل والحرية.
- ٢- الإمام الصادق معلم الإنسان.
- ٣- تجربتان في المقاومة.
- ٤- عشرة ناقص واحد يساوي صفر.
- ٥- آلية الوحدة والحرية في الإسلام.
- ٦- مشكلة النفاق في العمل الإسلامي.
- ٧- الإيمان يتجلى في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
- ٨- يوميات فاطمة الزهراء.

المرحلة الثانية: قام فيها بتأليف كتب يعرض فيها اجتهاده حول عدم صحة وجود الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، وكلها باللغة العربية.

- ١- تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه.
- ٢- السنة والشيعية وحدة الدين اختلاف السياسة والتاريخ.
- ٣- حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر.
- ٤- المرجعية في مواجهة التحديات المعاصرة الشيرازي نموذجاً.
- ٥- الفكر السياسي الوهابي قراءة تحليلية.
- ٦- تطور الفكر السياسي السني نحو خلافة ديمقراطية.

معالم منهجه:

يهتم أحمد الكاتب بمناقشة أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية، ويرى أن القضية الأهم في ذلك هي مسألة إثبات عدم وجود الإمام الثاني عشر بل عدم ولادته أصلاً، حيث يرى أن إثبات هذه النظرية كفيلاً بحل مشكلة الشيعة وإزالة الخلافات القائمة بين الفرق الإسلامية، ومن هذا المنطلق فإنه يرى أن مناقشة ونقد الأفكار الجزئية عند عموم الشيعة غير كافية، ولذلك لما أصدر مجموعة من مثقفي الشيعة بياناً يدعون فيه لتصحيح مسار الطائفة^(١) وتحدثوا عن بعض المسائل التي تحتاج إلى مراجعة ونقد كالتقليد والخمس ونظرية ولاية الفقيه وممارسات الشيعة في عاشوراء، علق أحمد الكاتب على ذلك قائلاً:

«أنا أيدتهم بصفة عامة لكنني أعتقد أنهم يركزون على قضايا هامشية، فأنا لدي قضايا نقدية أهم من هذه المواضيع التي يبحثونها في هذا البيان كالخمس والمرجعية وولاية الفقيه، بينما لدي نقد حول نظرية الإمامة والتي أرى أنها مختلقة ولا علاقة لها بأهل البيت... القضية الجوهرية في فكر الإمامة هل الديمقراطية والانتخابات والشورى بعد رسول الله أم الوراثة والعصمة وما إلى ذلك»^(٢).

ويمكن إجمال أهم أفكار أحمد الكاتب فيما يلي:

١ - نقض نظرية الإمامة الاثنا عشرية:

وهي القضية التي ركز عليها وكانت بداية التحول في أفكاره عندما بدأ يدرس فترة الغيبة الصغرى - كما مر في ترجمته - حيث كانت نتيجة بحثه القول بعدم وجود الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري؛ بل عدم ولادته أصلاً حتى وصل إلى

(١) سيأتي الحديث عنه في الباب الثاني: الفصل الثالث.

(٢) حوار على موقع العربية نت بتاريخ ٢٠/١١/٢٠٠٨ م.

القول بنقض نظرية النص على الأئمة الاثني عشر، وكانت هذه الأفكار فحوى كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه».

٢- الشورى منهج أئمة أهل البيت:

يرى أحمد الكاتب أن منهج أهل البيت كان الاعتماد على الشورى والرجوع بالأمر إلى أمة المسلمين، وعدم القول بالنص مطلقاً، وأن أهل البيت جميعاً كانوا يرفضون النص على من سيأتي بعدهم، يقول:

«نظرية أهل البيت السياسية ترتكز على مبدأ الشورى في حين أن الإمامة الإلهية تقوم على تأويلات تعسفية للقرآن الكريم وعلى أحاديث مشكوك بصحتها وأنها لا تمتلك أي سند تاريخي حيث كان أئمة أهل البيت يرفضون النص على أحد من أبنائهم أو الوصية إليه بالإمامة»^(١).

ويصرح أحمد الكاتب بأن تحقيق مبدأ الشورى كان الهدف من دراسته، يقول:

«من الأجدى القيام بالنقد الذاتي ومراجعة الفكر السياسي الموروث وتصحيحه من أجل بناء نظام سياسي جديد أكثر عدلاً وحرية واستقراراً... وانطلاقاً من هذه الرؤية قمت قبل أكثر من عشر سنوات بمراجعة الفكر السياسي الذي كنت أو من به وأدعو إليه وقد اكتشفت بعد عملية المراجعة التي استغرقت مني عدة أعوام أن كثيراً من الأفكار الشائعة والتي كنت أو من بها ما هي إلا أفكار دخيلة وطائرة لا تمت بصلة إلى مذهب أهل البيت وأن فكر أهل البيت أو الشيعة الأوائل هو أقرب إلى الفكر الإسلامي العام الذي كان يدور حول مبدأ الشورى»^(٢).

(١) سيرتي الفكرية والسياسية.. من نظرية الإمامة.. إلى الشورى. موقع أحمد الكاتب

(٢) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه ١٠.

ويخلص إلى نتيجة مهمة مفادها أن طريق النهوض ومواصلة مسيرة الأمة الإسلامية لا يتحقق إلا بالتخلص من الفكر الاستبدادي الذي يمثل عقبة أمام مسيرة الأمة، وأن فكر الشورى والحرية والعدالة هو الطريق نحو إعادة صياغة الحضارة من جديد.

وفي الجملة: فإن أحمد الكاتب يرى أن أفكار الشيعة في العصر الحاضر تبتعد عن الفكر الإمامي التقليدي، يقول:

«الشيعة اليوم ليسوا إمامية اثني عشرية، تخلوا عن الفكر الإمامي الاثني عشري عمليا، الشيعة الآن يؤمنون بالفكر الديمقراطي أو يؤمنون بفكرة ولاية الفقيه، هذه الأفكار مناقضة كلياً للفكر الإمامي والذي اشترط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في الإمارة»^(١).

٣- ضرورة الوحدة الإسلامية:

يرى أحمد الكاتب أن الخلافات الواقعة بين السنة والشيعة اليوم لا مبرر لها، ويرى أن المطلوب الأهم للأمة الإسلامية اليوم هو مراجعة ذلك الخلاف، يقول:

«إن الأمة الإسلامية - شيعة وسنة - بأمس الحاجة اليوم لمراجعة ذلك الخلاف التاريخي ودراسته بدقة من أجل التخلص من رواسبه السلبيّة والتحرر من مخلفاته التي قد لا تزال تشدخ الوحدة النفسية للمسلمين أو تؤجج بعض المعارك الوهمية بينهم»^(٢).

(١) حوار مع صحيفة العرب القطرية عدد ٧٢٨٦ بتاريخ ١٨ من جمادى الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٤ مايو ٢٠٠٨م.

(٢) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه ٩.

ولذلك فإنه يرى أن بحثه عن الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري -الإمام الثاني عشر عند الشيعة- الذي أثبت فيه عدم ولادته وضعف أدلة الشيعة في ذلك، يسهم في تعزيز الوحدة الإسلامية ويساهم في التقريب بين السنة والشيعة، يقول:

«كان للنتائج المهمة التي توصلت إليها من خلال بحثي أثر جانبي مهم وهو تذويب الخلافات التاريخية بين السنة والشيعة أو في الحقيقة تجاوزها نحو الحاضر والمستقبل وعدم التوقف كثيرا عند من كان أحق بالخلافة قبل أربعة عشر قرنا، فما يهمنا أكثر هو من يحق له الحكم اليوم؟ وكيف يقيم أفضل العلاقات الديمقراطية مع الشعب؟»^(١).

وقد نبه إلى أن دراسته للأفكار الشيعية ونقدها وتصويب ما فيها من أخطاء وغلو لا يهدف إلى معاداة الشيعة أو الوقوف إلى جانب خصومهم وإنما يهدف إلى التطلع للوحدة الإسلامية بين الطوائف كافة، فهو عندما أصدر بيانه الأخير بعنوان «البيان الشيعي الجديد» علق عليه قائلا:

«الهدف من هذا البيان ليس انتقاد الشيعة أو الاصطفاف إلى جانب خصومهم السياسيين أو الطائفيين، وإنما هو خدمة للشيعة قبل الآخرين، ومحاولة لتطوير فكرهم السياسي نحو مزيد من الحرية والعدالة والديموقراطية، وتعزيز العلاقة الأخوية مع محيطهم الإسلامي»^(٢).

(١) حوار صحفي مع الأستاذ أحمد الكاتب منشور على موقعه

<http://www.alkatib.co.uk/lashhab.htm>

(٢) حوار مع صحيفة الوطن البحرينية، العدد ١١٨٤ بتاريخ ٨/٣/٢٠٠٩ م.

هذه أهم أفكار أحمد الكاتب التي يسعى إلى نشرها وبحثها من خلال مؤلفاته وموقعه على شبكة المعلومات الدولية.

وهو يؤمن بأن هذه الأفكار ستتوّج ثمارها ولو بعد حين، وأنها ليست أفكاراً شخصية بقدر ما أنها تمثل تياراً عاماً.

يقول: «إن الإصلاح لا يقتصر على شخص معين أو كاتب معين، وإنما هو إصلاح عام حاصل وإن لم يشر إليه بالبنان والأعلام»^(١).

ويرى أن هذه الأفكار ليست جديدة في الوسط الشيعي ولا مستحدثة، وإنما هي أفكار أهل البيت، وآراء فقهاء المذهب عبر العصور، وأنه لم يفعل إلا أنه أخرج هذه الآراء للنور وأعاد إبرازها مرة أخرى.

يقول: «نحن لم نأت بشيء جديد أو بعيد عن فكر أهل البيت، وإنما استقيننا كل أفكارنا من تراثهم الموجود في طيات التراث الشيعي، ولكن المشكلة التي حالت في نظرنا دون وصول الأجيال السابقة إلى ما وصلنا إليه، هو قيامنا بالاجتهاد والتحقيق في الأحاديث المنسوبة لأئمة أهل البيت وعرضها على القرآن الكريم وسيرة أهل البيت الظاهرية»^(٢).



(١) رسالة شخصية من الأستاذ أحمد الكاتب موجهة لي عبر البريد الإلكتروني بتاريخ ١٧/٤/٢٠٠٨.

(٢) حوار مع صحيفة الوطن البحرينية.

الفصل الثاني

إصلاحيون نقدوا بعض مفردات المذهب

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول : السيد محسن الأمين.

المبحث الثاني : الشيخ محمد الخالصي.

المبحث الثالث : علي شريعتي.

المبحث الرابع : محمد حسين فضل الله.

تهدىء

لم يقتصر التيار الإصلاحى على الإصلاحىين الذين قاموا بنقد أكثر وأهم المعتقدات الشيعية الحالية، وإنما تضمن بعض رموز الشيعة التقليديين الذين يعتقدون بالمذهب الشيعى، ويرون صحة الأصول الشيعية، فيعتقدون بالإمامة، والنص، والعصمة، والمهدي، والغيبة، والرجعة. لكنهم يرون أن هناك بعض الآراء المذهبية دخلها من التحريف والتغيير ما أخرجها عن المفهوم الشيعى السليم، هذه الآراء تحتاج إلى إصلاح وبيان للقول الحق فى المذهب الشيعى.

هؤلاء الأعلام يرون صحة المذهب الشيعى وأنه أقرب المذاهب وأعدلها، ويقررون أن هدف الإصلاح لهذه الفروع إنما يأتي لتنقية المذهب الشيعى من الشوائب التي تعكر صفو المذهب.

وسوف أعرض أبرز إصلاحات أربعة من هؤلاء الأعلام - أحدهم لا زال على قيد الحياة - مرتين زمنية بداية بالأقدم، وذلك فى أربعة مباحث:

المبحث الأول: السيد محسن الأمين.

المبحث الثانى: الشيخ محمد الخالصى.

المبحث الثالث: الدكتور على شريعتهى.

المبحث الرابع: السيد محمد حسين فضل الله.



المبحث الأول

السيد محسن الأمين (١٢٨٤ - ١٣٧١ هـ = ١٨٦٧-١٩٥٢م)

قام السيد محسن الأمين بمباشرة بعض الإصلاحات في بعض الممارسات العملية عند الشيعة الأمر الذي أثار عليه علماء الشيعة وكذلك عوامهم، وفيما يلي بيان ترجمته وأبرز آرائه الإصلاحية.

نسبه:

أبو محمد الباقر محسن بن السيّد عبد الكريم بن السيّد علي بن السيد محمد الأمين العاملي، وينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ولد السيّد الأمين عام ١٢٨٤ هـ بقريّة شقراء في جنوب لبنان.

دراسته:

عندما بلغ سن السابعة من عمره قامت أمّه بتعليمه القرآن الكريم، ثمّ أتقن الخط العربي، وبعد أن ختم القرآن تعلّم النحو والصرف، وفي عام ١٣٠٨ هـ وبعد إكماله المقدّمات سافر إلى العراق رغم ظروفه الصعبة، وانشغاله برعاية والده المريض، فنزل مدينة النجف الأشرف، وشرع في دراسة السطوح والبحث الخارج.

وكان من أبرز شيوخه في هذه الفترة:

* الشيخ فتح الله الأصفهاني، المعروف بشيخ الشريعة (١).

(١) الشيخ فتح الله بن محمد النمازي الشيرازي الغروي الملقب شريعة مدار، ولد سنة ١٢٦٦ و انقطع للتدريس والبحث والإملاء والتصنيف والفتوى وقضاء الحوائج إلى أن توفاه الله ليلة الأحد الثامن من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ هـ. أعيان الشيعة ٨ / ٣٩١، ٣٩٢.

- * الشىخ محمد كاظم الخراسانى، المعروف بالآخوند (١).
- * السىّد أحمد الكربلايى (٢).
- * الشىخ آقا رضا الهمدانى (٣).
- * السىّد جواد مرتضى (٤).

جهوده العلمىة:

بعد أن استكمل علومه فى مدينة النجف الأشرف رحل إلى سوريا، واستقر فى دمشق، وأصبح يمثّل جامعة كبيرة، فانشأ جيلًا جديدًا كان معه حربًا على ما أورثته الأجيال والسياسات المضلّلة الغاشمة، من بدع وخرافات وأساطير شوّهت محاسن الإسلام، وقوّضت سلطان المسلمين.

طالب بالتعليم وتنوير الأفكار، ومحاربة البدع والانحرافات، ففتح المدارس،

- (١) محمد كاظم ابن الملا حسين الهروي الخراساني النجفي الملقب بالآخوند ولد ١٣٢٩هـ، وتوفي ١٣١٣هـ وكان مجتهدا لا يفارق التدريس إلى أن توفي. من مؤلفاته: الكفاية فى أصول الفقه، روح الحياة، رسالة الفوائد. أعيان الشيعة ٩/ ٥٠٦.
- (٢) السيد أحمد ابن السيد إبراهيم الموسوي الطهراني الأصل المعروف بالسيد أحمد الكربلايى، توفي فى ٢٧ شوال سنة ١٣٣٢، عالم فقيه، له تصانيف منها: شرح المعالم، شرح الشرائع، شرح فصوص محيى الدين. أعيان الشيعة ٢/ ٤٧٢، ٤٧٣.
- (٣) الشىخ آقا رضا ابن الشىخ محمد هادى الهمدانى النجفى، توفي بسامراء صبيحة يوم الأحد ٢٨ صفر سنة ١٣٢٢، كان عالما فقيها أصوليا محققا مدققا، من مؤلفاته: مصباح الفقيه شرح على الشرائع. أعيان الشيعة ٧/ ١٩ - ٢٣.
- (٤) السيد جواد مرتضى، ولد فى قرية عيتا - لبنان سنة ١٢٦٦ هـ، توفي سنة ١٣٤١ هـ. ودرس مبادئ العلوم على علماء لبنان وارتحل إلى النجف الأشرف وألّف كتاب (مفتاح الجنات). انظر: أدب الطف، شعراء الحسين من القرون الأولى الهجرى حتى القرن الرابع عشر، جواد شبر، ٩/ ٦٢، مؤسسة التاريخ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

وأسس مدرسة للبنات في الوقت الذي كان الكثيرون يتحرّجون من تعليمهن، ومع ذلك كانت مدارسه تعلّم - بالإضافة إلى جانب الدين والشريعة الإسلامية السمحة - مختلف العلوم العصرية، واللغات الأجنبية، لحاجة أبناء عصره لها.

مؤلفاته: له مؤلفات عديدة باللغة العربية، أذكر منها ما يلي:

- ١- نقض الوشيعة، في الرد على كتاب الوشيعة لموسى جار الله.
- ٢- الدرّة البهية في تطبيق الموازين الشرعية على العرفية.
- ٣- المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية.
- ٤- كشف الارتياح في أتباع محمّد بن عبد الوهّاب.
- ٥- البحر الزخّار في شرح أحاديث الأئمّة الأطهار.
- ٦- الدر النضيد في مرآة السبط الشهيد.
- ٧- أصدق الأخبار في قصّة الأخذ بالثأر.
- ٨- عين اليقين في التأليف بين المسلمين.
- ٩- كشف الغامض في أحكام الفرائض.
- ١٠- الدر المنظّم في مسألة تقليد الأعم.
- ١١- لواعج الأشجان في مقتل الحسين.
- ١٢- جناح الناهض إلى تعلّم الفرائض.
- ١٣- القول السديد في الاجتهاد والتقليد.
- ١٤- حذف الفضول عن علم الأصول.
- ١٥- عجائب أحكام أمير المؤمنين.
- ١٦- إقناع اللائم على إقامة المآتم.

١٧- المنيف في علم التصريف.

١٨- تاريخ جبل عامل.

١٩- صفوة الصفوة.

٢٠- التنزيه لأعمال الشبيه.

٢١- أعيان الشيعة.

وفاته:

توفي السيد الأمين في الرابع من رجب ١٣٧١ هـ بالعاصمة بيروت، ودفن بجوار مرقد السيدة زينب في دمشق (١).

أبرز إصلاحاته:

حدد محسن الأمين الأمور التي ينبغي أن ينظر في إصلاحها من أجل إصلاح المجتمع في ثلاثة أمور:

١- الأمية والجهل المطبق.

٢- انقسام الناس إلى أحزاب متفرقة.

٣- مجالس العزاء وما يتلى فيها من أحاديث غير صحيحة وما يصنع من ضرب الرءوس والقمامات بالسيوف وبعض الأفعال المستنكرة (٢).

وقد قام محسن الأمين بتأليف رسالة (التنزيه لأعمال الشبيه) للرد على ما يمارسه الشيعة من منكرات وبدع في مجالس العزاء، وفي الشعائر الحسينية التي

(١) انظر ترجمته: سيرة السيد محسن الأمين وهي جزء من كتاب أعيان الشيعة تحقيق وشرح: هيثم الأمين، وصابرينا ميرفان، دار رياض الريس، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠. وانظر: الأعلام ٥/ ٢٨٧.

(٢) سيرة السيد محسن الأمين ١٥٠.

تحدث في عاشوراء وكان مما جاء فيها:

«إقامة شعائر الحزن على سيد الشهداء... فيها أمور منكرا أجمع المسلمون على تحريم أكثرها، فهي من الكبائر التي توعد الله فاعلها وذمه في كتابه العزيز.

١- فمنها الكذب بذكر أمور مكذوبة معلوم كذبها، لم توجد في خبر ولم تنقل في كتاب.

٢- ومنها إيذاء النفوس وإدخال الضرر عليها بضرب الرءوس وجرحها بالمدى والسيوف حتى يسيل دمها.

٣- ومنها استعمال آلات اللهو كالطبل والزمير والصنوج النحاسية، وغير ذلك.

٤- ومنها تشبه الرجال بالنساء في وقت التمثيل.

٥- ومنها إركاب النساء الهوادج كاشفات الوجوه وتشبيههن بنات رسول الله ﷺ وهو في نفسه محرم لما يتضمنه من الهتك والمثلة.

٦- ومنها صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب، وهو معيب شائن مناف للآداب والمروءة يجب اجتنابه في المآتم وغيرها..

٧- ومنها الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة القبيحة.

٨- وكذا كل ما يوجب الهتك والشنعة مما لا يدخل تحت الحصر ويختلف الحال فيه بالنسبة إلى الأقطار والأصقاع إلى غير ذلك.

فإدخال هذه الأشياء في إقامة شعائر الحزن على الحسين من تسويلات إبليس، ومن المنكرات التي تغضب الله ورسوله ﷺ (١).

(١) رسالة التنزيه ٢١-٢٣ بتصرف. ضمن كتاب (ثورة التنزيه) إعداد: محمد القاسم الحسيني النجفي. دار الجديد. - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م. وقد ورد تفصيل ذلك في الفصل السابق، مبحث: الشعائر الحسينية.

والحقيقة أن آراء السيد محسن الأمين في هذه القضية كانت نابعة من غيرته على الدين حتى لا يُوصم أتباعه بالجهل والتخلف. يقول بعض الشيعة معقبا على أفكاره: «مما لاشك فيه أن الدافع الذي دفع السيد الأمين إلى تأليف رسالة التنزيه هو دافع عقدي سعى من خلاله إلى إصلاح ديني اجتماعي، فقد تعامل الرجل مع عاشوراء على أنها عمل ديني؛ لذلك عالجهما باجتهد فقهي، أو أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، فهو يعتبر أن عمله من أبواب النهي عن المنكر»^(١).

وقد قامت ثورة شيعة للرد على آراء السيد محسن الأمين التي يحرم فيها تلك الممارسات الشيعية، وسوف يأتي موقف الشيعة من آراء السيد محسن الأمين في الباب الثالث، موقف جمهور الشيعة من الإصلاحيين.



(١) بحث «السيد محسن الأمين نموذج إصلاحية مسلم» للأستاذ محمد علي شمس الدين. ضمن مؤتمر لدراسة أفكار السيد محسن الأمين، تنظيم: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق، وقد طبع سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

المبحث الثاني

آية الله العظمى محمد بن محمد مهدي الخالصي (١٨٨٨ - ١٩٦٣م)

للشيخ محمد الخالصي آراء كثيرة في نقد بعض الآراء داخل مذهب الشيعة الاثنا عشرية الأمر الذي يصنفه ضمن رواد الإصلاح الشيعي العام، مع تمسكه بأصول المذهب.

نسبه:

محمد بن محمد مهدي بن حسين بن عبد العزيز الخالصي الكاظمي الأسدي. والده آية الله العظمى محمد مهدي الخالصي قائد حركة الجهاد عام ١٩١٤، وقائد ثورة ١٩٢٠ الإسلامية في العراق ضد الاحتلال البريطاني. ولد عام ١٨٨٨م في مدينة الكاظمية.

دراسته:

درس على يد والده الإمام الخالصي، والميرزا محمد تقي الشيرازي (١)، ودرس الفلسفة الغربية واللغات الأجنبية.

ألف كتاب: «المعارف المحمدية» في بداية حياته العلمية وطبع في مصر عام ١٩٢٢، وتقرر تدريسه في مدرسة والده آية الله العظمى الخالصي الكبير في الكاظمية. شارك والده في الجهاد الإسلامي ضد هجوم الروس على إيران وهجوم الإيطاليين على طرابلس الغرب، وشارك مع والده في جهاده ضد الغزو البريطاني للعراق.

(١) الشيخ محمد تقي بن محب علي بن محمد علي كلشن الحائري الشيرازي ولد عام ١٢٥٦ هـ بمدينة شيراز في إيران، كان مرجعاً دينياً وقائداً سياسياً بارزاً، فقد قاد الثورة العراقية ١٩٢٠م توفي مسموماً في ١٣٣٨ هـ، ودفن بالصحن الحسيني في مدينة كربلاء. أعيان الشيعة ٩/١٩٢.

بعد سقوط بغداد بيد البريطانيين عام ١٩١٧م قررت قيادة الثورة عام ١٩٢٠م إعلان الثورة وعُهد إلى الخالصي الابن بإعلان الثورة، فتم ذلك في خطاب تاريخي ألقاه في اجتماع حاشد في صحن الإمام العباس في كربلاء بتاريخ ٢١/٦/١٩٢٠م. بعد تنصيب الملك فيصل^(١) ملكا على العراق قرر الإنجليز إجراء انتخابات عامة لانتخاب مجلس تأسيسي لإقرار المعاهدة البريطانية التي تفرض الانتداب على العراق فاعتبر الخالصي الكبير هذا الإجراء نكثا لشروط البيعة للملك فأصدر فتوى تحرم الانتخابات وأعلن بطلان بيعته الملك فيصل فاعتبر الإنجليز أن الشيخ محمد الابن هو المحرك لهذا الاتجاه فنُفي إلى طهران ثم نُفي والده بعده بتسعة أشهر إلى الهند ثم إيران.

في طهران وقف أمام الشاه رضا خان بهلوي مواقف مشهودة حتى تم اعتقاله في سجن طهران ثم نفيه إلى مدينة «خواف» على حدود أفغانستان واعتقل في قلعتها الرهيبة.

تنقل الخالصي في هذه الفترة بين السجون والمعتقلات في طهران وكاشان غيرها وبقي مدة (٢٧) عاما متنقلا بين السجون والمنافي.

سمح له بالعودة إلى العراق عام ١٩٤٩م واجتهد في إعادة العراق مرة أخرى إلى التوجه الإسلامي بعيدا عن الاتصال بالغرب وسيطرة الأحزاب الشيوعية فرفع شعار (لا شرقية ولا غربية).

(١) فيصل بن الشريف حسين بن الشريف علي الهاشمي الابن الثالث لشريف مكة الشريف حسين كان ملك العراق من ١٩٢١ إلى ١٩٣٣ وكان لفترة قصيرة ملك سوريا في عام ١٩٢٠. انظر: الملك فيصل، تأليف: عبد المجيد كامل. دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ١٩٩١م.

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م وسيطرة عبد الكريم قاسم^(١) والشيوعيين على الحكم تصدى للمد الشيوعي في مواقف يشهد لها العراقيون جميعا.

بعد تسلط العفالق^(٢) على الحكم عام ١٩٦٣ رأى الخالصي أن من واجبه التصدي لهذا الانحراف، وأعلن مقاومته والجهاد ضده وأعلن صرخته قائلا: (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر ميشيل عفلق).

وفاته:

توفي في بغداد ٢١ كانون الأول ١٩٦٣م الموافق ١٩ رجب ١٣٨٣ هـ ودفن في الصحن الكاظمي.

مؤلفاته:

رغم المضايقات التي تعرض لها الخالصي والاعتقالات المتكررة في العراق وإيران إلا أنه ترك مؤلفات عديدة باللغتين العربية والفارسية، منها:

(١) عبد الكريم قاسم: نائر عراقي، ثار مع بعض قواد الجيش العرقي (١٤ يولييه ١٩٥٨) فقتل آخر ملوك الهاشميين ببغداد (فيصل بن غازي) وبعض أقاربه ووزرائه، وأقام النظام الجمهوري، وجعل نفسه رئيسا لمجلس الوزراء، وقائدا عاما للقوات المسلحة، ونصب محكمة عسكرية باسم (محكمة الشعب)، اهتم الكثيرين ممن دعتهم «المتآمرين على سلامة الوطن» وفيهم كثير من خيار القوم، وقضت عليهم بأحكام منها الاعدام، وحكم البلاد أربع سنوات وبضعة أشهر. الأعلام. ٥٤ / ٤.

(٢) أتباع ميشيل عفلق، ولد ١٩١٢م من الطائفة الأرثوذكسية في دمشق، أسس حزب البعث العربي في دمشق سنة ١٩٤٧، هرب من سوريا إلى العراق حتى مات ١٩٨٩م وادّعت الحكومة العراقية آنذاك اعتناق ميشيل الإسلام قبل مماته إلا أن المقرين ينكرون ذلك. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف الدكتور/ مانع بن حماد الجهني/ ١/ ٤٧٤، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ. وانظر: دولة البعث وميشيل عفلق، مطبع النونو، مطابع الأهرام، القاهرة ١٩٩٠.

* الإسلام سبيل السعادة والسلام.

* إحياء الشريعة في مذهب الشيعة.

* المعارف المحمدية.

* الوقاية من أخطاء الكفاية.

* الجمعة.

* النيروز (في بدعية عيد النيروز).

* الاقتصاد والدولة في الإسلام.

* بطل الإسلام.

* العروبة في دار البوار فهل من منقذ؟

أهم آرائه الإصلاحية:

اعتنى الشيخ محمد الخالصي بإصلاح بعض الآراء في المحيط الشيعي، وكانت أكثر المسائل التي تحدث فيها هي:

١ - الدعوة إلى التوحيد الخالص:

دعا الإسلام إلى توحيد خالص من كل شرك، ومنزه عن كل شائبة من شوائب الغلو فيما يتعلق بالنبي ﷺ والأئمة آل البيت الأطهار.

يقول: «أكد القرآن الكريم على أمر التوحيد ونفي الغلو أكثر من أي شيء آخر،

وأمر مراراً نبيه ﷺ أن يعلن إلى أمته وأن يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]

(١) انظر ترجمة الشيخ الخالصي: بقلم ولده في مقدمة كتاب الشيخ «علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين»، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م. وانظر ترجمته في: الأعلام ٨٦/٧.

وأمر الله نبيه ﷺ أن ينفي عنه علمه بالغيب والقدرة الرازقية، وأمره الله مرارا أن يقول: (لا تتخذوا قبوري مسجدا)، وأن يعلن قسما بالله أنه لم يهلك من هلك من الأمم السابقة إلا لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد^(١)، مع شدة تأكيد القرآن الكريم والأحاديث الشريفة على التوحيد وتنزيهه من أي شائبة غلو^(٢).

فعناية القرآن الأولى كانت بإقرار التوحيد وإبطال الشرك، وتحذير الناس منه ومن الطرق والوسائل المؤدية إليه من تعظيم الأنبياء والغلو فيهم واتخاذ قبورهم مساجد وغير ذلك مما يقدح في أصل التوحيد.

٢ - سلامة القرآن الكريم من التحريف:

يخالف الشيخ الخالصي اعتقاد بعض الشيعة بتحريف القرآن ويعتقد أن القرآن الكريم سالم من التحريف، محفوظ من الزيادة النقصان.

ويرى أن الواجب على كل مسلم الاعتقاد بحفظ الله للقرآن الكريم، وهذا هو الأصل الذي اتفق عليه عامة المسلمين، وأن القول بتحريف القرآن الكريم وصل من الجراءة على الله تعالى والكفر إلى أقصى درجاتهما^(٣).

(١) الحديث روي بألفاظ متعددة منها: «لَعَنَهُ اللهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدًا». أخرجه: البخاري: كتاب «الصلاة» باب «الصلاة في البيعة» رقم ٤١٧، وكتاب «الجنائز» باب «ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور» رقم ١٢٤٤، وكتاب «الجنائز» باب «ما جاء في قبر النبي ﷺ» رقم ١٣٠١، وغيرها من أبواب، مسلم: كتاب «المساجد ومواضع الصلاة» باب «النهى عن بناء المساجد على القبور» رقم ٨٢٣.

(٢) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٣٨٨.

(٣) المرجع السابق ٤٢٦.

٣- التصدى للغلو والخرافات:

يرى الخالصى أن كثيرا من الأمور المبتدعة والمخالفة التى ظهرت عند فريق من الشيعة لا صلة لها بالإسلام، وأنها دخلت من عقائد وآراء مخالفة للدين.

يقول: «الخرافات الشائعة باسم الدين وخاصة فى طهران ليست لها أى علاقة بالإسلام وإنما هي من بقايا دين المجوس الذين كانوا يعبدون الأشجار والأحجار والنار، ولا توجد فى الإسلام خرافات»^(١).

ويرى أن هؤلاء الغلاة المنحرفين عن الدين خارجون عن الإسلام بشركهم وخرافاتهم، وهذا هو الموقف الصحيح الذى ينبغى على الشيعة أن يتخذوه إزاء هذه الطائفة المنحرفة.

يقول: «غلاة الشيخية وغيرهم ليسوا من شيعة أهل البيت، وهم بنظرهم غلاة وكفار ومشركون»^(٢). ويضيف: «يجب على المجتهدين أن يحرموا رواية وقراءة أحاديث الغلاة وأدعيتهم»^(٣).

٣- إنكار الولاية التكوينية:

يعتبر الخالصى أن من البدع والخرافات المنتشرة: نسبة الخلق والرزق والتدبير للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام والقول بتفويض التدبير إلى الأئمة عليهم السلام^(٤).

ويقرر فى عدة مواضع من كتابه (علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة فى الدين) أن هذه الأمور ليست من مهمة الأنبياء أو الأئمة فى الدنيا، وأنهم فى

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة فى الدين ٤٠٩.

(٢) المرجع السابق ٤٠٩.

(٣) المرجع السابق ٤٠٧.

(٤) المرجع السابق ٣١.

أفعالهم لا فارق بينهم وبين أفعال المسلمين العادية إلا ما أنعم الله عليهم من زيادة في العلم فقط، يقول: «وينبغي أن يكون واضحاً أن نسبة بعض الأفعال إلى الملائكة والنبى ﷺ والأئمة عليهم السلام يشبه تماماً نسبة بعض الأفعال إلينا، كما أن الله تعالى أعطانا قدرة كي نتحرك ونمشي ونبذل بعض الأعمال كذلك أعطى للملائكة والنبى والأئمة قدرة للقيام بأفعال أكثر وفوق ما اعتاده البشر، ومتى أراد أن يسلب منهم هذه القدرة فإنه ليس باستطاعتهم القيام بأي عمل، وعلم أولئك بتعليم الله مثل علمنا غير أن علم أولئك أكثر» (١).

٥- نقد مفهوم الشفاعة الشيعي:

يخالف الخالصي الشيعة في مفهوم الشفاعة السائد عندهم (٢)، ويرى أن الشفاعة ليست خاصة بأئمة الشيعة، وإنما هي لمن أذن الله تعالى له بالشفاعة، ثم مردها إلى الله تعالى في القبول والرد.

يقول: «إنكار الشفاعة كلياً أمر مخالف للقرآن، ويخالف القرآن أيضاً القول بأن الشفاعة أمر إلزامي وحتمي، وأنه حتم على الله أن يستجيب، وما تدل عليه مجموع الآيات القرآنية هو أنه أجاز للملائكة والنبى بأن يشفعوا وكذلك للمؤمنين كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وليس لأحد حق الشفاعة إلا بعد أمر الله وإجازته، وبعد

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٤٢٩.

(٢) يتضح مفهوم الشفاعة من خلال الأحاديث التالية: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تستخفوا بشيعة علي، فإن الرجل منهم ليشفع لعدد ربيعة ومضر». وعن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام قال: نزلت هذه الآية فينا وفي شيعتنا قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ (١٠٠) **وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ** ﴿ وذلك أن الله تعالى يفضلنا ويفضل شيعتنا حتى إنا لنشفع ويشفعون فإذا رأى ذلك من ليس منهم قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ (١٠٠) **وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ** ﴿ انظر: بحار الأنوار، ٥٦/٨.

الشفاعة يمكن أن يستجيب الله أو لا يستجيب»^(١).

فهو يرى أن الشفاعة غير خاصة بالأئمة والأولياء وإنما هي عامة للمؤمنين الذين استوفوا شروط الشفاعة عند الله تعالى، ثم هي مشروطة بإذن الله تعالى ورضاه عن الشفيع كي يتحقق الوعد.

٦- إصلاح مجالس العزاء:

يرى الخالصى أن المغالاة فى مجالس التعزية وما يرد فيها من روايات تشتمل على خرافات وغلو على لسان الخطباء يصل إلى حد الشرك بالله تعالى خارج عن التشيع الحقيقى، ويجب الاقتصار فى الخطابة على الأحاديث الصحيحة والآثار الواردة عن أئمة أهل البيت.

يقول: «مجالس القمار أقل سوءاً بدرجات من مجالس التعزية التي يروج فيها هؤلاء المشركون الشرك عن جهل ومن دون قصد؛ ذلك لأن الفسق أمر يمكن أن يُغفر وأن يُتجاوز عنه برحمة الله وأما مجالس التعزية التي يقيمها أمثال هؤلاء المشركين الجهال فهي كفر لا يمكن أن يُغفر ويمحى، وإضافة إلى ذلك فإن أمثال هؤلاء الوعاظ -قراء مجالس التعزية- يوجهون إهانات كبيرة للأئمة ويسحقون الهدف الأصلي لسيد الشهداء عليه السلام؛ ذلك لأن سيد الشهداء عليه السلام هو شهيد سبيل التوحيد وهؤلاء الجهال يجعلون من مجالس التعزية التي تقام لهذا الشهيد المظلوم وسيلة لترويج الشرك»^(٢).

ويدعو الخالصى كافة الشيعة إلى منع هؤلاء الوعاظ من ارتقاء المنابر، وأن يقتصر الوعظ على العلماء الأفاضل والفقهاء المدركين المتبحرين.

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة فى الدين ٤٢٧.

(٢) المرجع السابق ٤٤٥.

المبحث الثالث

علي شريعتي (١٩٣٣ - ١٩٧٧)

يعد علي شريعتي مفكراً إسلامياً ثورياً، مهدت أفكاره وآراؤه لنشر الفكر الثوري في إيران قبل قيام الثورة الإيرانية، وكانت له بعض الآراء التي يصحح فيها التشيع المنحرف.

نسبه ومولده:

علي بن محمد تقي شريعتي.

ولد في «مزينان» وهي قرية من قرى سنروار في منطقة خراسان التي تقع على حافة الصحراء الكبرى المعروفة باسم «دشت كوير» سنة ١٩٣٣ م.

كان أبوه من كبار المفكرين والمجاهدين الإسلاميين، أسس في مدينة مشهد بالاشتراك مع عدد من رجال الدين المناضلين (مركز الحقائق الإسلامية) وقام بنشاط واسع في تنقية أصول التشيع مما علق بها عبر القرون من الدخيل والخرافات، مما أسهم في نشأة علي شريعتي في بيئة تهتم بقضايا الدين والعلل والأمراض المنتشرة فيه.

انضم في شبابه إلى حركة المقاومة فسجن ستة أشهر قبل أن يتخرج من الجامعة، وفي عام ١٩٥٨ تخرج من كلية الآداب بدرجة الامتياز ثم أرسل في بعثة إلى فرنسا لدراسة علم الأديان وعلم الاجتماع.

حصل على شهادتي دكتوراه في تاريخ الإسلام وعلم الاجتماع الديني، وقد أتاح له ذلك أن يكون علي معرفة متعمقة بالتاريخ والفلسفة الغربيين مع وعيه بدينه وتقاليده.

عاد من فرنسا في منتصف الستينيات وعلى الحدود ألقى القبض عليه ثم أطلق سراحه بعد فترة وعُين مدرسا بجامعة مشهد.

أسس عام ١٩٦٩م حسينية الإرشاد لكي تكون مركز إشعاع إسلامي، وركز فيها كل نشاطاته من خلال إلقاء محاضرات منتظمة عن الإسلام وتاريخ التشيع الصحيح، وأسس فيها خمس لجان للإشراف على النشاطات المتعددة:

لجنة لتاريخ الإسلام، ولجنة لتفسير القرآن، ولجنة للأدب والفن، ولجنة للغة العربية لتصحيح منابع التراث الشيعي، ولجنة للغة الانجليزية لحمل رسالة الإسلام إلى العالم ونشرها. فالتف حول حسينية الإرشاد جيل من الشباب.

لم تجد السلطات بدا من إغلاق الحسينية عام ١٩٧٣ واعتقال شريعتي ووالده لمدة عام ونصف تعرض فيها لصنوف العذاب حتى تدخل بعض المسؤولين الجزائريين فأفرج عنه سنة ١٩٧٥ مع وضعه تحت المراقبة.

في عام ١٩٧٧ سُمح له بالسفر إلى لندن، وبعد شهر من إقامته في لندن عُثر عليه ميتا، وأعلنت السلطات أنها نوبة قلبية، فيما يرى البعض أنه اغتيل على يد المخابرات الإيرانية، ولم يُسمح بدفنه في إيران فنقل إلى دمشق ودفن في الحرم الزينبي (١).

مؤلفاته:

ترك علي شريعتي مؤلفات عديدة من أهمها:

* محمد خاتم النبيين من الهجرة حتى الوفاة.

* الإمام علي في محنه الثلاث.

(١) انظر ترجمته في: مقدمة كتاب العودة إلى الذات. ترجمة الدكتور/ إبراهيم دسوقي شتا، دار الأمير

لثقافة والعلوم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

- * فاطمة هى فاطمة.
- * التشىع العلوى والتشىع الصفوى.
- * الشهادة.
- * أبى أمى نحن متهمون.
- * دىن ضد الدين.
- * الحج الفرىضة الخامسة.
- * معرفة الإسلام.
- * الحسين وارث آدم.
- * العودة إلى الذات.
- * بناء الذات الثورىة.
- * منهج التعرف على الإسلام.
- * الدعاء.
- * الإمام السجاد أجمل روح عابدة.
- * التشىع مسؤلىة.
- * مسؤلىة المرأة.
- * الأخلاق للشباب والطلاب والناشئة.
- * الأمة والإمامة.
- * الإنسان والإسلام.
- * الإنسان والتارىخ.

* سيماء محمد ﷺ.

* مسئولية المثقف.

* الإسلام ومدارس الغرب.

* تاريخ ومعرفة الأديان.

أهم آرائه الإصلاحية:

ينظر علي شريعتي لإصلاح الفكر الشيعي من خلال نظراته لتجديد الفكر الديني بصفة عامة، ولذلك كان أهم تصوراتهِ إعادة صياغة المفاهيم الشيعية الأساسية حتى تعكس رسالة الإسلام الشيعي التقدمية.

وأهم ما طرحه في ذلك هو التفرقة بين التشيع العلوي الأصيل والتشيع الصفوي المشوش في إشارة للأسرة الصفوية التي حكمت إيران في القرن الخامس عشر الميلادي ونشأت في ظلها المؤسسة الدينية الشيعية الرسمية، قصد من خلاله تصحيح بعض جوانب الغلو في التشيع الحالي - الذي دعاه بالتشيع الصفوي - رأى أنها لا تمتُّ بصلة إلى التشيع الأصيل والذي يسميه بالتشيع العلوي.

وقد بين شريعتي الفوارق المبدئية بين التشيعين المتشابهين في الشكل والمتناقضين في المحتوى والمضمون على النحو التالي:

الوصاية: في التشيع العلوي «الجعفري» هي توصية من النبي بأمر من الله لتشخيص الفرد الأصلح طبق معياري العلم والتقوى.

الوصاية: في التشيع «الصفوي» هي قاعدة تنصيب وراثي وسلالي للحكم على أساس العنصر والقرابة.

الإمامة: في التشيع العلوي القيادة الثورية النزيهة الهادفة لهداية الناس وبناء المجتمع بناءً سليماً والارتقاء به إلى مستوى الطموح والنضج والاستقلال.

الإمامة: في التشيع الصفوي هي الاعتقاد بإثني عشر إماماً معصوماً مقدساً وهم الوسيلة الوحيدة للتقرب إلى الله والتوسل به والاستشفاع إليه.

العصمة: في التشيع العلوي الإيمان بنزاهة وتقوى المجتمع على الصعيد الفكري والاجتماعي وكونهم أئمة مسئولين عن صيانة إيمان الناس وقيادتهم بالعدل ونبذ الظلم والخيانة والتبعية لعلماء الفساد وعملاء الأجهزة الحاكمة.

العصمة: في التشيع الصفوي وهي تعبر عن وجود ذوات استثنائية وموجودات غيبية ليس بوسعهم ارتكاب المعاصي والأخطاء، والإيمان بأن المعصومين الأربعة عشر (١) هم جميعاً كذلك.

الولاية: في التشيع العلوي وتعني المحبة والقيادة وقبول حكومة عليّ وأتباع عليّ دون غيرهم.

الولاية: في التشيع الصفوي الاقتصار على حبّ عليّ والتهرب من كافة المسؤوليات وذلك كفيل بضمان الفوز بالجنة والنجاة من النار.

الشفاعة: في التشيع العلوي هي سبب لكسب استحقاق النجاة.

الشفاعة: في التشيع الصفوي طريق لنجاة غير المستحق.

الاجتهاد: في التشيع العلوي الجعفري سبب لبقاء الدين متحركاً وحيّاً وناصباً في مختلف الأزمنة ومواكباً لحركة التاريخ.

الاجتهاد: في التشيع الصفوي عنصر تحجر وجمود وحيلولة دون التقدم والتطور والتجديد، وأداة للتفكير والتفسيق وشجب وإدانة لكل تحرك جديد أو كلام جديد أو أسلوب جديد في فهم الدين.

(١) المقصود بالأربعة عشر: النبي ﷺ، والسيدة فاطمة، والأئمة الاثني عشر.

التقليد: في التشيع العلوي علاقة طبيعية ومنطقية بين العالم والجاهل، والمتخصص وغير المتخصص في مجال الأحكام القضائية والشرعية ذات الطابع الفني التفصيلي.

التقليد: في التشيع الصفوي وهو الطاعة العمياء والتبعية المطلقة لـ (الروحاني) في قناعاته وتصرفاته وفتاواه وبالتعبير القرآني عبادة الأحرار والرهبان.

العدل: في التشيع العلوي الجعفري هي عقيدة أن الله عادل وأن نظام الوجود قائم على أساس العدل وكذلك نظام المجتمع والحياة، وأن الظلم والتمييز هو مظهر غير طبيعي ويتنافى مع الغرض الإلهي.

العدل: في التشيع الصفوي هو بحث علمي في باب الصفات الإلهية يرتبط بما بعد الموت وتوقع الكيفية التي سيحكم بها الله بين عباده يوم القيامة، ولا صلة له بما قبل الموت.

الدعاء: في التشيع العلوي هو نص تعليمي تربوي يربّي الإنسان على الفضائل، وهو ممارسة عملية تكسب الروح صفاءً ومعنوية وتعرج بها إلى مقامات القرب الإلهي.

الدعاء: في التشيع الصفوي هو مجموعة من أوراد وأذكار، إذا حملها الإنسان أو تلاها تكفيه مؤونة السعي وراء رزقه وتحمل مسؤولياته، وتمنحه ثواباً وعطاءً في الدنيا والآخرة دون الحاجة إلى العمل أو التفكير.

الانتظار: في التشيع العلوي الجعفري استعداد روحي وعملي واعتقادي للإصلاح والثورة على الوضع الفاسد، وقناعة راسخة بأن الظلم يزول وإن الحق سينتصر لا محالة.

الانتظار: في التشيع الصفوي تلقين على الرضوخ والاستسلام للوضع القائم

وتبرير لفساد الأوضاع ويأس من إمكانية إصلاحها وإدانة كل خطوة في هذا الاتجاه، والانتظار السلبي لظهور المصلح الكبير.

الغيبة: في التشيع العلوي الجعفري تحمّل الناس أنفسهم لمهمة تحديد المصير وقيادة المجتمع معنوياً ومادياً، وانتخاب الفرد الأصلح ليقوم بمهامّ النيابة عن الإمام الغائب.

الغيبة: في التشيع الصفوي سلب المسؤوليات وتعطيل الأحكام الاجتماعية للإسلام والتملّص من مواجهة المسؤولية تحت ذريعة عدم جدوى العمل والتغيير لأن الإمام هو الوحيد القادر على الإصلاح^(١).

يرى علي شريعتي أن مبادئ التشيع الحقيقية التي تمثلت في الإمام علي والأئمة من أهل البيت من بعده كانت صافية نقية، وعندما دخلت الدولة الصفوية في التشيع طرأ على هذه المبادئ من البدع والخرافات والانحراف عن الدين ما جعل الفرق بين المذهبين بعيداً.

كان التشيع العلوي - عند شريعتي - يمثل حقيقة التوحيد المطلق والإسلام الأصيل فأصبح التشيع الصفوي خليطاً بين الإسلام والقومية الفارسية، ومزيجاً من الخرافات والأساطير، بعيداً كل البعد عن حقيقة الدين النقية الصافية.

وطريق الإصلاح الحقيقي إنما تكون بالتخلص من الإرث الصفوي تماماً، والرجوع إلى المبادئ العلوية.

(١) انظر: التشيع العلوي والتشيع الصفوي ٢٤٨ - ٣١٣ باختصار، دار الأمير، بيروت، الطبعة الثانية

المبحث الرابع

آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥: ...)

تعد اجتهادات السيد محمد حسين فضل الله في إصلاح بعض مفردات مذهب الشيعة في غاية الأهمية نظرا لما أحدثته من صدئ عال في الوسط الشيعي، وتفاعل كبير من الموافقين والرافضين لهذه الاجتهادات، مع أنه ملتزم بأصول المذهب إلا أن ذلك لم يمنعه من إبداء كثير من الملاحظات والانتقادات.

ترجمته:

آية الله العظمى محمد حسين بن السيد عبد الرؤوف بن نجيب الدين بن السيد محيي الدين ابن السيد نصر الدين بن محمد بن فضل الله.

ولد في النجف الأشرف بالعراق سنة ١٣٥٤ هـ الموافق ١٩٣٥ م حيث كان أبوه قد هاجر إليها لتلقي العلوم الدينية.

بدأ تلقي العلوم الدينية في حوالي التاسعة من عمره حتى وصل إلى دروس الخارج في الحوزة العلمية في سن السادسة عشرة تقريبا فحضر دروس كبار أساتذة الحوزة أمثال:

* السيد أبو القاسم الخوئي.

* السيد محسن الحكيم () .

(١) ولد السيد محسن الحكيم في عام ١٣٠٦ هـ، توفي عام ١٣٩٠ هـ، قام بتدريس البحث الخارج في الفقه والاصول، اعتنى بتأسيس المدارس العلمية، وله مواقف سياسية في التصدي للاحتلال البريطاني للعراق، وأصبح المرجع العام للشيعة. من مؤلفاته: نهج الفقاهة، مختصر منهاج الصالحين.

* السيد محمود الشاهرودي (١).

* الشيخ حسين الحلبي (٢).

برز في التحصيل العلمي حتى توجه إليه طلاب العلم في النجف فدرّس لهم الفقه والأصول.

اهتم بالشأن الثقافي في النجف فانتخب عضواً في المجمع الثقافي لمتدئ النشر، وشارك في عدة حفلات أدبية.

غادر العراق عائداً إلى لبنان ١٩٦٦م إثر دعوة وجهها إليه مجموعة من المؤمنين الذين أسسوا جمعية أسرة الأخي التي تهتم بالعمل الثقافي الملتزم لشعورهم بمدى حاجة الساحة اللبنانية إلى سماحته.

لم ينقطع عن العطاء العلمي منذ وصوله إلى لبنان فأسس حوزة: «المعهد الشرعي الإسلامي» وبدأ في إلقاء دروس الخارج في الفقه والأصول، وكان يحضر دروسه في بيروت طلاب عديدون من اللبنانيين والعراقيين وغيرهم، وقلم كذلك بتدريس دروس الخارج في حوزة المرتضى بدمشق في درس أسبوعي.

نشاطه الخيري:

لم يقتصر نشاط السيد فضل الله على التحصيل وإلقاء الدروس العلمية فقط بل أولى اهتماماً بالمشروعات الاجتماعية كذلك، وأعطى اهتماماً خاصاً بالأيتام عبر

(١) آية الله السيد محمود الحسيني الشاهرودي ولد ١٣٠١هـ، توفي عام ١٣٩٤هـ، من علماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف، من مؤلفاته: الرسالة العلمية، ذخيرة المؤمنين.

انظر: <http://www.al-shia.org/html/ara/others/?mod=monasebat&id=170>

(٢) الشيخ حسين بن الشيخ علي بن حسين الحلبي النجفي، ولد عام ١٣٠٩هـ، توفي عام ١٣٩٢هـ بالنجف الأشرف، بلغ مرتبة علياً في الاجتهاد. انظر: لمحات من حياة آية الله العظمى الشيخ حسين الحلبي.

تأليف / هاشم الحسيني. مركز البحوث والدراسات الإسلامية - قم. إيران.

مشروعين:

الأول: مبرات الأيتام، حيث أسس جمعية المبرات الخيرية التي أقامت صرحاً للأيتام تحت اسم: «مبرة الإمام الخوئي» ثم أسست عدة مبرات للأيتام في لبنان.
الثاني: رعاية الأيتام في الأسر، حيث يقوم «مكتب الخدمات الاجتماعية» التابع للمؤسسة المرجعية بتقديم مساعدات مادية واجتماعية وصحية للأيتام.
هذا بالإضافة إلى رعاية الحالات الاجتماعية عبر مكتب الخدمات الاجتماعية.

مؤلفاته:

كتب السيد فضل الله العديد من المؤلفات الشرعية والفكرية من أهمها:

- * قضايانا على ضوء الإسلام.
- * خطوات على طريق الإسلام.
- * أسلوب الدعوة في القرآن.
- * الإسلام ومنطق القوة.
- * الحوار في القرآن.
- * تأملات في آفاق الإمام موسى الكاظم (ع)
- * في رحاب دعاء كميل (١).

(١) دعاء مشهور عند الشيعة يقول عنه عباس القمي في «مفاتيح الجنان»: وهو من الدعوات المعروفة، وقد علمه أمير المؤمنين كميلاً، وهو من خواص أصحابه. ويُدعى به في ليلة النصف من شعبان، وليلة الجمعة، ويرون أنه يُجدي في كفاية شر الأعداء، وفي فتح باب الرزق، وفي غفران الذنوب.
انظر: مفاتيح الجنان، عباس رضا القمي ١٠٦، دار الرسول الأكرم، ودار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

- * تأملات فى الفكر السياسى الإسلامى.
- * فى آفاق الحوار الإسلامى المسيحى.
- * دنيا المرأة.
- * دنيا الشباب.
- * فقه الحياة.
- * تأملات إسلامية حول المرأة.
- * من عرفان القرآن.
- * للإنسان والحياة.
- * الجمعة منبر ومحراب.
- * صلاة الجمعة الكلمة والموقف.
- * المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية.
- * صراع الإرادات.
- * تحدّي الممنوع.
- * حوارات فى الفكر والسياسة والاجتماع.
- * قضايا إسلامية معاصرة.
- * الزهراء نموذج المرأة العالمى.
- * الحركة الإسلامية هموم وقضايا.
- * على شاطئ الوجدان (ديوان شعر)
- * قصائد للإسلام والحياة (شعر)

- * المشروع الحضارى الإسلامى.
- * يا ظلال الإسلام (شعر).
- * حديث عاشوراء.
- * من وحي عاشوراء.
- * مع الحكمة فى خط الإسلام.
- * الإسلاميون والتحديات المعاصرة.
- * من أجل الإسلام.
- * المقاومة الإسلامية؛ آفاق وتطلعات.
- * الإسلام وفلسطين.
- * الهجرة والاعتراب.
- * قراءة جديدة لفقهاء المرأة الحقوقى
- * على طريق كربلاء.
- * الحج حركة وعبادة وسياسة.
- * آفاق الروح جزاءن.
- * أحاديث فى قضايا الاختلاف والوحدة.
- * الفقيه والأمة ()

(١) للمزيد من ترجمته انظر: سيرته الذاتية على الموقع الشخصى:

أهم آرائه الإصلاحية:

لم يناقش فضل الله أصول مذهب الشيعة لكنه تكلم في بعض المسائل المؤثرة في المذهب، وقد ثارت ضجة شديدة حول بعض هذه الآراء، وكان أبرزها ما يلي:

١- نفي القول بتحريف القرآن:

يصرح فضل الله في أكثر من موطن بنفي التحريف عن القرآن الكريم وسلامته من الزيادة والنقصان، حتى وإن وردت بعض الروايات التي تقول بذلك عند بعض الشيعة فإنه يعتبرها آراء شاذة لا قيمة لها ولا يُعول عليها.

يقول: «الشيعة يؤكدون أن القرآن هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويجمعون على ذلك ما عدا بعض الأشخاص من أصحاب الآراء الشاذة ممن يقولون بتحريف القرآن»^(١).

ويرد على القول بأن الإمام علياً عليه السلام كان يحتفظ بمصحف ولم يخرج منه من باب التقية، وأن القرآن الحقيقي محفوظ عند الأئمة لا يعلمه غيرهم بقوله:

«والحديث عن وجود مصحف آخر عند أهلنا (الأئمة) لا يثبت أمام النقد لأن مسألة القرآن من المسائل التي لا تحتمل التقية لا سيما من أمير المؤمنين عليه السلام فليس من الطبيعي ألا يعمل بكل ما عنده من طاقة لإخراج القرآن إلى الناس والدفاع عن أية شبهة لا سيما أيام خلافته»^(٢).

وينتهي إلى نتيجة مؤداها أن من يتعمد القول بتحريف القرآن وأنه تعرض للزيادة أو النقصان إنما يسير في خط الكفر^(٣).

(١) حوار مع صحيفة اللواء اللبنانية بتاريخ ١٤/١٠/١٤٢٩ هـ الموافق ١٣/١/٢٠٠٨ م.

(٢) آفاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية، ١/٣١٩. دار الملاك - بيروت، الطبعة الأولى. ١٤٢٠ هـ.

(٣) حوار مع صحيفة عكاظ السعودية، العدد رقم: ٢٤٦١ بتاريخ ١٣/٣/٢٠٠٨ م، ٥/٣/١٤٢٩ هـ.

٢- تصحيح العبادة:

يعد هذا الجانب من أكثر الجوانب إهمالا عند الشيعة لكن السيد فضل الله يركز على توحيد العبادة وصرفها إلى الله تعالى وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادات إلى غير الله عز وجل، ويبين خطأ كثير من الممارسات الشيعية تجاه الأئمة والأولياء وخاصة في مسألة زيارة القبور وما يحدث عندها من أمور شركية بعيدة عن التوحيد الخالص.

يقول: «المشكلة التي تثير الجدل الفكري في المسألة التوحيدية في هذا المجال ليست مشكلة المبدأ في الزيارة للقبور بل هي مشكلة الممارسات التي تتحول فيها المسألة إلى ما يشبه الطقوس العبادية للقبور ولصاحبه بحيث يغفل الإنسان عن الله ليستغرق في الشخص ليكون السؤال له والطلب منه والخضوع له والسجود له - ولو من ناحية الشكل - مما يبعث في الذهن بعض الإيحاءات الغريبة عن وحي التوحيد الإلهي»^(١).

وهكذا فإن الممارسات التي تحدث من الشيعة عند قبور الأئمة والأولياء إنما تنقض حقيقة التوحيد الذي أمر به المولى تبارك وتعالى في كتابه الكريم.

٣- رفض الولاية التكوينية:

ينفي السيد فضل الله مسألة الولاية التكوينية للأئمة نفياً تاماً، ويرفض آراء القائلين بها من الشيعة.

يقول: «نحن في بحثنا العلمي والكلامي ننكر كل ما يتحدث عنه في بعض الأبحاث من القول بالولاية التكوينية للأئمة أو ما إلى ذلك، فنحن نعظمهم

(١) آفاق الروح ١/ ٦٠٨، ٦٠٩.

ونحترمهم ولكننا نرفض الغلو فيهم، ونعتبر أن الغلو كفر وشرك»^(١).

ويحتج على نفي الولاية التكوينية بأدلة كثيرة منها القرآن الكريم الذي ينفي أن يكون من مهمات الرسل أو الأنبياء شيء من هذا القبيل.

يقول: «وهكذا نرى أنه لا دليل على الولاية التكوينية في النص القرآني، بل ربّما نجد الدليل على خلافها من خلال الآيات التي تدل على أن النبي لا يملك شيئاً من ذلك كله، وأن مهمته الأولى والأخيرة هي الرسالة في حركتها في الإبلاغ والتبشير والإنذار وهداية الناس إلى سُبُل السَّلام في الطريق إلى الله، بل إنَّ القرآن يؤكِّد وجود عناصر الضعف البشري في ذات الرسول، ولكن في المستوى الذي لا يُنافي العصمة،

فتقرأ في سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ خَيْلٍ وَعَنْبٍ فَفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا نَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيَلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفْيَاكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ. قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣] فنحن نلاحظ أن النبي ﷺ لم يتحدث عن رفضه للمعجزات الاقتراحية التي يوجهها النَّاس الكافرون للأنبياء كوسيلة للتحدي والتعجيز مما يرفضه الأنبياء، لأنَّ مهمة النبي ليست هي إشغال نفسه بتنفيذ هذه الطلبات التي لا معنى لها بعد إقامة الحجَّة عليهم من قبله، بل تحدَّث عن أنَّ ذلك لا يدخل في مهمته الرسالية، كما أنَّه لا يملك هذه القدرة باعتبار بشريته التي تختزن في داخلها الضعف البشري»^(٢).

(١) حوار مع مجلة الأهرام العربي، عدد رقم ٥٢٠ بتاريخ ١٠/٣/٢٠٠٧م.

(٢) تفسير من وحي القرآن، سورة آل عمران الآيات ٤٨-٤٩.

وينفيها أيضا من خلال النظر في سيرة الرسل وكيف أن هذه الولاية المزعومة لم تكن في وقت من الأوقات عامل حماية أو نصرة في وقت الحاجة، فلا حاجة لها في الحقيقة.

«ما معنى هذه الولاية التي لا أثر لها في حياتهم من قريب أو من بعيد ولا دخل لها في حماية رسالتهم فلم يستعملوها في إذهاب الخطر عنهم، ولم يتحركوا بها في الانتصار لرسالاتهم؛ وذلك من خلال قراءة تاريخهم الصحيح كله»^(١).

٤- نفي الشفاعة بالمفهوم الشيعي:

يقرر السيد فضل الله أن طريق الشفاعة الحقيقي إنما هو طاعة الله عز وجل، فما معنى التعلق بحب آل البيت مع البعد عن المولى والانهماك في المعاصي.

يقول: «طريق الحصول على شفاعة أولياء الله تكون بالتزام أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه وليس بأن يعصي المسلم ربه ثم يريد شفاعة الشافعين بمجرد حب علي بن أبي طالب أو غيره من الأولياء أو بتقديم النذور والذبائح لأضرحتهم»^(٢).

ويؤكد في أكثر من موضع في تفسيره (من وحي القرآن) عدم الحاجة لواسطة بين العبد وربّه، وأن الله تعالى قريب من عباده في كل أحوالهم، لا شيء يحجب العبد عن التوجه إلى ربه، ولا شيء يحول دون استجابة الدعاء من دون الله تعالى، وهذا هو التصور الصحيح للتوحيد عند المسلم^(٣).

(١) المرجع السابق.

(٢) في رحاب دعاء كميل ٩٣ دار الملاك، بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ.

(٣) تفسير من وحي القرآن، سورة الفاتحة.

٥- موقفه من الصحابة:

يؤكد فضل الله فى أكثر من موضع على وجوب احترام الصحابة رضوان الله عليهم وتقديرهم، وحرمة سبهم.

يقول: «نحن نحرم تحريما مطلقا الإساءة إلى الصحابة وسبهم، كما نحرم الإساءة إلى السيدة عائشة، نحن نرفض أي إساءة إلى الصحابة»^(١).

ويناقش بعض الروايات التي تسيء إلى الصحابة الكرام، ومنها رواية كسر ضلع الزهراء، وينبه إلى أنها غير معقولة^(٢).

هذه أهم الآراء التي حاول من خلالها السيد محمد حسين فضل الله أن يصحح بعض الأخطاء الواردة عند جمهور الشيعة مع احتفاظه بالقول بأصول المذهب من الإمامة والنص عليها، والمهدي وغيبته، والرجعة.



(١) حوار مع مجلة الأهرام العربى.

(٢) سبق الحديث عنها فى الباب الأول: فصل الموقف من الصحابة ١٠٣.

تعقيب

بعد هذا العرض لى بعض وقفات:

أولاً:

بمطالعة مناهج هذه الرموز يتضح التشابه فى الأفكار والاتحاد فى الرؤى وإن تعددت الأساليب فى ذلك، فالبعض يركز على أكثر أصول المذهب ويحاول نقضها، والبعض يركز على بعض المسائل والمفردات فى المذهب الاثنا عشرى. لكن يجمع الكل الاتفاق على ضرورة إصلاح الخلل الحادث فى مذهب الشيعة والعودة بالتشيع إلى بداياته الأولى التى نشأ عليها الشيعة الأوائل والتى يمكن القول بأنها مقبولة بالنظر إلى ما حدث بعدها من تطورات.

ثانياً:

أن ما يجمع أفراد هذا التيار هو أمل تميل إليه القلوب وتهفو إليه النفوس ألا وهو أمل الوحدة الإسلامية وتذويب الفوارق بين الطوائف المتخالفة، فالكل يقرر أن هدفه من دراسته أو نقده للآراء الشيعة الغالية إنما هو التقريب الحقيقى مع أهل السنة جمعاً للكلمة وتوحيداً للصف، وقد سعوا فى ذلك جاهدين إلى تحقيقه فى آرائهم قدر المستطاع.

ثالثاً:

أن أساليب نقد رموز التيار الإصلاحى لمظاهر الخلل فى مذهب الشيعة متنوعة، فبعضهم يتبنى الأسلوب العلمى القائم على الإقناع وبسط الدليل البعيد عن العاطفة، والبعض يعتمد على مهاجمة الواقع الشيعى مهاجمة عنيفة لىبين فساد الآراء التى يعتنقها جمهور الشيعة وأنها لا صلة لها بالتشيع الحقيقى.

ومن ناحية أخرى فإن بعض رموز التيار الإصلاحي يعتمد على القرآن في عرض آرائه واستشهاداته كالبرقعي مثلاً، والبعض يعتمد على التاريخ في بيان فساد الصورة الشيعية الحالية كأحمد الكاتب، في حين يعتمد بعضهم على بيان التشيع الصحيح الذي كان سائداً في العهد الأول ويقارن بينه وبين واقع الشيعة ليبين مدى المخالفات التي وقع فيها الشيعة كما صنع موسى الموسوي.

رابعاً:

ليس المقصد من عرض هذه الشخصيات وآرائها بيان أن بعضهم ترك التشيع واعتنق مذهب أهل السنة وأن البعض يحاول إصلاح المذهب من الداخل، وإنما المقصد الحقيقي بيان أن هذه الرموز ذات عقل راجح لا يقف عند الموروثات الفكرية ويتقبلها دون دراسة وتمحيص ودون أن يخضعها للنقد والفحص، فإنهم عندما رأوا خلافاً في المذهب سارعوا إلى بيانه وعرضه على الميزان النقدي الشرعي الصحيح دون أن يكون المقصد الأصلي ترك مذهب الشيعة على العموم، ولذلك فإن بعض هؤلاء الأفراد أدى بهم اجتهادهم إلى ترك مذهب الشيعة على الإطلاق والبعض يردد أن التشيع الحقيقي صحيح وهو تشيع أئمة أهل البيت وأنه لا خلاف بينه وبين مذهب أهل السنة، وأن الخلاف إنما نشأ من أمور دخيلة على التشيع ولا صلة لها بأراء أئمة أهل البيت.

ولذلك فإنه لا يعيننا التحاق بعضهم بمذهب أهل السنة، وإنما الذي يعيننا في ذلك هو اجتهادهم في طلب الحق وتصحيح المسار.

خامساً:

أكثر رموز التيار الإصلاحي عنوا أول ما عنوا بالتأصيل العلمي لآرائهم وإيداعها في مؤلفات تطرح هذه الآراء دون أن يهتموا كثيراً بمحاولة نشرها بين الناس وإقناعهم بها.

ويمتاز هذا الاتجاه بأن الأفكار فى هذه الحالة تكون علمية مُستدلا عليها مع بسط المسألة والرد على ما يمكن أن يثار من اعتراضات حولها.

لكن يبقى أن هذه الآراء تظل حبيسة طائفة من المثقفين يتناقلونها فيما بينهم دون أن يكون لها صدئ شعبي بين الناس، وفى هذه الحالة فإن تحقق هذه الآراء وإيمان جمهور الشيعة بها يظل أمرا بعيدا حيث تتسع الهوة بين التأصيل العلمى وبين صدئ هذه الآراء فى الواقع الشيعى.

سادسا:

بالنظر فى التوزيع الجغرافى للإصلاحيين الوارد ذكرهم نجد أنهم من أقطار متنوعة، حسب تواجد الشيعة فى هذه الأقطار، فبعضهم من إيران حيث الدولة الشيعية التى ترفع راية المذهب الشيعى، وبعضهم من دول يمثل الشيعة فيها فرقة قوية لها حضور طاغ فى الدولة مثل الشيعة فى لبنان، وبعضهم من دول يمثل الشيعة فيها أقلية بالنسبة إلى أهل السنة وإن كانت أقلية قوية كالعراق.

ودلالة ذلك واضحة فى أن الإصلاح الشيعى تيار عام، لا يرتبط بقطر من الأقطار دون آخر، ولا يتأثر بموقف الشيعة أو حجمهم فى بلد ما، وإنما يتعدئ ذلك ليكون تيارا عاما يؤثر فى عموم جمهور الشيعة حول العالم الإسلامى دون استثناء.



الباب الثالث
دراسة عن الاتجاه الإصلاحی
فی العصر الحديث

ويشتمل على ستة فصول:

الفصل الأول : جذور الإصلاح في صفوف الشيعة.

الفصل الثاني : عوامل الإصلاح.

الفصل الثالث : بين الإصلاح والتقريب.

الفصل الرابع : موقف الشيعة من الاتجاه الإصلاحی.

الفصل الخامس : موقف أهل السنة من الاتجاه الإصلاحی.

الفصل السادس : عوامل نجاح الاتجاه الإصلاحی.

الفصل الأول

جدور الإصلاح في صفوف الشيعة

سبق القول إن بداية التشيع كانت لا تعني سوى مناصرة علي عليه السلام في زمن الفتنة واعتقاد أفضليته، وهو أمر مقبول في الجملة، ثم حدث الغلو في التشيع بدخول بعض العناصر الأجنبية، واعتقاد بعض الأفكار والمعتقدات التي خرجت بالتشيع عن مفهومه الأول.

لكن هذه الأفكار الخاطئة كانت تُقابل بتصحيح من قبل أئمة الشيعة منذ نشأتها حتى العصر الحاضر، ويمكن القول بأن تيار الإصلاح -أو بمعنى أدق أفكار الإصلاح- وُجدت مع وجود الأفكار الغالية عند الشيعة، حتى إن أول من نادى بتصحيح هذه الأفكار علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكلما ظهر فكر منحرف أو مفهوم فيه مغالاة عند الشيعة سارع الأئمة بتصحيح هذا المفهوم، وبيان وجه التشيع الحقيقي المقبول عند الأئمة.

وهذه بعض المواقف التي تبين تصحيح أهل البيت وأئمة الشيعة وعلمائها للغلو ومحاربة الغلاة والأفكار الدخيلة عبر العصور:

١- علي بن أبي طالب عليه السلام (ت ٤٠ هـ):

عندما رأى بعض الغلاة يرفعونه فوق منزلته نهى عن الغلو فيه وقال: «ياكم والغلو فينا، قولوا إنا عبيد مروبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم»^(١).

وينقض عليه السلام في خطبة له مفهوم العصمة الذي يصف به الشيعة أئمتهم مبينا أنه لا عصمة له، وأنه معرض للخطأ فيقول: «إني لست في نفسي بفوق ما أن أخطئ، ولا

(١) بحار الأنوار، المجلسي ٢٥ / ٢٧٠.

أمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى» (١).

ويبين في خطبة له أنه كان كارها للإمارة، راغبا عنها، وأنه قَبِلَ الخلافة عندما حملوه عليها، مما يدل على انتفاء النص عليه من الله تعالى.

يقول: «ألا وإن الله عالم من فوق سمائه وعرشه أني كنت كارها للولاية على أمة محمد صلى الله عليه وآله حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما وال ولي الأمر من بعدي أقيم على حد الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلا أنجاه الله بعدله وإن كان جائرا انتقض به الصراط حتى تتزائل مقاصله ثم يهوي إلى النار فيكون أول ما يتقيها به أنفه وحر وجهه» ولكني لما اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم» (٢).

ويبين ﷺ لأصحابه منزلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، وأنه لا يجوز لأحد أن يفضله عنهم فيقول: «لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلده حد المفترين» (٣).

وأشار ﷺ إلى أن بعض الناس سوف يغالي في محبته إلى حد الخروج عند الاعتدال فقال: «سيهلك في صنفان: محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس في حال النمط الأوسط

(١) الروضة من الكافي ٨/ ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٢) بحار الأنوار ٣٢/ ١٧.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ابن عبد البر ٣/ ٩٧٣ تحقيق/ علي محمد الجاوي. دار الجيل -

فألزموه والزموا السواد الأعظم فإن يد الله على الجماعة» (١).

ولذلك اتخذ موقفاً شديداً من الذين غالوا فيه ورفعوه فوق منزلته، وتذكر كتب الشيعة موقفه من عبد الله بن سبأ، فعن أبي جعفر أن عبد الله بن سبأ كان يدعى النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين هو الله - تعالى عن ذلك - فبلغ ذلك أمير المؤمنين فدعاه وسأله؟ فأقر بذلك وقال نعم أنت هو، وقد كان ألقى في روعي أنك أنت الله وأني نبي. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب، فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب، فأحرقه بالنار، وقال: إن الشيطان استهواه، فكان يأتيه ويلقى في روعه ذلك» (٢).

ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن عكرمة قال: أتني عليٌّ رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: «لو كنت أنا لم أحرقتهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا بعداب الله، ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه» (٣).

٢- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب:

ينهى شيعته عن المغالاة في محبة أهل البيت فيقول: «أيها الناس أحبونا حب الإسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا» (٤).

(١) انظر: شرح نهج البلاغة ٨/ ١١٢.

(٢) اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي ١/ ٣٢٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب «الجهاد والسير» باب «حكم المرتد والمرتدة» رقم ٢٧٩٤، وكتاب «استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم» باب «إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة» رقم ٦٤١١.

(٤) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المشهور بزین العابدين لفرط عبادته، ولد سنة ٣٨هـ بالكوفة، توفي سنة ٩٤هـ على الصحيح، أمه أم ولد اسمها سلامة، كان مع الإمام الحسين يوم قتل ابن ثلاث وعشرين سنة ونجا لمرضه، من أروع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله، دفن بالبقيع. البداية والنهاية ٩/ ١٠٣ - ١١٣، شذرات الذهب ١/ ١٠٤ - ١٠٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٠.

ولما ظهر عند الشيعة البراءة من أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتمادى بعضهم في سبه، بين لهم منزلة أبي بكر وفضله وأن محبته وتوليته قرابة إلى الله تعالى، فقد جاءه رجل فقال له: أخبرني عن أبي بكر، فقال له: عن الصديق تسأل؟ فقال: «وتسميه الصديق؟! قال: ثكلتك أمك قد سماه صديقا من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار، فمن لم يسمه صديقا فلا صدق الله قوله، اذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما فما كان من أمر ففي عنقي» (١).

وبين رضي الله عنه منزلة أبي بكر وعمر وعثمان في الإسلام، وثناء القرآن عليهم، ووجوب موالاتهم ومحبتهم، وأنهم من يتبرأ منهم ويقع فيهم بأنه ليس من الإسلام في شيء.

فعن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه قال: قدم المدينة قوم من أهل العراق فجلسوا إليّ فذكروا أبا بكر وعمر فسبوهما ثم ابتكروا في عثمان ابتراكا. فقلت لهم: أخبروني أنتم من المهاجرين الأولين الذين قال الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُصْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحشر: آية ٨] قالوا: لسنا منهم. قلت: فأنتم من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: آية ٩] قالوا: لسنا منهم. قلت لهم: أما أنتم فقد تبرأتم من الفريقين أن تكونوا منهم وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحشر: آية ١٠]

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٥، تاريخ دمشق ٤١/ ٣٨٩، تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٤.

قوموا عني، لا قَرَّبَ الله دوركم فإنكم مستترون بالإسلام ولستم من أهله»^(١).

٣- الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(٢):

يوجه الشيعة إلى أن محبه آل البيت إنما تكون في طاعة الله عز وجل، وأن قرابتهم من رسول الله ﷺ لا تنفعهم إن هم حادوا عن الحق، فيقول: «ويحكم أحبونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا، فلو كان الله نافعا أحدا بقرابته من رسول الله ﷺ بغير طاعة لنتفع بذلك أباه وأمه، قولوا فينا الحق فإنه أبلغ ما تريدون ونحن نرضى به منكم»^(٣).

وعندما يظهر القول بالتعيين والنص على خلافة علي^(٤) يبين لهم أن النصوص الواردة لا تؤيد هذا القول، وأن الشيعة يحملون النصوص على غير الوجه المراد منها. يسأله بعضهم: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ فقال: بلى، ولكن والله لم يعن رسول الله ﷺ بذلك الإمارة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم بذلك، فإن رسول الله ﷺ كان أفصح للمسلمين لقال: يأيها الناس هذا ولي أمري والقائم عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا، والله لئن كان الله ورسوله اختار عليا لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده ثم ترك علي أمر الله ورسوله لكان علي أول من ترك أمر الله وأمر رسوله»^(٥).

(١) تهذيب الكمال ٢٠ / ٣٩٤ - ٣٩٥.

(٢) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد الهاشمي، توفي سنة ٩٩هـ، كان يشبه رسول الله ﷺ، ولي أمر الصدقات لعلي بن أبي طالب، كان أهل العراق يمنونه الإمارة مع أنه كان يبغضهم، توفي وله خمس وثلاثون سنة. البداية والنهاية ٩ / ١٧٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٨٦، الوافي بالوفيات ١١ / ٣١٩.

(٤) تهذيب الكمال ٦ / ٨٧، تاريخ دمشق ٣ / ٦٩.

٤ - عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(١):

عند ظهور القول بالوصية، وأن الإمامة في أعقاب الإمام علي من ولده الحسين رضي الله عنهم، صحَّح هذا المفهوم لدى الشيعة، وبين أن من يدعي ذلك إنما يتقول على أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم.

عن الفضيل بن مرزوق قال: سألت عمر بن علي وحسين بن علي عمي جعفر بن محمد قلت: فيكم إنسان من أهل البيت مفترضة طاعته تعرفون له ذلك ومن لم يعرف له ذلك فمات ميتة جاهلية؟ فقالوا: لا والله ما هذا فينا، من قال هذا فينا فهو كذاب. قال: فقلت لعمر بن علي: رحمتك الله إن هذه منزلة، إنهم يزعمون أن النبي ﷺ أوصى إلى علي، وأن عليا أوصى إلى الحسن، وأن الحسن أوصى إلى الحسين، وأن الحسين أوصى إلى ابنه علي بن الحسين، وأن علي بن الحسين أوصى إلى ابنه محمد بن علي. فقال: والله لقد مات أبي فما أوصى بحرفين. ما لهم قاتلهم الله، والله إن هؤلاء إلا متآكلون بنا^(٢).

٥ - محمد بن علي بن الحسين بن علي أبو جعفر الباقر^(٣):

يؤكد أبو جعفر الباقر على تولية آل البيت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعلى براءته ممن يعاديهما، ووقوفه في وجه من يتكلم عنهما بسوء حتى يهدد بالقتل إن أمكنه ذلك.

(١) عمر بن علي بن الحسين بن أبي طالب الهاشمي المدني الأصغر تمييزاً له عن عمر بن علي بن أبي طالب الملقب بالهاشمي الأكبر، كان كثير العبادة والاجتهاد، وكان أخوه أبو جعفر يكرمه ويرفع من منزلته. الثقات لابن حبان ٧/ ١٨٠، تهذيب الكمال ٢١/ ٤٦٦، تهذيب التهذيب ٧/ ٤٢٦.

(٢) تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٥-٣٩٦.

(٣) الإمام أبو جعفر الباقر، أمه بنت الحسن بن علي، ولد سنة ٥٦هـ، مات سنة ١١٤هـ، اشتهر بالباقر من بقر العلم أي: شقّه ليعرف أصله، جمع بين العلم والعمل، وهو خامس الأئمة المعصومين عند الشيعة. سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١، شذرات الذهب ١/ ١٤٣، البداية والنهاية ٩/ ٣٣٨.

عن جابر الجعفي قال: قال لي محمد بن علي الباقر: يا جابر بلغني أن قوما بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر ويزعمون أني أمرتهم بذلك فأبلغهم أني إلى الله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده - يعني نفسه - لو وُلّيت لتقربت إلى الله بدمائهم ولا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما، فأبلغهم أني بريء منهم وممن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال: من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السنة» (١).

وعن عروة بن عبد الله: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف فقال: لا بأس به، قد حلّى أبو بكر الصديق سيفه. قال: قلت: وتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة ثم قال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة (٢).

ولما ظهر القول بالرجعة نفى رضي الله عنه أن يكون أحد من أهل البيت من القائلين بها أو الداعين إليها، فعن جابر قال: قلت لمحمد بن علي: «أكان منكم أهل البيت أحد يقر بالرجعة؟ قال: لا. قلت: أكان منكم أهل البيت أحد يسب أبا بكر وعمر؟ قال: لا، فأحبهما وتولهما واستغفر لهما» (٣).

٦ - جعفر بن محمد بن علي بن الحسين (الصادق) (٤):

عندما ظهر القول بإمامة جعفر الصادق رضي الله عنه وعصمته تصدى لهذا القول وأبطله

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣٤٠، تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٨٦، المنتظم ٧/ ١٦٢، حلية الأولياء ٣/ ١٨٥.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٣٤٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٢١.

(٤) أحد السادة الأعلام وابن بنت القاسم بن محمد وأم أمه هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر

فلذلك كان يقول: ولدي أبو بكر الصديق مرتين، ولد سنة ٨٠ هـ، مات سنة ١٤٨ هـ، ورأى بعض

الصحابة، كان كثير العلم. سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥، تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٥.

وبين أنه لا يرى ذلك ولم يأمر به، لما جاءه وفد من شيعة الكوفة فسألوه: يا أبا عبد الله إن أناسا يأتوننا يزعمون أن فيكم أهل البيت إمام مفترض الطاعة؟ فقال لهم: لا، ما أعرف ذلك في أهل بيتي. فقالوا: يا أبا عبد الله إنهم أصحاب تشمير، وأصحاب خلوة، وأصحاب ورع، وهم يزعمون أنك أنت هو. فقال: هم أعلم وما قالوا، ما أمرتهم بهذا» (١).

ويتبرأ ﷺ من القول بالعصمة، مبينا أنه عبد من عباد الله، لا تنفعه قرابته من رسول الله ﷺ شيئا، وأنه سيحاسب كما يحاسب سائر الناس فيقول: «فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، وما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رُحِمنا فبرحمته، وإن عُذِبنا فبذنوبنا، والله مالنا على الله حجة ولا معنا من براءة، وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسئولون، ويلهم مالهم لعنهم الله فقد آذوا الله وآذوا رسوله في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي صلوات الله عليهم، أشهدكم أي امرؤ ولدني رسول الله وما معي براءة من الله إن أظعته رحماني وإن عصيته عذابي شديدا» (٢).

ولا يكتفي بهذا النفي، وإنما يجتهد ﷺ في أن يصل رأيه في العصمة والإمامة وموقفه من أبي بكر وعمر إلى أهل العراق جميعا ولا يكتفي بإجابة السائلين، بل يذهب ليبلغ رأيه للجميع، فعن عبد الجبار بن العباس الهمداني أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة فقال: إنكم إن شاء الله من صالح أهل مصركم فأبلغوهم عني: من زعم أنني إمام معصوم مفترض الطاعة فأنا منه بريء، ومن

(١) بصائر الدرجات الكبرى، محمد بن حسن الصفار ١٩٥-١٩٦. تقديم وتعليق وتصحيح العلامة

الحجة الحاج ميرزا الحسن، منشورات الأعلمي - طهران ١٤٠٤ هـ.

(٢) رجال الكشي ٢٢٥، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر فأنا منه بريء» (١).

ويتبرأ ﷺ من إشاعة القول بأنه يعلم الغيب، ويضرب لهم مثلاً على ذلك قائلاً: «يا عجبا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، والله لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي» (٢).

ويبين منزلة أبي بكر وعمر ﷺ، ومعرفة أهل البيت لقدرهما ومكانتهما بين الصحابة.

عن عمرو بن قيس الملائي قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: بريء الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر» (٣).

وعن زهير بن معاوية قال: قال أبي لجعفر بن محمد إن لي جاراً يزعم أنك تبرأ من أبي بكر وعمر. قال جعفر: بريء الله من جارك. والله إنني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر، وقال ابن عيينة: حدثونا عن جعفر بن محمد ولم أسمع منه، قال: كان آل أبي بكر يدعون عليّ عهد رسول الله ﷺ آل رسول الله ﷺ» (٤).

٧- شريك بن عبد الله:

يبين ﷺ أن من أصول التشيع تفضيل أبي بكر وعمر عليّ رضي الله عنهم أجمعين، وأن من لم يقل بذلك فإنه يعد مخالفاً للشريعة الأوائل، بل مخالفاً لعلي بن أبي طالب الذي كان يعتقد ذلك.

سأل سائل شريك بن عبد الله: أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر.

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٢٥٩، تهذيب الكمال ٥/٨٢.

(٢) الكافي ١/٢٥٧ باب «نادر فيه ذكر الغيب».

(٣) تهذيب الكمال ٥/٨٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ٦/٢٥٨.

فقال السائل: تقول هذا وأنت شيعي! فقال له: نعم، من لم يقل هذا فليس شيعيا، والله لقد رقي هذه الأعواد عليا فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. فكيف نرد قوله؟! وكيف نكذبه؟! والله ما كان كذابا»^(١).

٨- الشيخ محمد بهاء الدين العاملي البهائي^(٢):

اقترب الشيخ بهاء العاملي بالتشيع من المفهوم الأول، وحارب الغلو والغلاة كي يعود التشيع إلى نقائه الذي كان عليه في الصدر الأول، حتى يُروى: «أن أهل السنة يعتبرونه سنيا، والشيعية يعتبرونه شيعيا، ومصدر هذا الخلط أنه كان مقبولا من الطرفين، طعن عليه التشيع الصفوي بالقول بالتصوف، وطعن عليه بأن له بعض الاعتقادات الضعيفة»^(٣).

٩- نادر شاة^(٤) (ت ١١٦٠هـ ١٧٤٧م):

تعد محاولة نادر شاة (الشاه الإيراني) لتصحيح التشيع من أبرز المحاولات التي جرت من ناحية النتائج التي توصلت إليها، وقد كان نادر شاة شيعيا.

(١) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية ١/١٣، ١٤، تحقيق د/ محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٢) محمد بهاء الدين بن الحسين بن عبد الصمد العاملي المعروف بالشيخ البهائي، ولد سنة ٩٥٣هـ، توفي سنة ١٠٣٠هـ في بعلبك بلبنان، أقام في أصفهان ودرس فيها، عُيّن في أواخر حياته في منصب شيخ الإسلام في أصفهان حتى توفي، له أكثر من ثمانين مؤلفا منها: العروة الوثقى في تفسير القرآن، الحبل المتين في أحكام الدين. أعيان الشيعة ٩/ ٢٣٤ وما بعدها.

(٣) التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، محمد البنداري ٦٧ دار عمار- الأردن، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٤) نادر أفشار (التركماني) قائد عسكري بارز لآخر الشاهات الصفويين، كان له الفضل في حركة المقاومة العسكرية لتحرير إيران من الاحتلال الأفغاني، وبعد نجاحه انتهى به الأمر إلى أن نصب نفسه شاه سنة ١٧٣٦م، وأخذ اسم نادر شاة، قتل على يد أحد قواده سنة ١٧٤٧م. أعيان الشيعة ٩/ ١٩٩.

يقول الشيخ رسول جعفرىان: « لم تكن لنادر أى خلفيات سنّية ولم يسبق له عهد بالتسنن، ليس هذا فحسب، وإنما هناك قرائن كثيرة تشير إلى أنه وحتى عام ١١٤٨هـ كان متمسكا بالتشيع مؤمنا به إيمانا تاما، ففي هذه الفترة أى الأعوام التي سبقت عام ١١٤٨هـ علاوة على قيامه بحملة إعمار شاملة للعتبات المقدسة قام نادر بضرب سكة باسم الإمام الرضا»^(١).

وقد قام نادر شاة بجمع مجتهدى الشيعة من الإيرانيين وعلماء النجف يوم الخميس الخامس والعشرين من شوال عام ١١٥٦هـ بحضور علماء أهل السنة والجماعة وهو ما سُمى بمؤتمر النجف.

وقد ذكر الشيخ محب الدين الخطيب ملخصا لمؤتمر النجف ملحقا بكتابه (الخطوط العريضة)، وقد قرر المؤتمر ما يلى:

- ١- أن الصحابة كلهم عدول رضى الله عنهم.
- ٢- أن أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليهم أبو بكر الصديق، ثم عمر ابن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين، وأن خلافتهم على هذا الترتيب.
- ٣- تحريم المتعة، وقالوا: لا يقبلها إلا السفهاء منا.
- ٤- الاتفاق على ألا يحلوا حراما معلوما من الدين بالضرورة وحرمة مجمع عليها، ولا يحرموا حراما مجمعا عليه بالضرورة.
- ٥- منع سب الشيخين على المنابر.

(١) نادر شاة ومشروع التقريب المذهبي. الشيخ رسول جعفرىان. مقال ضمن مجلة نصوص معاصرة.

٦ - التوقيع على ما سبق، ومصادقة جميع الحضور على ذلك (١).

وكانت هذه أول محاولة إصلاحية تجمع بين علماء الشيعة وعلماء السنة، وقد انتهت بتصحيح الشيعة لآرائهم وإعلانهم التخلي عنها.

وعن هذا المؤتمر يقول الشيخ رسول جعفریان: «إن هذا المؤتمر حدد التشيع وحصره ضمن الدائرة الفقهية، وجعله مذهباً فقهياً مستقلاً تحت اسم المذهب الجعفري، من وجهة نظره على المسلمين أن يتفقوا في سائر الأصول الإسلامية، واختلافهم إنما يكون في المجال الفقهي فقط، ومنذ هذه اللحظة بات التشيع مذهباً فقهياً فحسب على غرار المذاهب السنية الأربعة يحمل اسم المذهب الجعفري» (٢).

وعلى هذا يمكن القول بأن تصحيح الأفكار الغالية والمنحرفة لدى الشيعة لم يكن وليد العصر الحديث، وإنما هو ممتد منذ نشأة المذهب الشيعي، أو بالأحرى منذ بدأ دخول الأفكار الغالية على عهد علي بن أبي طالب عليه السلام، فالأفكار الإصلاحية التي عرضت لها في هذا البحث إنما هي امتداد للإصلاح الذي بدأ مع بداية الانحراف داخل المذهب الشيعي.



(١) انظر: مؤتمر النجف الذي انتهى بخضوع مجتهدي الشيعة لإمامة أبي بكر. ملحق بالخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، محب الدين الخطيب ٨٩ - ٩٤، دار عمار - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

(٢) مقال: نادر شاة ومشروع التقريب المذهبي. الشيخ رسول جعفریان. ضمن مجلة نصوص معاصرة.

الفصل الثانى

عوامل الإصلاح فى العصر الحديث

إن أكثر ما يميز فردا عن غيره إنما هو آراؤه ومعتقداته التى تتكون وتتأصل فى نفسه، وكلما زاد اقتناعه بها وتأصيله لها زاد تمسكه بها، ودفاعه عنها، ورد الشبه التى توجه إليها، وإذا وصل إلى هذه الحال لا يبقى سبيل إلى نقض تلك المعتقدات لديه أو محاولة المساس بها، فقد باتت جزءا من شخصيته التى لا يستطيع أن يتنازل عنها، وتزداد هذه الصعوبة إذا كان الأمر خاصا بمعتقدات دينية درج عليها، ونشأ على اليقين بها -صحيحة كانت أو باطلة- لأنها فى هذه الحال تتعلق بالإيمان وسبيل النجاة فى الدنيا والآخرة.

لكن فى المقابل لا يتوقف المرء عن اكتساب معارف جديدة، ويبحث دائما عن الأفضل والأصوب، وأصحاب العقول الحرة دائما ما يراجعون أنفسهم، ويعرضونها للنقد الذاتى الذى يكفل لهم تصويب مسارهم وتصحيح أخطائهم، نعم قد يكون ذلك ميسورا فى المعارف العامة، أما فى العقيدة الدينية التى يعتنقها ويؤمن بها فإنه يصبح من الصعوبة بمكان.

ولذلك لا بد من عوامل تدفعه إلى مراجعة النفس، وتصويب خطئها، ولا بد أن تكون هذه العوامل من القوة بمكان الأمر الذى يكفل لهذا التصحيح أن يسير منضبطا، فلا تطفئ عليه الأهواء، ولا العادات التى ألفها المرء.

وكثير من علماء الشيعة -قديما وحديثا- راجعوا مذهبهم حتى فى أصوله، وعرضوه للنقد الذاتى لمحاولة الوصول إلى الحقيقة التى باتت تشغلهم، وقد دفعهم إلى ذلك عوامل عدة جعلتهم يخوضون غمار هذه المحاولة بدأب وإصرار رغم ما يكتنفها من صعوبات ومشاق.

وسوف أعرض أبرز العوامل التي ساعدت على ظهور التيار الإصلاحية في العصر الحديث من خلال استقراء كتاباتهم وأقوالهم وتعليقهم على هذه العوامل التي يمكن تصنيفها كالتالي:

أولاً: القرآن الكريم:

القرآن الكريم سبب كل هداية كما قال الله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة: آية ٢]، لأنه يمد المرء بالتصور الصحيح للحياة والمعتقد الذي يجب أن يكون عليه، ولذلك عندما يلحظ المتأمل مناقضة بين معتقده وبين كتاب الله تعالى تتولد لديه الرغبة في مراجعة أصول مذهبه، وهذا ما قرره الخوئيني في قوله: «كنت أجد فراغاً في الوقت ساعدني على المطالعة والبحث والتأليف والتدبر في كتاب الله، فتبين لي أنني وجميع علماء مذهبنا غارقون في الخرافات، وغافلون عن كتاب الله، وتخالف آراؤهم صريح القرآن وتعارضه، وبركة التدبر لكتاب الله صحت قليلاً قليلاً، وفهمت أن الروحانية (مشايخ الطائفة) وأهل الطوائف بدلوا الإسلام، ونبذوا الإسلام الأصيل باسم المذهب»^(١).

إذن فبداية الصحوة تكون بالنظر في القرآن الكريم، واستمداد العقائد والمبادئ منه، والرجوع إليه في فهم أسس المذهب ومبادئه، وهو ما كان عليه الأئمة.

يقول محمد الياسري: «الأصل في معرفة الإسلام هو القرآن، فهو المرجع الأساس، والمصدر الأصيل الذي لا يحتاج في المسائل الأساسية إلى تعقيب أو شرح أو تفصيل، والأئمة عليهم السلام كانوا يرجعون إلى القرآن في معرفة الدين أصولاً وفروعاً، فليس أحد من الخلق في غنى عن ذلك»^(٢).

(١) كسر الصنم. آية الله العظمى أبو الفضل البرقي ٣٩٠.

(٢) المرجعية القرآنية محمد الياسري المقدمة ٤.

وبما أن الأئمة كانوا يرجعون إلى كتاب الله تعالى، فلا بد أن طريقتهم ومذهبهم مستمد منه، لا خلاف بينهم فى ذلك، فمعرفة حال الأئمة تكون بالرجوع إلى كتاب الله.

«بما أن الأئمة عليهم السلام والقرآن الكريم لا يختلفان، إذن فلنفهم الإسلام ولنفهم ما عليه الأئمة عليهم السلام من خلال القرآن، لأنه المصدر الموثوق الوحيد الذى لا يتطرق إليه الشك»^(١).

ولذلك يقرر الخوئى صراحة أن القرآن الكريم سبب هدايته فىقول: «اهتديت بسبب القرآن والإسلام، وفهمت معانى آيات القرآن والإسلام»^(٢).

ولهذا كان رواد التصحيح يكثرون من الاستدلال بالقرآن الكريم على تقرير أصول العقيدة، وإبطال أصول المذهب المنحرف، فأية الله العظمى أبو الفضل البرقى يكثّر من إيراد الآيات القرآنية فى (كسر الصنم)^(٣)، والخوئى له كتاب أسماه: (الموسوعة القرآنية)، وكذلك محمد الياصرى له: (المرجعية القرآنية).

فجل اعتمادهم على القرآن الكريم فى مراجعة مذهبهم، واعتمادهم عليه فى تقرير أصول المذهب الحق، ولهذا يبين الخوئى أن سبب الهداية القرآن الكريم، وأن سبب ضلال الضالين وانحراف المنحرفين فى مذهب الشيعة إنما هو بعدهم عن القرآن الكريم والتدبر فيه.

يقول: «بعد خمسين سنة من البحث والمطالعة ومعرفة الإسلام والبحث فى مختلف المذاهب الفلسفية والعرفانية وأفكار الغلاة ومختلف المذاهب وصلت إلى

(١) المرجعية القرآنية محمد الياصرى المقدمة ٦.

(٢) الموسوعة القرآنية. الخوئى.

(٣) انظر: ٣١، ٣٥، ٦، وغيرهم كثير.

هذه النتيجة: أن حقيقة الدين هو القرآن الكريم، فإن القرآن يدعونا مرارا إلى قراءته والتدبر والتفكير فيه، وسبب كل هذا الضلال والحيرة والبعد العام عن حقائق القرآن هو عدم قراءة القرآن والتدبر فيه، وعدم معرفة نظرة القرآن إلى الكون والحياة^(١).

ثانيا: مطالعة كتب المذهب:

إن الاطلاع والغوص في بطون الكتب عامل مهم في تغيير قناعات شخص ما، وقد كان دعاة التصحيح في المذهب الشيعي يكثرون من الاطلاع على المصادر الشيعية وكتب المذهب.

فالاطلاع على كتب المذهب ومصادره الأصلية يظهر للقارئ بعض الحقائق الخفية عن المذهب وأئمة وأصوله وقواعده، هذه المراجعة تجعل صاحبها يعيد النظر في كثير من المسلمات المذهبية.

يقول أحمد الكاتب: «قمت بنقد الولاية المطلقة، وقد جرتي البحث إلى تلك الموضوعات عن غير قصد، كانت الفكرة تجرتي إلى فكرة أخرى إلى أن اصطدمت بمعلومات لم أطلع عليها من قبل»^(٢).

ويقول: «قمت قبل أكثر من عشر سنوات بمراجعة الفكر السياسي الشيعي الذي كنت أؤمن به وأدعو إليه، وقد اكتشفت بعد عملية المراجعة التي استغرقت مني عدة أعوام أن كثيرا من الأفكار الشائعة والتي كنت أؤمن بها ما هي إلا أفكار دخيلة وطارئة لا تمت إلى مذهب أهل البيت»^(٣).

(١) آخر رسالة. الخوئيني.

(٢) حوار صحيفة الوقت مع الأستاذ أحمد الكاتب بتاريخ ٩ مارس ٢٠٠٧ العدد ٣٨٢.

(٣) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، أحمد الكاتب ١٠، الدار العربية للعلوم -

وقد يحدث هذا دون ترتيب، كما حدث مع الأستاذ أحمد الكاتب، وقد يكون بغرض الانتصار للمذهب، والبحث عن أدلة، فما يلبث أن تنقلب الأفكار، كما حدث مع الياسري لما حاوره أحد علماء أهل السنة فقال له الياسري: سوف أبحث وأحقق فيها -أي مصادر المذهب- وأبرهن لك على أنك واهم، وعلى خطأ كبير، وأنه لا يوجد ولا دليل واحد على ما قلت وذكرت من وجود مطاعن في أصولنا ومراجعتنا المعتمدة بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو صحابته من المهاجرين والأنصار... وهكذا بدأت أبحث بجد ونشاط» (١).

هذه المراجعة التي تمت عن طريق إعادة قراءة تراث المذهب الشيعي لا بد أن تكون شاملة وعميقة، حتى يصل إلى نتيجة مرضية.

وهو ما وفق له أحمد الكاتب، يقول: «بحمد الله عثرت على مكتبة فقهية شاملة خاصة في مدينة مشهد (خراسان) تضم أكثر من مائة موسوعة فقهية شيعية منذ بداية الغيبة الكبرى إلى الآن، فانكبت على مراجعتها والتحقيق فيها، فاكشفت فجأة أن العلماء السابقين لم يكونوا يؤمنون بنظرية ولاية الفقيه، أو بالأحرى لا يعرفونها مطلقاً، وأن بعضهم كتب في الرد عليها» (٢).

وهذا مما يقضي بضرورة التدقيق جيداً في تمحيص مرويات المذهب، حيث إنها تحتاج إلى مراجعة عامة وشاملة لتنقيتها من الانحراف والغلو المنتشر فيها.

يقول الأستاذ محب عباس الكاظمي: «نظرت في المصادر المنسوبة إلى أهل البيت فوجدت عجباً: إذ لم أجد مسألة واحدة قط إلا وبجانها واحدة أخرى تناقضها، بحيث صارت هذه المصادر ميداناً فسيحاً يجري فيه من هب ودب من الصديق إلى

(١) القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثني عشرية، محمد الياسري ٥.

(٢) المرجع السابق ٤٦.

الزنديق يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء»^(١).

ويقول: «لو كان الموضوع يتعلق بمسألة أو مسألتين، أو حتى مائة أو مائتين، أو كان الاعتراض على خط مسطور في كتاب مغمور أو منشور لهان الخطب، أما والمسائل التي تخالف الكتاب والصواب، وتناقض المنقول والمعقول، وتنبو عن الذوق والسلوك الرفيع تعد بالمئات، بل بالآلاف، ومثبتة في المصادر الموثقة، والمراجع المعتمدة، والكتب الكثيرة المنتشرة المتداولة، الممنوعة منها والمشروعة، وكذلك المخطوطة والمطبوعة قديما وحديثا، وتباع في المكتبات، وتدرس في المدارس، وتعلن على الملأ وعامة الناس دون نكير من كبير أو صغير فهو الأمر الجليل الذي لا تنفع معه محاولات التكذيب»^(٢).

وقد ساهم الأستاذ أحمد الكاتب في هذه التنقية عند بحث موضوع الإمامة وتحديدًا عند مناقشة قضية ولادة محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر للشيعة.

يقول: «وقد تسنى لي القيام بنقد مجموعة من المرويات (حوالي مائة رواية) حول موضوع الاثنى عشرية والإمامة الإلهية على ضوء التاريخ وعلم الرجال الشيعيين فوجدتها كلها ضعيفة أو مختلقة، لا توجد منها رواية واحدة صحيحة، وهو ما دفعني إلى تقبل الفقه الجعفري المنسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ورفض النظرية الإمامية الاثنى عشرية بما فيها موضوع فرضية الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري الذي لم أعثر على أي دليل معتبر على ولادته ووجوده

(١) سياحة في عالم التشيع ٢٩.

(٢) المرجع السابق ٥.

واستمرار حياته إلى اليوم منذ القرن الثالث الهجري»^(١).

وتكمن صعوبة مسألة تنقية الكتب الشيعية وغربلتها من الانحراف في إهمال المناهج والعلوم التي تعين على ذلك، والسبب في ذلك أن الحوزة العلمية لا تعني ببعض العلوم التي تعين على تحقيق الروايات والتمييز بين صحيحها وسقيمها، وخصوصا الروايات التاريخية، فالحوزة العلمية لا تعني بدرس مادة التاريخ.

يقول أحمد الكاتب عن دراسته: «وقد تعجبت من نفسي جدا لجهلي بتاريخ الشيعة إلى الحد الذي لم أقرأ ولم أسمع عن تفاصيل الحيرة ووجود الشك التاريخي حول ولادة الإمام الثاني عشر، مع أنني كنت أتصدى للدعوة والتبشير بالمذهب الإمامي الاثنى عشري منذ شبابي، وقد نشأت في الحوزة، وكتبت عدة كتب حول أئمة أهل البيت، وقرأت أكثر، وانتبهت حينها إلى غياب درس مادة التاريخ بالمرّة من برامج الحوزة العلمية التي تقتصر على اللغة العربية والفقه والأصول والفلسفة والمنطق، ولا يوجد لديها حصة واحدة حول التاريخ الإسلامي أو الشيعي»^(٢).

ثالثاً: التطلم إلى وحدة المسلمين:

إن مما يجمع دعاة التصحيح في المذهب الشيعي جميعاً أنهم كانوا ينظرون إلى واقع الأمة الإسلامية، وما تعانيه من فرقة وشتات وتمزق بين مذاهب شتى، وهي في أشد الحاجة لأن تتعاون في سبيل رفع راية الدين وصد الهجمة الشرسة التي تعانيها من الأعداء.

(١) السنة والشيعة وحدة الدين خلاف السياسة والتاريخ، أحمد الكاتب ٦١، الدار العربية للعلوم، بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

(٢) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، أحمد الكاتب ٤٧.

هذه الروح هي التي دفعت دعاة التصحيح إلى البحث عن سبيل للخلاص عن طريق الوحدة بمراجعة أسباب الخلاف ومحاولة تخطيها.

يقول آية الله العظمى أبو الفضل البرقي: «ومنذ أمد بعيد قد أسفت على انحطاط المسلمين وذلهم وتفرقهم وفقرهم، وبحثت عن طريق الخلاص لهم، ورأيت أن تجار الدين والمتنعين به هم أكبر عثرة في طريق المسلمين وتقدمهم، ورأيت أن هؤلاء المتعالمين والمتنعين يتعمدون صد الناس عن البحث والنظر والتقدم واليقظة، وجعلوا بيئتهم كبيئة العميان لتصبح تربة صالحة لقبول ادعاءاتهم الباطلة وخرافاتهم»^(١).

هذه الخلافات والفرقة الناتجة عن الجهل تارة، وعن الانتفاع بالدين تارة أخرى تدفع صاحب القلب الحي إلى الألم من أجلها، والحركة الدائبة من أجل إزالتها.

يقول موسى الموسوي: «كنت أعيش آلام الخلافات المريرة بين الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى، وأشهد عواقبها الوخيمة عن كثب»^(٢).

والأمة اليوم - بكل طوائفها - في حاجة إلى مراجعة تلك الخلافات والبحث عن أسباب إزالتها، ورفع عوامل الفرقة التي تؤججها، وتيار التصحيح يسعى في هذا السبيل، وما محاولته تصحيح ما في مذهب الشيعة من انحرافات إلا خطوة على طريق الاتحاد ورفع الفرقة، وهو ما يجب أن يتنبه له الجميع.

«الأمة الإسلامية - شيعة وسنة - بأمس الحاجة اليوم لمراجعة ذلك الخلاف التاريخي ودراسته بدقة من أجل التخلص من رواسته السلبية، والتحرر من مخلفاته

(١) كسر الصنم ٢٧.

(٢) الشيعة والتصحيح ٥.

اللى قد لا تزال تشرخ الوحده النفسىة للمسلمىن؁ أو تؤجج بعض المعارك الوهمىة
بىنهم»^(١).

وقد صرح دعاة التصحىح بأن من أهم دوافع بحثهم وأفكارهم رفع الخلاف؁
والدعوة إلى الوحده.

ىقول أبو الفضل البرقى: «وطلبا لرضى الله تعالى؁ وقيامما بواجب الإرشاد؁
ولرفع الخلافات؁ وللدعوة إلى الوحده والاتحاد بىن المسلمىن؁ ودفعا للبعض
والشقاق والنفاق؁ وتوضىحا لطرىق الاتحاد لأبناء وطنى وضعت كتابى هذا؁ موضحا
فىه أن هذه الخلافات إنما نشأت بسبب الأخبار المفتراة الواردة فى كتبنا المعتربة نحن
الشىعة»^(٢).

وهو السبب نفسه الذى دعا أحمد الكاتب إلى محاولته: «إن هدى من بحث وجود
الإمام الثانى عشر (محمد بن الحسن العسكرى) هو تعزيز الوحده الإسلامىة»^(٣).

رابعا: الانحرافات والخرافات فى مذهب الشىعة:

إن أكثر ما ىدفع إلى التصحىح فى مذهب ما مدى بُعدہ عن الصواب؁ ومذهب
الشىعة - كما ىرى أعلام التصحىح - ىشتمل على خرافات كثره؁ وانحرافات تبعده
عن المنهج القوىم.

ىقول أبو الفضل البرقى: «لقد دخلت إلى الإسلام خرافات باسم الإمام؁ ونحن
نعلم أن الخرافات فى الدين لا ىقبلها العقلاء والعلماء؁ بل هى سبب نفرته؁ وقد

(١) تطور الفكر السىاسى الشىعى ٩.

(٢) كسر الصنم ٣١ - ٣٢.

(٣) حوار صحفى فى صحىفة القدس العربى مع الأستاذ أحمد الكاتب. العدد ٣٢٠٥. بتاريخ ١٥ من

جمادى الأولى ١٤٢٠هـ.

دخلت هذه الخرافات على الغالب عن طريق وضع الحديث، وعن طريق الثقة بالمتقدمين، ولذلك يجب تطهير ساحة الإسلام من أمثال هذه الشوائب^(١).

هذه الانحرافات تصدم العقول، فتدفع إلى التفكير في مدى صحتها، وهل تعد حقاً من أصول المذهب، أو من لوازمه، أم أنها دخيلة عليه.

يقول علي القضيبي: «كان أول اصطدام حقيقي لي مع المذهب الذي كنت عليه هو الجانب الخُلقي، في البداية كنت أواسي نفسي بأن التصرفات الشخصية التي ألاحظها لا علاقة لها بالمذهب من قريب أو بعيد، إلى أن جاء اليوم الذي اكتشفت فيه الحقيقة، وسقط الساتر الذي كان يسترها عني، أكثر ما كان يؤرقني في المذهب ثلاثة أمور: سب الصحابة ولعنهم، والمتعة، ودعاء غير الله والتعلق بالمخلوقين دون الحي الذي لا يموت. كانت هذه الأمور الثلاثة هي الفتيل الذي أشعل بداية التحول الحقيقي لي»^(٢).

هذه الانحرافات تجعل وضع الشيعة يناقض التشيع الأول الحقيقي، ويمكن القول إنها تخالف آراء الأئمة، وأن هناك هوة عظيمة تفصل بين الشيعة والتشيع قد تصل في بعض الأحيان إلى التناقض الصارخ حتى يمكن القول بأن الشيعة الأولى شيء والشيعة الحاضرة شيء آخر.

بالإضافة إلى أن هذا التناقض الملحوظ يجعل آراء الأئمة بمعزل تام عن آراء الشيعة الحاضرة، فآراء الأئمة تناهض الغلو، وتحارب الانحراف، وترفض الخرافة، وفي المقابل فإن الشيعة الغالية تحتضن الغلاة، وترعى الخرافة، مما أسهم في الإساءة إلى صورة أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صارت الشيعة - من

(١) كسر الصنم ٣٩.

(٢) ربحت الصحابة ولم أخسر آل البيت ١٦ - ١٧.

وجهة نظر تيار التصحيح - صورة سيئة للتعبير عن الأمة.

يقول محب الكاظمي: «بين العيش في الناس والغوص في بطون الكتب توصلت إلى حقيقة مرة: هي أن أئمة أهل البيت - شأنهم شأن كل المصلحين الكبار - قد ظلموا مرتين، مرة من الأعداء، ومرة من الأتباع»^(١).

والذي يدفع إلى معارضة هذه الانحرافات والحديث حولها أنها متجددة، وتتخذ صوراً شتى تدفع الإصلاحيين إلى التصدي لها، وهذا الانحراف المتجدد هو الذي دفع أحمد الكاتب إلى مناقشة مسألة (ولاية الفقيه) رداً على الخميني.

يقول: «حدثت عدة أزمات أعقبها تلك الأزمة الطويلة بين مجلس الشورى ومجلس صيانة الدستور حول قانون العمل، تلك الأزمة التي فجرت عام ١٩٨٨ خلافاً بين الإمام الخميني ورئيس الجمهورية يوم ذاك السيد علي الخامنئي، وأدت إلى طرح الإمام لنظرية (الولاية المطلقة) التي أعلن فيها قدرة الفقيه الحاكم على تجاوز الدستور والأئمة، واعتبار الولاية شعبة من ولاية الإمام المعصوم والنبى والله، وأنها تضاهي في صلاحياتها صلاحيات الرسول الأعظم، وهذا ما دفعني لإجراء مراجعة فقهية استدلالية لنظرية (ولاية الفقيه) التي كنت أؤمن بها من قبل ودرستها من جديد»^(٢).

بالإضافة إلى أن هذه الانحرافات والخرافات يتعلق بها مسار الفكر الشيعي الحديث، ولهذا كانت مسألة وجود الإمام الثاني عشر محمد ابن الحسن العسكري، رغم كونها مسألة قديمة إلا أن ما يترتب على القول بها أو عدمه يتعلق بحياة الشيعة في العصر الحاضر فهي شأن حيوي معاصر^(٣).

(١) سياحة في عالم التشيع ٤.

(٢) تطور الفكر السياسي الشيعي ٤٥.

(٣) الإمام المهدي حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية ١٤.

خامساً: إعمال العقل:

أصحاب العقول السليمة لا يخضعون لسلطان الواقع خاصة إذا كان مشتملاً على انحرافات، إذ سرعان ما تتحرك عقولهم وتأبى الانقياد، وتبحث وتأمل وتفكر فى الواقع الذى تحياه بحثاً عن الأفضل والأصوب الذى يرفض التقليد، وينبذ الاتباع غير الواعى.

يقول محب الكاظمي: «فلقد رزقني الله نفساً لا تقتنع بما ترى أو تسمع دون دراسة أو تمحيص، وتؤمن بأن الله أعطى كل إنسان عقلاً ليفكر به ويستعمله لا ليعطله ويفكر بعقول الآخرين، لا سيما فى الأمور العظيمة كأصول الدين والعقيدة وضروريات الحياة البشرية، وكنت أردد دائماً مقولة أمير المؤمنين عليه السلام: «أعوذ بالله من سبات العقول»^(١)»^(٢).

ورواد التصحيح أصحاب عقول واعية، لا تقتنع بما ترى، ولا تسلم بمفردات المذهب خاصة إذا اشتملت على ما يناقض العقول، ولا تقف جامدة أمام آراء السابقين دون نقد وتمحيص تطمئن معه القلوب وتقتنع معه العقول، وهذا هو غرض التصحيح.

سادساً: الحوار مع بعض علماء السنة:

الحوار والمناقشة يهدف الوصول إلى الحقيقة من أكبر العوامل التى تعين على الوصول إليها، وصاحب العقل السليم يقبل الحق بغض النظر عن قائله، حتى وإن خالفك فى المذهب، ولذلك كان من العوامل التى دفعت البعض إلى التصحيح أن

(١) شرح نهج البلاغة ١١/٢٤٦.

(٢) سياحة فى عالم التشيع ٣.

تهيأت له فرصة ناجحة للحوار مع رجل من أهل السنة، فاغتنمها وأعمل عقله، وأثمر هذا الحوار.

حدث هذا مع محمد الياسري حيث يقول عن سبب كتابة بحثه (القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثنا عشرية): «كنت في مؤتمر إسلامي في بغداد والتقيت بصديق قديم، وكان من أهل السنة، وكان متحمسا لدرجة الانفعال عندما يتكلم عن حال الأمة الإسلامية والمسلمين في الوقت الحاضر، يحمل هدفا كبيرا، وأمنية عظيمة وهي توحيد الأمة الإسلامية، وكان هذا أعظم ما أتمناه. قال لي: لكم يحزنني أن أرى المسلمين وفي العراق خاصة متفرقين بسبب أعداء الإسلام. قلت: لماذا لا يقوم علماء الدين الإسلامي في العراق أولا بخطوة أولية للتقريب بين وجهات النظر ثم توحيد المسلمين على المدى البعيد؟ قال: بدأت بالأصعب. قلت: لماذا؟ قال: السبب في علمائكم ومراجعكم الذين أسسوا مذهبكم وشيدوه. قلت: هذا اتهام باطل، إن علماءنا ومراجعنا يعتمدون على روايات أئمة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام بأسانيدهم الخاصة. فقال: لو توفرت شروط صحة رواية ما عن الإمام علي عليه السلام أو الحسن أو الحسين أو الباقر أو غيرهم من أئمة الإسلام لأخذنا بها وعملنا بها، ولكن هذه الروايات مكذوبة وملفقة تنسب زورا وبهتانا إلى الإمام علي عليه السلام وذريته... فقلت له مهدئا لانفعاله: إن كل من يريد أن يتعرف على عقيدة طائفة فلا بد له من أن يرجع إلى أمهات كتب تلك الطائفة ومراجعها وأصولها المعتمدة في الحديث والتفسير حتى يكون منصفاً في الحكم وعادلاً في الاستنتاج... فقال لي: وهل درست أنت هذه المراجع والأصول المعتمدة عندكم وتأكدت من عدم وجود مطاعن بكتاب الله القرآن وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه وتلاميذه وأصحابه من المهاجرين والأنصار؟ فقلت له: لا، ولكني سوف أبحث وأحقق فيها وأبرهن لك

على أنك واهم، وعلى خطأ كبير، وأنه لا يوجد ولا دليل واحد على ما قلت وذكرت من وجود مطاعن في أصولنا ومراجعتنا المعتمدة بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو صحابته من المهاجرين والأنصار، وسوف أقدم البحث هدية لك. قال: اتفقنا^(١). وهكذا كان الحوار الناجح دون تعصب سبيلا للوصول إلى الحقيقة، خاصة مع صدق النوايا، وطلب الحق.

سابعاً: مطالعة كتب أهل السنة:

من ملاحظة آراء الإصلاحيين ونقدتهم للآراء الشيعية يتضح أنهم تأثروا بكتابات عدد من رموز أهل السنة بعد مطالعة كتبهم، فقد ترجم السيد أبو الفضل البرقي كتاب التوحيد لمحمد ابن عبد الوهاب، وكتاب المتقى مختصر منهاج السنة النبوية إلى اللغة الفارسية، وقد استعان شريعت سنكلجي بثلاثين مرجعا من مراجع أهل السنة في كتابه (توحيد العبادة) وظهر ذلك في اتهام بعض الشيعة التقليديين لعدد من الإصلاحيين بأنهم إنما يعرضون أفكار رموز أهل السنة بعد إعادة صياغتها مرة أخرى.

وإنما لم يُصَرَّح الإصلاحيون باستفادتهم وتأثرهم بكتب أهل السنة تجنباً لمثل هذه الاتهامات، حتى لا يُتخذ ذلك سبيلا للطعن في آرائهم أو دليلاً على اتفاق بينهم وبين أهل السنة على تقويض المذهب الشيعي أو السعي في هدمه، فلا يذكر الإصلاحيون تأثرهم بهذه الكتابات لعدم استعداد جمهور الشيعة عليهم.

(١) القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ٥.

الفصل الثالث

بين الإصلاح والتقريب

ثمة تشابه بين مفهوم (التقريب بين السنة والشيعه) ومحاولات الإصلاح الشيعى التى سبق ذكرها، ولهذا كان لا بد من الحديث عن فكرة التقريب، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين الإصلاح عند الشيعة.

مفهوم التقريب^(*):

يتضح مفهوم التقريب بين السنة والشيعة من خلال عرض أبرز محاولة تمت من أجل التقريب، وهى محاولة جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية فى مصر. بدأت هذه المحاولة عندما جاء إلى مصر عالم شيعى من إيران يدعى محمد تقى القمى ودعا إلى إنشاء جمعية للتقريب بين المذاهب الإسلامية فاستجاب لدعوته عدد من العلماء فى مصر وبعض الزيدية من اليمن فأنشأوا جماعة التقريب واتخذوا لها دارا فى القاهرة باسم (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) عام ١٩٤٧م. فى أعقاب تأسيس جماعة التقريب وفى إطار تحقيق أهداف هذه الجماعة فى التعارف والتفاعل بين المسلمين، تقرّر إصدار مجلة فصلية، تُعنى بالفكر والفقهِ الإسلامى، وفق مذاهب السنة والشيعة، وذلك عن دار التقريب فى القاهرة، ابتداءً من ربيع الأول عام ١٣٦٨هـ، الموافق لشهر كانون الثانى عام ١٩٤٩م، وصدر منها ستين عدداً إلى أن توقف صدورها عام ١٣٩٢هـ.

(*) ليس الغرض هنا مناقشة مسألة التقريب، وبيان مدى شرعية أو عدمها، أو الانتصار لرأى القائلين بالتقريب أو المخالفين لهم، وإنما الغرض بيان الصلة بين التقريب والإصلاح، وبيان أيهما أكثر فائدة، وأيهما يستحق أن تبذل فيه الجهود وتُصرف إليه الأنظار.

ثم آل أمر الجماعة والمجلة بعد ذلك إلى الاندثار فلم يعد لها وجود يذكر في الواقع الإسلامي^(١).

ويبدو أن هدف فكرة التقريب كان منحصرًا في تعريف الفرق بعضهم ببعض، والوحدة على الأصول المتفق عليها بين الفرق الإسلامية، وليس المراد من التقريب إزالة أصل الخلاف بين السنة والشيعة، بل أقصى المراد إزالة أن يكون هذا الخلاف سببًا للعداوة والبغضاء، وهدفه أن يحل الإخاء والتقارب محل التباعد والتضارب.

وهذا ما يظهر من تتبع كثير من المقالات المنشورة في مجلة رسالة الإسلام.

يقول البعض: «التقريب مرتبط ارتباطًا تامًا بوحدة المسلمين، إذ هو محاولة

للدفاع عن هذه الوحدة و استنقاذها. ووحدة المسلمين تدور على محورين:

أولهما: التسليم بحقوق عامة للمسلم في كل مكان من بلاد الإسلام، بغض النظر عن مذهبه و طبقته و جنسه و لونه و لغته، وأهمها عصمة دمه و ماله و عرضه، وألا يظن به السوء. و ثانيهما: اعتقاد أخوة المسلم للمسلم تبعًا لأخوتهما في الله»^(٢).

ويقول السيد محمد حسين آل كاشف الغطاء:

«ينبغي أن يكون من المقطوع به أنه ليس المراد من التقريب بين المذاهب الإسلامية إزالة أصل الخلاف بينها، بل أقصى المراد و جلّ الغرض هو إزالة أن يكون هذا الخلاف سببًا للعداء و البغضاء، الغرض تبديل التباعد و التضارب بالإخاء و التقارب، فإن المسلمين جميعًا مهما اختلفوا في أشياء من الأصول و الفروع فإنهم قد اتفقوا على مضمون الأحاديث المقطوع عندهم بصحتها من أن من شهد الشهادتين

(١) انظر: مسألة التقريب بين السنة والشيعة، ناصر بن عبد الله القفاري ١٧٣ وما بعدها.

(٢) مقال «معالم التقريب» للعلامة الكبير الأستاذ محمد عبد الله محمد، مجلة رسالة الإسلام، العدد ٥٥

واتخذ الإسلام ديناً له، فقد حرم دمه و ماله و عرضه، والمسلم أخو المسلم، وأن من صلى إلى قبلتنا، وأكل من ذبيحتنا، ولم يتدين بغير ديننا فهو منا، له مالنا وعليه ما علينا»^(١).

هذه مفردات التقريب التي ينادى بها دعاة التقريب من الشيعة، ولم تنزل هذه الأمور هي غرض التقريب حتى العصر الحاضر، يهدف إلى السعي للاتحاد فقط دون ذكر لأصول المذهب أو تعليق عليها بما يخدم هذه الوحدة.

ويظهر ذلك واضحاً في رأي الشيخ محمد علي التسخيري (أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية) الموجود في إيران حالياً؛ حيث يحدد المبادئ التي ينبغي أن يلتزم بها التقريبيون في عدة أمور هي:

- ١- التعاون فيما اتفقنا عليه.
- ٢- الإعذار عند الاختلاف.
- ٣- تجنب التكفير والتفسيق والالتهام بالابتداع.
- ٤- عدم المؤاخذة بلوازم الرأي.
- ٥- التعامل باحترام عند الحوار.
- ٦- تجنب الإساءة لمقدسات الآخرين.
- ٧- الحرية في اختيار المذهب^(٢).

(١) مقال «بيان للمسلمين» للعلامة محمد حسين آل كاشف الغطاء. مجلة رسالة الإسلام العدد ٧ السنة الثانية.

(٢) مقال بعنوان «التقريب أسسه وقيمه ودور العلماء فيه»، منشور على شبكة إسلام أون لاين بتاريخ

جوانب الاتفاق والاختلاف بين التقريب والإصلاح:

من خلال هذا العرض الموجز يمكن ملاحظة الفروق التالية بين حركة التقريب بين السنة والشيعة وحركة الإصلاح الشيعي:

أولاً:

التقريبون ينظرون إلى الآخر، أما الإصلاحيون فإنهم ينظرون إلى الذات. بمعنى أنه في حركة التقريب يهتم كل فريق بالنظر إلى الآخر وبيان كيفية التعامل معه، والنظر إلى القواسم المشتركة بين الفريقين، ويعظّم الاهتمام بجوانب الاتحاد بين الفرق المتخالفة، فلا ينظر كل فريق إلى مذهبه وآرائه وإنما ينظر للآخر المخالف، ويبيّن الأوجه التي يمكن من خلالها التعاون دون نظر إلى أوجه الخلاف بين الطرفين.

أما في حركة الإصلاح فيهتم كل فريق بالنظر لآرائه دون الآخر، فيعظّم الاهتمام بالمذهب وآرائه وأوجه الخلل الحاصلة فيه دون نظر إلى ما يريده الطرف الآخر. فعلى حين يهتم التقريبون بمسألة التعاون في المتفق عليه وإعذار الآخر في الأمور المختلف عليها، فإن الإصلاحيين يوجهون نظرهم وجهدهم إلى المختلف فيه لبيان مدى مشروعيته، وهل يمكن التنازل عن هذه الآراء المخالفة ونقدها أم لا؟

ثانياً:

حركة التقريب حركة عرض ومصالحة، بينما حركة الإصلاح حركة نقد ومراجعة. بمعنى أن التقريب يهتم بعرض الآراء المشتركة والتغاضي عن الآراء التي تسبب فرقة ولا يتعرض لها بالنقد أو الاعتراض لا في مذهبه ولا في المذهب المخالف.

أما الحركة الإصلاحية فتهم كثيرا بهذه الآراء؛ بل هي محور بحثها ومدار

نقاشها، وذلك يعنى أن مجال البحث عند التقريبيين يختلف عن مجال البحث عند الإصلاحيين، أو الآراء التى يبرزها التقريبيون تختلف عن الآراء التى يبرزها الإصلاحيون.

ثالثاً:

بناء على هذا الموقف يمكن القول إن دعاة التقريب فى مذهب الشيعة متمسكون بأصول المذهب ومدافعون عنها، ولم يؤثر عنهم خروج عن هذه الأصول. أما دعاة الإصلاح ورموزه فأكثرهم أخضعوا آراء المذهب جميعها للبحث والدراسة، وعرضوا تلك الأصول على النقد العلمى الجاد، فلم يقفوا أمام الآراء السابقة فى المذهب موقف التقديس بل قاموا بغرلة الآراء الشيعية كافة وإعلان رأيهم فيها.

ويرى بعض الإصلاحيين أن بعض رموز التقريب فى مذهب الشيعة لا يوافقون على كثير من الآراء الشيعية القديمة.

فقد أرسل الأستاذ أحمد الكاتب رسالة شخصية لي عبر البريد الألكترونى بتاريخ ١٨ مارس ٢٠٠٩، جاء فيها:

«إن كثيراً ممن ينادى بالتقريب لا يؤمن بالكثير من الأفكار الشيعية الإمامية القديمة، ولكن يصعب عليهم التعبير عن عدم إيمانهم بصراحة ووضوح، ولذلك فإنهم يدعون صادقين ومخلصين للتقريب من أجل تجاوز الماضي والتنسيق المشترك على الصعيد السياسى.

ويدلل على ذلك برسالة أرسلها له دكتور شيعى فى جامعة بغداد يسأله لماذا يثير دفاثر الماضي إذا كان يستطيع أن يحقق الأهداف المطلوبة دون ضجيج

وبالشيخ محمد مهدي شمس الدين عندما عرض عليه كتابه (تطور الفكر

السياسي) سأله: ما الهدف الذي تريد أن تصل إليه؟ قال: أريد أن أصل إلى الشورى. فقال له: لقد وصلت إليها أنا أيضا.

كأنه يريد القول إنه ليس مضطرا لبحث كل التراث الماضي السلبى وإن كان يحتفظ بنقد خاص له؛ لأنه لا يريد أن يثير ضجة قد لا يفهمها البعض جيدا أو تكون وسيلة بيد البعض لضربه وتحطيمه».

ويعني ذلك أن فريقا من الشيعة يتخذ التقريب طريقا للإصلاح الشيعي من الداخل دون إثارة ضجة أو إعلان الرأي بمخالفة الآراء الشيعية المتفق عليها الأمر الذي يجعله في دائرة الاتهام الشيعي، حيث يرى ضرورة ملاحظة السيرة العملية لكثير من الناس بعيداً عن النظريات والشعارات والمواقف المسبقة حتى إذا لم يرفعوا شعار التقريب والإصلاح، إذا كانوا يمارسون سياسة تقريب وإصلاح.

ومع اقتناعي بصحة قدر كبير من هذا الرأي للأستاذ أحمد الكاتب الذي يرى أن كثيرا من أهل التقريب يقربون من الإصلاحيين في أفكارهم ورؤاهم، إلا أنه يبقى أن الحكم العملي على أهل التقريب إنما يكون بما يظهر لنا من هذه الأفكار والرؤى، وبما يخرج في النتائج العلمي لا بمجرد الأمنيات والأقوال، وإن كانت ملاحظة السيرة العملية لكثير من رموز التقريب على قدر من الأهمية.

رابعاً:

يختلف موقف جمهور الشيعة التقليدي في التعامل مع كل من الفريقين، حيث يرى أكثر الشيعة أن التيار الإصلاحي مخالف للأصول الشيعية ويسعى لهدم المذهب، ويرمونهم بكثير من التهم والافتراءات - كما مر في الفصل -.

لكن كثيرا من علماء الشيعة ينظرون لفكرة التقريب ورموزه نظرة مختلفة، حيث يؤيدون التقريب بين السنة والشيعة، ويرون فيه سبيلاً للاتحاد بين المسلمين.

ويبدو هذا واضحا من مطالعة أسماء الشيعة الذين كتبوا في مجلة رسالة الإسلام الصادرة عن دار التقريب، فقد استكثبت المجلة عدداً من علماء الشيعة ومراجعهم، ومنهم على سبيل المثال:

* الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء.

* آية الله الخالصي.

* السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي.

* العلامة أبو القاسم الخوئي.

* الأستاذ الشيخ محمد جواد مغنية.

وبناء على ذلك يمكن القول إن موقف الشيعة من الإصلاحيين موقف المستريب المُتَّهم، أما موقفهم من التقريبيين فهو موقف المؤيد المناصر في أغلب الأحيان.

خامساً:

أن دعوة التقريب لم تكتمل وأصابها الفتور، وانقلب أهلها عليها، فكثير ممن نادى بالتقريب من أهل السنة وجاهد في سبيله تراجع عن دعواه عندما تبين له حقيقة التقريب الذي ينادى به الشيعة، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

* الشيخ محمد رشيد رضا^(١):

حيث قطع شوطاً في سبيل التقريب بين السنة والشيعة، وذهب في ذلك مذهباً بعيداً عبر مجلة المنار، لكنه أعلن بعد ذلك رأيه في مسألة التقريب قائلاً:

(١) صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، ولد في طرابلس الشام، توفي عام ١٣٥٤هـ، وتعلم في طرابلس ثم رحل إلى مصر فاتصل بالشيخ محمد عبده وتلمذ له، من آثاره «تفسير القرآن»، «الوحي المحمدي». الأعلام ٦/ ٣٦١، معجم المؤلفين ٩/ ٣١٠.

«وقد ظهر لي باختباري الطويل وبما اطلعت عليه من اختيار العقلاء وأهل الرأي أن أكثر علماء الشيعة يابون هذا الاتفاق أشد الإباء؛ إذ يعتقدون أنه ينافي منافعهم الشخصية من مال وجاه»^(١).

* الدكتور مصطفى السباعي^(٢):

من المهتمين بمسألة التقريب بين السنة والشيعة، وقد بذل مساع كثيرة لتحقيق هذا الأمر، وكان يرى ضرورة تزاور علماء الفريقين وإصدار الكتب التي تدعو إلى التقارب، وتطبيقا لذلك كان يعرض بعض فقه الشيعة ومؤلفاتهم في دروسه في كلية الشريعة بجامعة دمشق^(٣).

يقول عن دعاة التقريب الشيعة:

«الواقع أن أكثر علماء الشيعة لم يفعلوا شيئا عمليا حتى الآن، وكل ما فعلوه جملة من المجاملات في الندوات والمجالس، مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروى في كتب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار، بل إن بعضهم يفعل خلاف ما يقول في موضوع التقريب، فبينما هو يتحمس في موضوع التقريب بين السنة والشيعة إذا هو يصدر الكتب المليئة بالظعن في حق الصحابة أو بعضهم ممن هم موضع الحب والتقدير من جمهور أهل السنة...

(١) مجلة المنار، مقال بعنوان «السنة والشيعة وضرورة اتفاقهما» ٣١ / ٢٩٠.

(٢) مصطفى السباعي، توفي عام ١٣٨٤هـ ١٩٦٧م، عالم من «حمص» سوريا، حصل على الدكتوراة من الأزهر، وعمل عميدا لكلية الشريعة بدمشق، له مؤلفات كثيرة منها: «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي»، «اشتراكية الإسلام». الأعلام ٧ / ٢٣١.

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي ٢٣. طبعة المكتب الإسلامي، ودار الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

وبينما هم يقيمون لهذه الدعوة الدور وينشئون المجلات فى القاهرة، ويستكتبون فريقاً من علماء الأزهر لهذه الغاية، لم نر أثراً لهم فى الدعوة لهذا التقارب بين علماء الشيعة فى العراق وإيران وغيرهما، فلا يزال القوم مصرين على ما فى كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هى تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة، لا تقريب المذهبين كل منهما إلى الآخر» (١).

* الدكتور يوسف القرضاوى:

يعد الدكتور القرضاوى من رموز الدعوة للتقريب بين السنة والشيعة، ومواقفة تشهد بذلك، وله كتاب بعنوان (مبادئ فى الحوار والتقريب بين المذاهب والفرق)، لكنه بعد هذه التجربة فى التقريب وصل إلى بعض النتائج مفادها ما أعلنه فى حوار صحفى جاء فيه:

«أما الشيعة فهم مسلمون، ولكنهم مبتدعون وخطرهم يكمن فى محاولتهم غزو المجتمع السنى وهم مهينون لذلك بما لديهم من ثروات بالمليارات وكوادر مدربة على التبشير بالمنهج الشيعى فى البلاد السنية خصوصاً أن المجتمع السنى ليست لديه حصانة ثقافية ضد الغزو الشيعى فنحن العلماء لم نحصن السنة ضد الغزو المذهبى الشيعى لأننا دائماً نعمل القول «ابعد عن الفتنة لنوحد المسلمين» وتركنا علماء السنة خاوين.

الخلاف فى الأفرع ليس مهماً لكن الخلافات فى العقيدة هى المهمة. فكثير منهم يقول إن القرآن الموجود هو كلام الله ولكن ينقصه بعض الأشياء مثل سورة الولاية،

(١) المرجع السابق ٢٣، ٢٤.

نحن نقول إن السنة سنة محمد أما هم فلداهم سنة المعصومين محمد والأئمة الأحد عشر، ويعتبرون سنتهم مثل سنة محمد.. نحن نقول أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها وهم يقولون لعنهم الله.. فهم يرون أن الرسول قبل أن يموت أوصي علي ابن أبي طالب أن يكون الخليفة من بعده... ويعتبرون الصحابة خانوا الرسول ووصيته واختاروا آخرين» (١).

سادسا:

التقريب الحقيقي إنما يكمن في الدور الذي يقوم به دعاة الإصلاح في المذهب الشيعي، بالنظر في مفردات المذهب وأصوله ومراجعتها وتعريضها للنقد الهادف، وعدم التخرج من إخضاع هذه الأصول للبحث العلمي، والبعث عن تقديس الآراء أو الأشخاص في المذهب، وهم يصرحون أن الغرض من ذلك جمع كلمة المسلمين، وطلب الوحدة بين الطائفتين.



الفصل الرابع

موقف الشيعة من التيار الإصلاحي

تمهيد

دائما ما تواجه الأفكار الإصلاحية بنفور في أول أمرها خاصة إذا كانت أفكارا تصدم المألوف المعتاد عند الناس، ويحفظ التاريخ أن رموز الإصلاح في كل عصر وجدوا صدودا وإعراضا؛ بل محاربة ومواجهة من أصحاب الفكر التقليدي خاصة إذا تعلق التغيير بأمور مستقرة في النفوس استقرار العقائد، وهذا ما حدث مع التيار الإصلاحي في مذهب الشيعة وما توقعه كثير من رموز الإصلاح.

يقول أحمد الكاتب: «أنا لا أتوقع كثيرا من التجاوب من رجال الدين الذين أصبحوا طبقة تعتمد في وجودها المالي والسياسي والشرعي على نظرية وجود الإمام الثاني عشر، ولكني أتوقع من الحركة الإصلاحية في إيران والفقهاء المجددين في العالم العربي أن يناقشوا جذور نظرية ولاية الفقيه المطلقة التي يستغلها المحافظون لممارسة الديكتاتورية باسم الدين وباسم الإمام المهدي»^(١).

ويكاد هذا التوقع يلزم كل من تصدى لإصلاح المذهب الشيعي من داخله، لمعرفته أن الأفكار التي يحاول إصلاحها إنما هي عقائد استقرت في العقول وتغلغت في القلوب عبر سنين طويلة تؤازرها نصوص مختلفة تضيء عليها قداسة ومن ورائها رجال يحثون الناس عليها ليل نهار ويقفون في وجه كل من يحاول نزع هذه القداسة عنها.

ولذا فإن دعاة الإصلاح يعانون في سبيل عرض أفكارهم وآرائهم مع وجود هذه

(١) حوار مع صحيفة الزمان بتاريخ ٢٧/١١/٢٠٠٠ م.

المعارضة القوية من ذوي النفوذ، وهو ما جعل الأستاذ حيدر حب الله يشكو التهميش الذي يعيشه دعاة الإصلاح في مجتمعاتهم نظرا لأن التيار المتشدد قد أحكم قبضته على الأفكار^(١).

ويمكن تقسيم موقف جمهور الشيعة من الدعوة الإصلاحية إلى قسمين رئيسيين الأول:

يؤيد الدعوة الإصلاحية، والثاني: يرفض الدعوة الإصلاحية.
والفريق الثاني أكثر عددا وتأثيرا وأعلى صوتا، ويمتلك من الوسائل ما يمكنه من عرض أفكاره وحمايتها.

وبناء على ذلك فإن هذا الفصل ينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: مؤيدو الاتجاه الإصلاحية.

المبحث الثاني: معارضو الاتجاه الإصلاحية.



(١) مجلة نصوص معاصرة، مقال بعنوان «مؤتمر الاعتدال الشيعي أين هم الوسطيون الشيعة اليوم» العدد

الثالث. صيف ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

المبحث الأول

مؤيدو الاتجاه الإصلاحى

مما لا شك فيه أن أى دعوة إصلاحية تخاطب العقول لا بد أن تجد لها بعض الأنصار ممن يعملون عقولهم وينظرون فى الآراء الناقدة دون تحفظ أو حرج، فإذا ما آمنوا بها أعلنوا تأييدهم ومؤازرتهم لأصحابها، وهو ما حدث مع التيار الإصلاحى الشيعى حيث ظهر بعض التجاوب والتشجيع من الشيعة.

يقول موسى الموسوى: «طبقة مثقفة جليلة القدر والشأن من أعلام الشيعة تؤازرنى وتؤيدننى وتبعث لى برسائل التشجيع والتأييد وتلح على أن أسير فى نهج التصحيح ليل نهار وبلا تعب ولا وجل، وكنت أرى شبابا من الشيعة وصلوا إلى مرحلة من الثقافة العالية وهم يقفون مع التصحيح ويعتقدون بأنه الطريق الوحيد المؤدى إلى إنقاذ الشيعة من البلاء الذى أحرق بها من كل جانب»^(١).

قد تتطور هذه المؤازرة فى بعض الأحيان إلى مرحلة الكتابة وإعلان التأييد، وهو ما حدث عندما أعلن السيد محسن الأمين رأيه حول مراسم عاشوراء^(٢) فانبرى عدد من عقلاء الشيعة إلى تأييده وإعلان رأيه والكتابة بذلك.

نشر القاضى جعفر الهندي مقالة تأخذ بوجهة نظر محسن الأمين بعنوان «المنابر الحسينية» سنة ١٩٢٨م، ووردت فى مجلة العرفان فتوى العالم الإيرانى

(١) يا شيعة العالم استيقظوا، موسى الموسوى ٤٦ - ٤٧. وانظر نفس المعنى للأستاذ أحمد الكاتب فى

حوار مع صحيفة الوقت البحرينية العدد ٣٨٢ - الجمعة ١٩ صفر ١٤٢٨ هـ - ٩ مارس ٢٠٠٧.

(٢) سبق الحديث عنه فى الفصل العاشر من الباب الأول.

محمد تقي الأصفهاني^(١) في تحريم الشعائر القائمة على أذى النفس سنة ١٩٢٩م، ثم مقالة رجل هندي يسمى محمد علي سالمين «المسلمون ومحبتهم لأهل البيت» سنة ١٩٣١م، كما نُشِرَت رسالة لمحمد الكنجي النجفي بعنوان: «كشف التمويه في رسالة التنزيه» تدافع عن محسن الأمين، وكُتبت رسالة أخرى هي: «دفع التمويه عن رسالة التنزيه» لعلي الجمال^(٢).

وتجاوبا مع الاتجاه الإصلاحى العام صدرت عدد من البيانات من بعض الشيعة تعلن تأييدها لبعض جوانب الإصلاح، وسوف أعرض لبيانين صدرا مؤخرا:

البيان الأول:

أصدره مجموعة من الشباب السعوديين الشيعة بمدينة القطيف ذات الأغلبية الشيعية وما حولها من المدن تحت عنوان: «نداء إلى المتصرفين بأموال الخمس في القطيف» يطالبون فيه العلماء والمراجع الشيعة في المنطقة بالكشف عن قنوات صرف أموال زكاة الخمس التي يدفعها الشيعة لوكلاء هذه المراجع، وجاء في البيان ما يلي:

«ليس هناك من شك في أن أموال الخمس المفروضة على جميع المكلفين من أبناء شعبنا وبقية شعوب ومجتمعات الطائفة الشيعية حول العالم ذات سيولة مالية عالية، أي أن هذه الأموال يمكن من خلالها التأسيس لاقتصاد اجتماعي واعد إلا أننا

(١) الميرزا محمد تقي الموسوي الأصفهاني، توفي سنة ١٣٤٨هـ، من أسرة علمية، صار من كبار علماء أصفهان، له مؤلفات عدة منها: مكيال المكارم في فضل الدعاء للقائم، آداب صلاة الليل. مكيال المكارم في فضل الدعاء للقائم ٥، ترجمة المصنف، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) لمعرفة ردود الفعل حول رسالة السيد محسن الأمين انظر: حركة الإصلاح الشيعي في جبل عامل، صابرينا ميرفان ٣١٢ - ٣١٥.

ولللأسف الشديد لا نجد لها أى أثر على الحراك الاقتصادى والاجتماعى فى بلادنا رغم ضخامتها... ففساد التصرف بأموال الخمس واسع النطاق وليس مقتصرًا على الجانب المتعارف عليه وإنما يتعدى ذلك كل ما من شأنه صرف هذه الأموال فى غير خير وتدبير حسن، إن الكثير من الأشخاص الذين يدورون فى دائرة الوكلاء ويتصلوا بهم اتصالًا مستمرًا ومباشرا يتحدثون دائما عن الفساد العميق الجذور فى صرف وإفناق هذه الأموال...» (١).

البيان الثانى:

وهو أكثر تجاوبا مع التيار الإصلاحى من البيان السابق، وقد وقع عليه أحد عشر مثقفا من الشيعة تحت عنوان: «نحو تصحيح مسار الطائفة الشيعية فى الوطن العربى»، جاء فى مقدمة البيان ما يلى:

«نحن أبناء الشيعة من الجيل الجديد ممن جبل على إمعان النظر والتفكير العميق فيما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا من نظم اجتماعية وموروثات ثقافية ودينية وما يبثه رجال الدين فى المجتمع من قيم وآراء وتعاليم... توصلنا إلى قناعة برفض الكثير من المعتقدات والأحكام الشرعية التى ننظر لها كعائق حقيقى أمام شيوع وتجسيد قيم المحبة والتسامح مع إخوتنا من أبناء المذاهب الإسلامية... من أجل ذلك اتفقت إرادتنا على أن نصدر هذا البيان الذى يوضح عقائدنا ومفاهيمنا وأهدافنا التى تصب فى تحرير الإسلام الشيعى من الهيمنة والاستبداد والقضاء على كافة معوقات انسجام الشيعة مع أوطانهم وإخوتهم فى الدين والوطن والأمة والإنسانية، وإننا نتمنى أن يوقع على هذا البيان أبناء الشيعة فى كافة الدول العربية».

(١) بيان بعنوان «نداء إلى المتصرفين بأموال الخمس فى القطيف». شبكة آفاق الإخبارية.

ثم عرضوا في بيانهم عددا من الأمور كان من أبرزها:

* نعتقد بأن الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا إخراج الخمس من فائض أموالنا ولكن لم يوجب دفعه للفقهاء، وعلى هذا فإننا نرفض أن ندفع حق الخمس أو الزكاة أو أي واجب شرعي مالي لأي رجل دين بعنوان الولاية أو النيابة وندعو أبناء الشيعة في كافة أنحاء المعمورة لدفع الحقوق الشرعية لمن يكفل وصولها لفقرائهم ومعوزيهم.

* نعتقد بأن نظام المرجعية الحالي لم يظهر إلا في المائتي عام الأخيرة فقط وكان الناس قبلا يرجعون لأي رجل دين في مسائلهم الفقهية العبادية التقليدية من دون تخصيص.

* نرفض رفضا باتا قذف الخلفاء الثلاثة السابقين على الإمام علي بن أبي طالب ونطالب بتجاوز كافة عبارات الشتم والسباب واللعن الواردة ضدهم في التراث الشيعي.

* نعتقد بأن مفهوم العصمة الرائج حاليا في الوسط الشيعي تبلور في ظروف سياسية محددة.

* نعتقد بأن أئمة أهل البيت هم الأولي من الأمويين والعباسيين بالخلافة إلا أن ذلك لا يدفع إلى القول ببطلان كل من خالفهم في عقيدة أو فقه أو في تأسيس دولة مسلمة.

* لا نعتقد بما يسمى ولاية أمر المسلمين أو النيابة عن الإمام المعصوم بأي عنوان.

* لا نرى العقيدة التي تقول بأن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون بأجمعه من أجل مجموعة من البشر أنبياء كانوا أو قديسين أو أوصياء.

* نرفض تدخلى الفقهاء ورجال الدين فى كافة شئون الحىة.

* نرفض العقيدة التى تقول إن الراد على الفقىة كالراد على الإمام والراد على الإمام كالراد على النبى والراد على النبى كالراد على الله، وأن الرد على الفقىة أمر مطلوب عندما يتجاوز حدوده.

* نرفض أن نعتقد ببطلان عقائد الآخرين من إخواننا المسلمين.

* ندعو أبناء الشيعة إلى مراجعة ممارساتهم لبعض الشعائر الدينية التى يمارسونها كل عام كالضرب على الصدور والتطير (ضرب القامة بالسوف) والزنجيل (ضرب الظهر بسلاسل حديدية) والزحف ما بين الروضتين، ونرى أن هذه الممارسات لا تجلب سوى تنفير المسلمين وغير المسلمين من الإسلام والتشيع، وأنها ممارسات دخيلة لم يكتبها الله علينا ولم ترد فى كتاب ولا سنة» (١).

وقد احتوى هذا البيان العديد من النقاط التى طالب بها دعاة الإصلاح الشىعى، وقد أحدث ردود فعل قوية داخل الصف الشىعى سيأتى الحديث عنها لاحقاً. وتجاوزوا مع هذا البيان أصدر الأستاذ أحمد الكاتب بيانا آخر بعد هذا البيان تحت عنوان «البيان الشىعى الجديد»، قال عنه:

«جاء هذا البيان تلبية لعدد من الإخوة الذين رحبوا بالبيان السابق الذى أصدره بعض الإخوة المثقفين الشيعة قبل ثلاثة أشهر، ولكن كان لديهم بعض الملاحظات فطلبوا منى إعادة كتابة البيان بشكل أفضل يعبر عن شريحة أوسع من الشيعة

(١) بيان «نحو تصحيح مسار الطائفة الشيعية فى الوطن العربى» كاملاً على موقع إسلام أون لاين.

الإصلاحيين»^(١).

وقد عدد في هذا البيان كثيرا من الأوجه الإصلاحية التي ينادي بها التيار الإصلاحي، وبين أصولها في كتب أئمة الشيعة وفقهائها السابقين^(٢).

هذه معالم من أفكار مؤيدي الإصلاح في مذهب الشيعة، لكنها تبقى دون المطلوب ولم تحدث أثرا كبيرا في صفوف جمهور الشيعة بالقياس إلى حجم المعارضة التي يلقاها التيار الإصلاحي كما سيأتي.

من هذا العرض يتضح أن قدر تأثير التيار الإصلاحي على جمهور الشيعة لا يزال ضعيفا ويحتاج إلى جهود ودعم من كل من يمثل هذا التيار، ومن كل من يتمنى نجاح هذا التيار.

ويرجع ضعف هذا التيار إلى عوامل عدة، ذكر حيدر حب الله منها:

«أن الحركة الإصلاحية انشطرت إلى شطرين كل واحد مهما ابتلي بأزمة، فأحدهما بقي في دائرة التنظير والسجال الفكري الذي يحبس المشروع في دائرة النخب فانعزل المشروع عن الشارع الشعبي الذي يمكنه إحداث التغيير الاجتماعي والسياسي، ثانيهما: خرج إلى الشارع بعد تنظير مقتضب ثم أراد فرض تصوراته التي لم تختمر بعد على الواقع الخارجي»^(٣).

وهو الأمر الذي ينبغي أن يراعيه أفراد هذا التيار في تحركهم من أجل نشر أفكارهم وآرائهم - وهو موضع الحديث في الفصل السادس -.

(١) جريدة «الوطن» البحرينية، العدد ١١٨٤ بتاريخ ٨ مارس ٢٠٠٩.

(٢) البيان على موقع الأستاذ أحمد الكاتب: <http://islamonline.net/discussion/2114>

(٣) حوار صحفي مع جريدة الوقت البحرينية عدد ٢٧ بتاريخ ١٧/٣/٢٠٠٦.

المبحث الثاني

معارضو الاتجاه الإصلاحية

وهو الفريق الأكثر عدداً، والأغزر نتاجاً حتى يمكن القول بأن جمهور الشيعة يتزعمهم المراجع الدينية والعلماء يقفون في وجه تيار الإصلاح بكل وسيلة ممكنة، ويهاجمون أي أفكار إصلاحية مهاجمة عنيفة مما يجعل هذه الأفكار حبيسة فئة معينة لا تراوح مكانها وتبتعد كثيراً عن عوام الشيعة وجمهورهم.

وقد حدد موسى الموسوي الفئات التي ستقاوم الفكرة الإصلاحية قائلاً:

«ومن الطبيعي ان فئات من رجال الدين والمتاجرين بالطائفية وفي مقدمتهم كثير من الزعماء الدينيين سيقاومون الفكرة التصحيحية بكل ما لديهم من قوة وجهد»^(١).

وقد تنوعت أساليب الردود المعارضة للتيار الإصلاحية بداية من الردود العلمية وصولاً إلى الاعتداء البدني الذي يصل في بعض الأحيان إلى القتل، ويمكن بيان هذه الأساليب على النحو التالي:

١- مهاجمة كل من يظهر ميلاً إلى التيار الإصلاحية:

وهذه خطوة استباقية يحذر بها الشيعة كل من يميل إلى الفكرة الإصلاحية في بعض جوانبها حتى وإن كان متمسكاً بأصول المذهب ما يدفع الكثير من المؤيدين للإصلاح إلى التفكير كثيراً قبل الإقدام على أي خطوة أو التصريح بأي رأي قد يجرح عليه كثيراً من المتابعين.

ولعل في الواقعة التي يذكرها حسن العلوي في كتابه «عمر والتشيع» ما يلقي

(١) الشيعة والتصحيح ١٥٣.

الضوء على ذلك، يقول:

«كان الإمام موسى الصدر^(١) من دعاة المشاركة الأقوياء ومن رافضي منهج القطيعة ومنتقدي رجاله ومروجيه فلم يكن غريباً عليه إقامة مجلس تأبيني بوفاة الدكتور علي شريعتي تناقلت وقائعه الصحافة اللبنانية مما أثار استياء آية الله السيد مرتضى العسكري^(٢) فكتب إلى السيد موسى الصدر يلومه بعنف لإقامة مجلس فاتحة للفاسق الفاجر المقبور علي شريعتي»^(٣).

فإقامة مجلس عزاء فقط لرحيل واحد من رواد الإصلاح أمر يستدعي اللوم والتعنيف، فما الظن بمن يروج هذه الأفكار أو يدعو لها.

وهناك واقعة أخرى قريبة من تلك حيث كان من العادات التي تأصلت عند الشيعة في العراق عادة نقل جنائز موتاهم لتدفن في النجف وكانت وسائل النقل الوحيدة هي الدواب فكانت الجنائز تنقل على الدواب من المسافات البعيدة، فنادى السيد الشهرستاني سنة ١٩١١م بتحريم نقل الجنائز ودعا إلى ترك هذا التقليد لما فيه

(١) عالم ديني ومفكر وسياسي شيعي، ولد في قم ١٩٢٨م، ودرس في النجف الأشرف ثم أقام في صور اللبنانية، أنشأ المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان سنة ١٩٦٩م، له مؤلفات منها: المذهب الاقتصادي في الإسلام، أبجدية الحوار، اختفى أثناء زيارته لليبيا عام ١٩٧٨ ولم يعلم عنه شيء إلى الآن. انظر: الإمام موسى الصدر محطات تاريخية، إعداد: حسين شرف الدين، مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات.

(٢) آية الله السيد مرتضى العسكري، ولد في سامراء ١٣٢٣هـ، توفي سنة ٢٠٠٧م، ودرس في حوزتها العلمية وفي قم، له باع طويل في تأسيس المدارس العلمية، وأسس كلية أصول الدين في بغداد، من مؤلفاته: عقائد الإسلام من المبدأ حتى المعاد، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى. مجلة الموسم، العدد ١٦، ١٩٩٣م.

(٣) عمر والتشيع ثنائية القطيعة والمشاركة، حسن العلوي ٢٥٥.

من المفاسد التي ذكرها فقامت عليه قيامة الغوغائيين في العراق وثارَت العامة العمياء، ومع أن الأمر يتعلق أكثر ما يتعلق بالعراقيين ولم يكن هذا مألُوفاً عند اللبنانيين لبعْد المسافة بين لبنان والعراق مما يتعذر معه نقل الجنائز من لبنان إلى النجف مع ذلك فقد تحرك في لبنان السيد عبد الحسين شرف الدين (1) وشن على السيد الشهرستاني حملة شعواء (2).

ومما يتصل أيضاً بمسألة الشعائر الحسينية ما أعلنه السيد حسين الشامي مستشار رئيس الوزراء العراقي من المطالبة بالقضاء عليها واعتبارها بدعة ما أنزل الله بها من سلطان فقام جماعة من علماء الحوزة العلمية في النجف وأصدروا بياناً رفضوا فيه وصف الشعائر الحسينية بالبدعة، وطالبوه بالاعتذار واصفين موقفه بأنه متناغم مع آراء السلفيين التكفيريين، وطالبوه وأمثاله ألا يلبسوا لبوس الفقيه المفتي فيحرمون ما أحل الله ويفتون الناس بما لا يعلمون... وأن الحوزة العلمية إذ تشعر بعميق الأسى والأسف من أن يقف بعض من يتزيا بزيتها إلى جانب السلفيين التكفيريين المتحاملين على شعائر الإمام الحسين عليه السلام تطلب من السيد المذكور والجهة التي ينتمي إليها المبادرة إلى التوبة إلى الله والاعتذار إلى الملايين من المؤمنين الحسينيين الذين سفههم ورماهم بالجهل والبدع (3).

(1) عبد الحسين بن يوسف شرف الدين العاملي، ولد في الكاظمية ١٢٩٠هـ - ١٨٧٣م، توفي ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م، درس في النجف وسامراء ثم عاد إلى جبل عامل، له اشتغال بالحديث ومشاركة في الحياة السياسية في بلاد الشام، من مصنفاته: الفصول المهمة في تأليف الأمة، أجوبة مسائل موسى جار الله. الأعلام ٢٧٩/٣

(2) ثورة التنزيه، إعداد محمد القاسم الحسيني النجفي ١٢، دار الجديد - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م
(3) مقال لأحمد الكاتب بعنوان «الشعائر الحسينية بدعة أم ضرورة من ضرورات الدين» على موقعه:

٢- الردود العلمية:

كثرت ردود الشيعة على الأفكار الإصلاحية وتوالى إصدار الكتب المؤيدة لوجهة نظر الشيعة التقليدية - مع قطع النظر عن كون هذه الردود صوابا أم لا - والأمثلة على ذلك كثيرة.

فقد كتب ضد الشيخ الخالصي نحو خمسة عشر كتابا لأنه أبدى ملاحظات على الطقوس المذهبية الشيعية مثل المجالس الحسينية ومواكب العزاء^(١).

وفي نفس المجال لما كتب السيد محسن الأمين: «رسالة التنزيه» التي حرم فيها الطقوس الشيعية في عاشوراء من اللطم والتطبير ونحو ذلك قام علماء الشيعة بالرد عليه وتأليف الكتب في ذلك.

وقد أوردت مؤلفة كتاب «حركة الإصلاح الشيعي في جبل عامل» أهم الكتب التي ألفها الشيعة في الرد على السيد محسن الأمين.

«نشر عبدالحسين علي رسالة بعنوان «النقد النزيه لرسالة التنزيه» وفيها يرد على ما جاء من تحريم في التنزيه بحجج مطولة، وكتب علي تقي الثنوي اللكناوي وهو من لكناو في الهند وكان طالبا يدرس في النجف رسالة أقصر من سابقتها بعنوان: «إقالة العاثر في إقامة الشعائر الحسينية» يرد فيها على آراء محسن الأمين، وكان طالب آخر من طلاب النجف وهو العاملي عبد الله سببتي قد أنهى رسالة عنوانها: «رنة الأسى» وقد اجتهد فيها في تفنيد آراء محسن الأمين واحدا فواحد وكانت لهجته فيها صدامية بل مقدعة أحيانا، ثم قام بالرد على التنزيه عالمان من آل المظفر محمد حسين وقد أصدر: «الشعائر الحسينية»، وعبد المهدي المظفر ونشر: «إرشاد الأمة للتمسك

(١) مقال بعنوان «النقد الديني وسلطة العوام» فؤاد إبراهيم. على موقع تنوير.

بالأئمة»، وكان آخر الردود من طالب عاملي يدرس في العراق هو محمد علي شرف الدين وقد أنكر تحريم محسن الأمين لإقامة الشعائر في رسالة عنوانها «تحت راية الحسين»^(١).

وفيما يلي قائمة بأسماء عدد من الكتب التي صدرت للرد على السيد محمد حسين فضل الله، رغم أن الجزئية التي تحدث فيها لا تمثل أصلاً من أصول التشيع ألا وهي مظلومية فاطمة عليها السلام حيث قال فيها: «أنا لا أتفاعل مع الكثير من الأحاديث التي تقول بأن القوم كسروا ضلعها أو ضربوا وجهها أو ما إلى ذلك، إنني أتحفظ في الكثير من هذه الروايات»^(٢).

رغم أنه عاد بعد ذلك وأنكر نفيه لهذه الحادثة وقال: أنا فقط أتشكك في مصداقيتها، لكن صدرت عدة كتب ترد عليه مع كثير من الاتهامات، منها:

- الحوزة العلمية تدين الانحراف. محمد علي الهاشمي المشهدي.
- فتنة فضل الله الخلفيات الأهداف النتائج. محمد باقر الصافي.
- وقفات وتساؤلات مع السيد محمد حسين فضل الله. أبو محمد الكويني.
- مع السيد فضل الله في تعريفه للترف الفكري. أبو محمد الكويني.
- ذلك فضل الله. صالح عزيمة.
- ملاحظات على منهج محمد حسين فضل الله. آية الله السيد ياسين الموسوي.
- حوار مع فضل الله حول الزهراء. السيد هاشم الهاشمي الكويتي.
- مأساة الزهراء شبهاً وردود. آية الله المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي.
- لماذا مأساة الزهراء. آية الله المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي.

(١) انظر: حركة الإصلاح الشيعي في جبل عامل، صابرينا نيرفان ٣١١-٣١٢.

(٢) انظر الباب الأول: فصل «الموقف من الصحابة».

- الفضيحة محاكمة كتاب هوامش نقدية في رده على كتاب مأساة الزهراء. محمد مرتضى.
 - حتى لا تكون فتنة ردا على كتاب مرجعية المرحلة. نجيب مروة^(١).
- ولما أصدر الأستاذ أحمد الكاتب كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه» صدر للرد عليه عدد من الكتب من أبرزها:
- شبهات وردود الرد على شبهات أحمد الكاتب حول إمامة أهل البيت ووجود المهدي المنتظر. السيد سامي البدري.
 - الموظف الدولي رد على أحمد الكاتب. الشيخ علي الكوراني العاملي.
 - الصائب في الرد على أحمد الكاتب. جعفر إسماعيل الفرابي.
 - التشيع المفترى عليه مداخلات وهوامش نقدية على كتاب تطور الفكر السياسي الشيعي. خالد أبا ذر العطية.
- هذا بخلاف الردود غير المباشرة التي أشار إليها الأستاذ أحمد الكاتب في كتابه: «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر» حيث قال: «عندما نشر الكتاب أثار بالطبع عاصفة من الحوارات والنقاشات والتعليقات وصدرت ضده عشرات الكتب والمقالات بصورة مباشرة أو غير مباشرة»^(٢).
- وفي مقابل ذلك فإن الإصلاحيين يعانون من منع ومصادرة كتبهم في الأوساط الشيعية، وفرض حصار على انتشارها بين الناس الأمر الذي يحرم جمهور الشيعة من مطالعة هذه الأفكار مما يؤخر الجهود الإصلاحية، وهو ما عانى منه الأستاذ موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح^(٣).

(١) انظر: موقع ضلال نت. وهو موقع مخصص للرد على السيد محمد حسين فضل الله.

(٢) حوارات أحمد الكاتب ١٤، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٣) يا شيعة العالم استيقظوا ٤٧.

٣- الطعن والتجريم:

وهذا الأسلوب يُتبع دائما مع أصحاب الدعوات الإصلاحية عند العجز عن الرد العلمي حيث يلجأ المخالف إلى طريقة بعيدة عن الناحية العلمية ألا وهي طريقة التجريح والاستهزاء والاتهامات المفتراة، وقد توقع رموز التيار الإصلاحية هذا الأسلوب.

يقول موسى الموسوي: «الطريق الذي يسلكه الفئات التي ترفض التصحيح عندما تخذلهم البيئات وتقارعهم الحجج طريق واحد تسلكه عادة أصحاب النفوس المريضة والمأجورين والجهلاء إنه طريق التجريح والطعن في صاحب الدعوة»^(١). وهي اتهامات متوقعة دائما من المخالفين الذين لا يجدون حجة للإقناع، أو سبيلا للحوار خاصة إذا تعلق الأمر بأشخاص يتاجرون بهذه العقائد.

وقد تنوعت أساليب الشيعة في الاتهامات والطعون التي يوجهونها إلى دعاة الإصلاح على النحو التالي:

أ- الاتهام بالجهل وعدم التأهيل العلمي:

وقد طال هذا الاتهام كل من تكلم في الإصلاح بزعم أنهم أدياء في العلم، لا يوصفون بفقهِ ولا اجتهداد، يقول الشيخ علي آل محسن^(٢) متحدثا عن موسى الموسوي وأحمد الكاتب:

«مثل هذين الرجلين لا يعرفان بعلم ولا فضل، وما كتبه موسى الموسوي في

(١) الشيعة والتصحيح ١٥٦.

(٢) من علماء الشيعة المعاصرين، يهتم بتأليف كتب الردود، من مؤلفاته: الله وللحقيقة رد على كتاب الله ثم للتاريخ، كشف الحقائق رد على كتاب هذه نصيحتي إلى كل شيعي.

كتابه « الشيعة والتصحيح » وما كتبه أحمد الكاتب في كتابه « تطور الفكر السياسي » كله أباطيل لا تخفى على صغار طلبة العلم فضلا عن يدعي الاجتهاد والفقاهة^(١).

وهو نفس اتهام الشيخ علي الكوراني لأحمد الكاتب حيث قال عنه:

« لم يدخل مدرسة ولا عنده شهادة من حوزة^(٢) ».

وهذا الاتهام يُوجه لكل من يمارس نوعا من التصحيح داخل صفوف الشيعة حتى من وصل منهم إلى مرحلة الاجتهاد، وهو حال السيد محمد حسين فضل الله، يقول عنه صاحب كتاب « فتنة فضل الله »:

« معمم لا ناقة له في الفكر ولا جمل ولا بضاعة له في العلم ولا متاع، خرج من النجف الأشرف ولم يبلغ الثلاثين صفر اليمين إلا من بعض الأدب والشعر وكثير من سخط والده وغضبه، لا شهادة تثبت علما وتضعه في مصاف العلماء ولا ممارسة تكشف عن كفاءة وحركة تمضي على سبيل نجاة، الرجل مثقف ومطلع على بعض العلوم والمعلومات دون تخصص ولا تضلع في أي منها؛ بل دون فهم ووقوف حتى على بعض حقائقها، مجرد حكايات ومقالات تتعلق وتتحدث حول هذه العلوم قرأها واطلع عليها^(٣) ».

وهو اتهام متجدد كلما ظهر تصحيح أو ميل نحو التصحيح يسارع علماء الشيعة بإطلاقه من باب قطع الطريق أمام كل من يسير في هذا الاتجاه، فيأتي هذا الاتهام حتى لا يكون لكلامه وأفكاره بادرة تأثير.

(١) الله وللحقيقة، الشيخ علي آل محسن ٢٦/١.

(٢) الموظف الدولي رد على أحمد الكاتب، الشيخ علي الكوراني ٢٥، الطبعة الأولى ١٤٢٨، بدون بيانات.

(٣) فتنة فضل الله، محمد باقر الصافي، طبعة إلكترونية دون ترقيم، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.

ولذلك لما ظهر بيان مثقفي الشيعة الأحد عشر - الذي سبق الحديث عنه - سارع الشيعة باتهامهم بالجهل وعدم التحصيل العلمي.

يقول بعضهم: «التجديديون الشيعة ليس فيهم عالم متخصص واحد على سبيل الحصر ولم يطرحوا حتى الساعة عنوانا واحدا مجذرا ومستدلا عليه بشكل علمي صحيح يبطل حجة التقليديين، لا يمكنني أن أحترم بيانا يفتقد أوليات المنطق والعلم وإن أمضاه أحد عشر ألفا لا أحد عشر مثقفا»^(١).

ب- الاتهام بالضلال:

عندما كتب آية الله العظمى أبو الفضل البرقي كتابه «درس من الولاية» وأثبت فيه أن الأنبياء عليهم السلام والأولياء لا يشاركون الله تعالى في صفاته وأفعاله، وأن ولاية الأنبياء والأولياء تنحصر في الأمور الشرعية ولا ولاية لهم في أمور أخرى. أعلن آية الله هادي الميلاني^(٢) أن كتاب «درس من الولاية» كتاب ضلال وصاحبه ضال^(٣).

وهو نفس الاتهام الذي وجه إلى السيد محمد حسين فضل الله، فقد أصدر مائة وواحد وعشرون عالما من كبار أساتذة الحوزة العلمية في قم بيانا تحت عنوان: «بيان جماعة من فضلاء ومدرسي الحوزة العلمية في قم في شأن الأفكار المنحرفة التي طرحت في المجتمع الإسلامي»، جاء في البيان:

(١) حوار في صحيفة الوقت البحرينية مع الشيخ عباس بن نخعي، العدد ١٠٣٣ / ٢١ ذي الحجة ١٤٢٩ هـ
٢٠٠٩/١٢/١٩ م.

(٢) آية الله العظمى السيد محمد هادي الحسيني الميلاني، ولد ١٣١٣ هـ في النجف الأشرف، توفي سنة ١٣٩٥ هـ في مدينة مشهد، درس في النجف وكربلاء ومشهد، له مؤلفات منها: محاضرات في فقه الإمامية، قادتنا كيف نعرفهم.

انظر: <http://holynajaf.org/arb/html/hawzailem/2/rezvan/mtn.php?file=h-milani.htm>

(٣) كسر الصنم ٣٩٤.

«مثيرو هذه الشبهات منحرفون عن المذهب من الضالين المضلين، وهم وأفكارهم المخالفة مما يهدد البناء الشيعي لذا ينبغي الحذر منهم».

ومن الفتاوى التي أوردها صاحب كتاب فتنة فضل الله فتوى آية الله العظمى السيد السيستاني^(١) التي جاء فيها:

«أنا أخالف آراء فضل الله ولا أؤيده وهو ليس مجتهدا وليس وكيلًا عني، وإذا صح أنه يستلم الحقوق الشرعية فهو يأخذ الأموال بالباطل»^(٢).

ج- الاتهام بالسعي لهدم التشيع:

عندما أصدر السيد محسن الأمين كتابه الشهير «ثورة التنزيه» الذي أفتى فيه بحرمة الطقوس التي يمارسها الشيعة في ذكرى عاشوراء هاجمه الشيعة هجومًا عنيفًا، واتهموه بالسعي لتخريب التشيع وهدمه، وكتب عبد الحسين صادق^(٣) قصيدة يرد فيها على السيد محسن الأمين ويقارن أفكاره الإصلاحية بما يفعله -من يسميهم- الوهابيون بقبور أهل البيت في المدينة قائلًا:

فما المعول النجدي أدهى مصيبة
من القلم الجاري بمنع المآتم

(١) آية الله العظمى السيد علي الحسيني بن السيد محمد باقر، ولد ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م، أهم مرجع ديني للشيعة في العصر الحاضر، تزعم حوزة النجف الأشرف بعد وفاة الإمام الخوئي، من مؤلفاته: منهاج الصالحين، المسائل المنتخبة، شرح العروة الوثقى.

انظر: موقع مكتب الإمام السيستاني <http://www.sistani.org/local.php?modules=nav&nid=1>

(٢) فتنة فضل الله فصل «الموقف من الفتنة».

(٣) الشيخ عبد الحسين بن إبراهيم بن صادق العاملي ولد في النجف الأشرف في حدود ١٢٨٣هـ ١٨٦٦م، توفي عام ١٣٦١هـ ١٩٤٢م، كان عالمًا فاضلاً أديباً كاملاً شاعراً بارعاً، أسس المدرسة الحسينية في البطية. الأعلام ٣/ ٢٧٧، معجم المؤلفين ٥/ ٨٧.

كلا ذين هدام لما شاد أحمد ولكن يراع المنع أكبر هادم

حسامان مشحوزان سم خديعة ولا تنطلي إلا على غير فاهم (١)

وكان من ضمن الفتاوى التي أوردها صاحب كتاب: «فتنة فضل الله» فتوى علي السيد حسين يوسف مكي التي قال فيها:

«فضل الله يشكل خطرا كبيرا على الشيع وعلى الفكر الشيعي وعلى أسسه وعقائده وشرائعه وتاريخه» (٢).

د- السخرية والاستهزاء والسباب:

قد تمتد الاتهامات حتى تخرج عن الموضوعية فتصل إلى السخرية والاستهزاء والسباب الشخصي بل حتى الدعاء باللعن وتحريض الصبية والسفهاء على الاستهزاء بالمخالف.

نال السيد محسن الأمين سخرية واستهزاء متواصلًا ردا على حملته على الشعائر الحسينية التي يمارسها الشيعة، فحرضوا الصبية والأطفال للخروج في مظاهرات سخرية ضده، وكانت هذه المظاهرات تعلن سب ولعن محسن الأمين علنا على رؤوس الأشهاد، حيث كان الناس بدلا من أن ينادوا كعادتهم «لعن الله من ظلمك يا أبا عبد الله» يرددون بيتا من الشعر لعبد الحسين صادق يقول:

لعن الله ناسا حرموا نذب الحسين (٣)

(١) حركة الإصلاح الشيعي في جبل عامل، صابرينا ميرفان ٣١٧.

(٢) فتنة فضل الله، فصل «الموقف من الفتنة».

(٣) حركة الإصلاح الشيعي في جبل عامل ٣١٦-٣١٧.

ولم يكن هذا قاصراً على عوام الناس فقط؛ بل شارك فيه جمع من علماء ومراجع الشيعة ذوي التأثير على العوام، حتى إن قارئ التعزية الشهير صالح الحلبي^(١) وهو الخطيب المفوه ذو التأثير الكبير على الناس أطلق عنان غضبه من على المنبر على أبي الحسن الأصفهاني وعلى محسن الأمين ولم يتردد في الإهانة، وكان ينشد هذا البيت:

ياراكبا إما مررت بحلق فابصق بوجه أمينها المتزندق^(٢)

هـ- الاتهام بالكذب:

وهو اتهام متكرر لكل من يتكلم في الجوانب الإصلاحية، وهذه بعض عناوين كتاب «الموظف الدولي رد على أحمد الكاتب» للشيخ علي الكوراني: «يكذب على الشيعة - من الخيانات العلمية لأحمد الكاتب - فضائح من تدليسه وتزويره وحياتته العلمية - يكذب على مصادرنا جهاراً ونهاراً ويكابروا^(٣)».

و- الاتهام بالعمالة والخيانة:

حيث يعتبر جمهور الشيعة أن أي ناقد لعقائد الشيعة إنما يتعاون مع مخالفينهم، ويرمونه بالعمالة، والعمالة تعني أحد أمرين: إما التعاون مع المشروع الغربي البعيد عن الدين، بقصد أو دون اتفاق، وإما التعامل مع أهل السنة، أو من يطلقون عليهم الوهابيين.

(١) السيد صالح ابن السيد حسين الحلبي، ولد عام ١٢٨٩هـ، توفي ١٣٥٩هـ، من أشهر خطباء المنبر الحسيني. انظر: أدب الطف، جمعه جواد شبر ٢٠٤/٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) حركة الإصلاح الشيعي في جبل عامل ٣١٩.

(٣) انظر: ٦٧، ٩٤، ١٠٧.

ويمثل الاتهام الأول ما وُجه إلى موسى الموسوي حيث قيل عنه:

«عمل لصالح أكثر من جهاز مخابرات، إنه ملك لمن يدفع مستغلا انتماءه العائلي للمرجع الراحل السيد أبو الحسن الأصفهاني كعنوان عريض له إغراؤه الخاص... وقد استغلت الدوائر المعادية للإسلام نزعته المتحللة وانحرافه الأخلاقي فوظفته في مشاريعها الممنهجة التي تستهدف الإسلام والمسلمين»^(١).

وعندما صدر بيان مثقفي الشيعة الأحد عشر علق عليه بعض الشيعة قائلا:

«إني أرى أن الموقعين على البيان لا يخرجون عن أحد أمرين فإما أنهم جهال سياسيا أو أنهم جزء لا يتجزأ من المشروع الأمريكي المنفذة أجندته في الشرق الأوسط»^(٢).

وأما الاتهام بالتعاون مع أهل السنة وعرض آرائهم وأفكارهم فهو اتهام شائع، رُمي به الدكتور علي شريعتي.

يقول: «ميولي الشيعية واضحة جدا سواء في هذه الكتب أو في غيرها من القضايا الاجتماعية بحيث حرمني علماء الوهابية عام ١٩٥٠ من إيراد خطبتي في المؤتمر الإسلامي المنعقد بمكة بتهمة كوني شيعيا مغاليا، مع ذلك كله إذا بي أواجه وحسينية الإرشاد حملة مسعورة منظمة نتعرض خلالها لاتهامات مدروسة في أكثر من محفل رسمي وعام في طهران وغيرها من المدن وذلك تحت شعار الولاية المقدسة ومناهضة خطر الوحدة بحيث اتهمت مؤسسة الإرشاد وأنا بالذات بأننا لا نؤمن

(١) مع موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح، علاء الدين بن السيد أمير محمد القزويني ١٦، دار الغدير، بيروت. لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

(٢) مقال للكاتب الشيعي منير النمر على شبكة الرامس الثقافية بتاريخ ٢٢/١١/٢٠٠٨م.

بالولاية وننكر أهل بيت الرسالة بل إننا سنة ووهابيون»^(١).

ويعرض صاحب كتاب «فتنة فضل الله» آراء السيد محمد حسين فضل الله مبينا أنها آراء سنية أخذها وأعاد صياغتها وطرحها داخل الآراء الشيعية.

«فما هي إلا إشكالات ابن تيمية وابن حجر ومبغض الدين الخطيب^(٢) والألوسي^(٣) وجار الشيطان^(٤) من مقالات «التحفة الاثني عشرية» و«الصواعق» و«المنهاج» وأضرابها مع تقديم وتأخير وحذف واختصار هنا وإضافة وإطناب هناك اجترها الرجل في طرح من داخل البيت لم يختلف عن الطرح الوهابي إلا في الحذر والجبن الذي لم يسم الأشياء بأسمائها».

ونقل فتوى آية الله العظمى الشيخ بهجت^(٥): «فضل الله مشروع وهابي ينخر في

(١) التشيع العلوي والتشيع الصفوي ٨١-٨٢.

(٢) يقصد: محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب (١٨٨٦ - ١٩٦٩ م) ولد في دمشق وزار الأستانة والقاهرة واستقر بها حيث أصدر مجلتي «الزهراء» و«الفتح» وكان من أوائل مؤسسي جماعة الشبان المسلمين، تولى تحرير مجلة الأزهر ست سنوات، له كتب عديدة، وكتابه عن الشيعة: «الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية واستحالة التقريب بينهم وبين أصول الإسلام في جميع مذاهبه وفرقه». الأعلام للزركلي ٥ / ٢٨٢.

(٣) يقصد: محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الحسيني الألوسي، ولد في بغداد (١٨٥٧ - ١٩٢٤) تصدر للتدريس وحمل على أهل البدع، له ٥٢ مصنفاً، وكتابه في الشيعة: «مختصر التحفة الاثني عشرية». الأعلام ٧ / ١٧٢، ١٧٣.

(٤) موسى جار الله التركستاني القازاني الروسي ولد في روسيا عام ١٢٩٥ هـ، وصل إلى منصب شيخ مشايخ روسيا، لكنه تركها بعد بداية الحكم الشيوعي، عاش في ديار الشيعة أكثر من سبعة أشهر حتى كتب كتابه: «الوشيعية في نقض عقائد الشيعة». انظر: مسألة التقريب بين السنة والشيعة، ناصر بن عبدالله بن علي الففاري ٢٠٠ وما بعدها.

(٥) آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت، ولد ١٣٣٤ هـ، أحد مراجع الشيعة المعاصرين، غير مشهور

كبان التشيع من داخله»^(١).

ويذهب الاتهام بعيدا بالقول بأن هذه الآراء باتفاق مع أهل السنة لهدم التشيع مقابل اغراءات مادية كبيرة، يقول أحمد الكاتب:

«كان الشيخ المنتظري قبل الثورة قد خاض معركة طويلة مع بعض رجال الدين الشيعة المتشددين طائفا اتموه مع مجموعة من أصحابه الثوريين بالعمل على هدم التشيع وقبض أموال من السعودية، وذهب أحد الخطباء فى قم إلى تحديد رقم بئر النفط التي زعم أن المنتظري يأخذ عوائدها من السعودية»^(٢).

ويرى بعضهم أن هذه الآراء ليست باتفاق مع أهل السنة وإنما هي محاولة من ضعاف النفوس من الشيعة لاسترضاء أهل السنة والطمع فى موالاتهم، كما قال بعضهم معلقا على بيان المثقفين الأحد عشر:

«الواضح من هذا البيان الاستعراضي ليس الحرص على المذهب وتنقيته من الشوائب كما يدعون، ولا الحرص على أتباع هذا المذهب؛ بل هو التزلف الفج لإرضاء الطرف الآخر بأي ثمن كان»^(٣).

ز - اتهامات خُلقية:

ومما يؤسف له أن تتطور الاتهامات إلى مسائل أخلاقية لا ينبغي أن تكون محور حديث علمي أو نقاش جاد حتى مع الخلاف والمعارضة، فقد ذكر صاحب كتاب «فتنة فضل الله».

(١) فتنة فضل الله. فصل «الموقف من الفتنة».

(٢) مقال لأحمد الكاتب بعنوان «الشيخ المنتظري والطريق الثالث بين الشيعة والسنة».

(٣) مقال «نحو تفخيخ مسار الطائفة الشيعية فى الوطن العربي» عبدالكريم عبد الله الدرويش بتاريخ

عن السيد محمد حسين فضل الله أنه:

«قضى أيام شبابه في ذلك الجوار المقدس - يقصد النجف الأشرف - لاهيا عابثا متنفرا من حوزة جعفر بن محمد صلوات الله عليه مشمئزا من مداوات العلماء ومناولات الفضلاء، قضاها متسكعا على ضفاف شط الكوفة ساقطا في مزالت أخلاقية جرحت قلب والده وأدمت كبده»^(١).

وردد بعض الشيعة بعض هذه الاتهامات نحو موسى الموسوي حيث قال:

«الموسوي لا يمثل في الدائرة الشيعية والإسلامية بصورة عامة وجودا علميا ولا يمتلك مكانة تذكر في هذه الدائرة الواسعة فهو مطارذ بتهم كثيرة ومعروف بانحرافات عديدة إلى جانب كونه موضع تندر المثقفين فلقد سبق له أن اعتقل في فرنسا عام ١٩٦٤م بتهمة تزوير مالي، ويبدو أن مروقه عن الدين وعدم تورعه في ارتكاب المنكرات وعداءه الشديد للتشيع يعود إلى عقدة نفسية عميقة الجذور في شخصيته.. وقد استغلت الدوائر المعادية للإسلام نزعته المتحللة وانحرافه الأخلاقي»^(٢).

٤- التكفير:

الاتهام بالكفر ورد كثيرا في ردود الشيعة على رموز التيار الإصلاحية، وسوف أعرض بعض هذه الاتهامات:

* أحمد الكسروي:

رماه الشيخ علي آل محسن بالكفر في قوله: «كان متحررا من كل قيود الدين ولم يكن ضد مذهب الشيعة وعقائده فحسب بل كان ضد الدين ومبادئه وقد حمل على»

(١) فتنة فضل الله، فصل «منبع الفتنة».

(٢) مقدمة كتاب «مع موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح» بقلم الأستاذ سليم الحسيني ١٦.

التشيع بما هو دين لا بما هو مذهب مخصوص، ولهذا لم يظهر منه أى ميل لمذهب أهل السنة أو غيره من المذاهب الإسلامية بل قام بتأييد الحزب الشيوعى فى إيران» (١).

* السيد محسن الأمين:

وقد رُمى بالكفر والخروج من الإسلام نتيجة لقوله بحرمة الممارسات الشيعية فى عاشوراء، فقد أصدر الشيخ عبد المهدي المظفر (٢) فى البصرة رسالة سماها «إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة» قال فيها:

«وهذا السيد -يعنى مؤلف «رسالة التنزيه»- قد كنا نسمع عنه أنه من أهل المآثر الحسان وذوي المكانة السامية فى العلم ولكن لما اطلعنا على هذه الرسالة وقعنا فى حيرة الشك لما اشتملت عليه من التهجمات على الشيعة والتهويلات الفارغة على مظاهر الشريعة والاستدلال على مقصوده بما لا يليق أن ينسب إلى مثله... ولعمر الحق هذا هو الأمر الموجب للخروج عن الإسلام» (٣).

* الدكتور على شريعتى:

ذكر أنه قد صدر فى طهران بيان ضد حسينية الإرشاد جاء فيه ما يلى:

«يعتقد البعض أن حسينية الإرشاد يقتصر نشاطها على ترويح الوهابية والتسنن والتشكيك بمبادئ المذهب الشيعى وأحيانا نشر بعض المفاصد العملية من قبيل الموسيقى والدعوة إلى اختلاط الرجال بالنساء وليس لها غرض مناويء لأصل

(١) لله ثم للحقيقة، الشيخ على آل محسن ١/٣٣.

(٢) من علماء الشيعة المعاصرين للسيد محسن الأمين، توفي عام ١٣٦٣. انظر: معجم المطبوعات النجفية، محمد هادي الأميني، ٧١. مطبعة الآداب، النجف ١٩٦٦.

(٣) ثورة التنزيه ٥١.

الدين الإسلامي، ولكن سيتضح قريباً أن المؤلفات الصادرة عن هذه المؤسسة تعدت ذلك إلى أكثر من ذلك تحت شعار الموضوعية والحياد والتحرر والانفتاح ونبت التعصب أن ترسخ في أذهان الناس أن اللادينية هي حالة اجتماعية وظاهرة إنسانية يجب القبول بها ولا داعي للإصرار على وجود ديانة سماوية يجب على الجميع اتباعها.

وذكر أن هذا البيان كتب بواسطة أقلام متخصصة في دائرة التشيع الصفوي وذات ثقل ديني واجتماعي مرموق وهم آية الله السيد صدر الدين الجزائري^(١)، وابنه السيد مرتضى الجزائري، والثالث السيد مرتضى العسكري^(٢).

* السيد محمد حسين فضل الله:

اتهمه صاحب كتاب «فتنة فضل الله» بالكفر في قوله: «بيكي وهو يقرأ دعاء كميل ويبالغ في الوعظ والإرشاد وهو يعيش السخرية والاستهزاء في داخله والكفر والانحراف في واقعه.. فهو لا يؤمن بالغيب ولا يؤمن بأن للبيت رب يحميه»^(٣).

* أحمد الكاتب:

ذكر الشيخ علي الكوراني في كتابه «الموظف الدولي» عبارات توهم التكفير، وكان من عناوين الكتاب الرئيسية:

هل يعتقد أحمد الكاتب بدين؟ هل فقد أحمد الكاتب إيمانه بالنبي وباللّه تعالى؟ أقول نعم جزئياً. هل يؤمن بالقرآن أم يتحجج به^(٤).

(١) من علماء الشيعة، ولد ١٣١٣هـ وتوفي ١٣٩٤هـ.

(٢) التشيع العلوي والتشيع الصفوي، علي شريعتي ٨٧ - ٩٠.

(٣) فتنة فضل الله، فصل «دور المخابرات».

(٤) الموظف الدولي، الشيخ علي الكوراني. انظر: ٤٢٩، ٤٣٣، ٤٣٤.

٥- الاعتداء البدني:

من الطبيعي أن تكون النتيجة النهائية لهذه الاتهامات بالعمالة والخيانة والرمي بالكفر أن يسعى بعض الشيعة إلى تصعيد المواجهة إلى مرحلة الاعتداء البدني وصولاً إلى القتل بغرض التخلص من هؤلاء العملاء الخونة.

وأول خطوة في ذلك هي التهديد بالضرب والإهانة حتى أن أنصار السيد محسن الأمين قد اضطروا إلى الاختباء حتى لا يتعرضوا للسباب أو الإهانة أو حتى الضرب وقد دُعوا بالأمويين، أما أعداؤه فسموا أنفسهم بالعلويين، وقد تلقى جعفر الخليلي رسائل تهديد مغفلة دست تحت باب بيته لأنه اكتشف أمره باعتباره من الأمويين (١).

وذكر أحمد الكاتب أنه تلقى تهديداً من أجهزة استخبارات إيرانية نشرت خبراً في صحيفة إيرانية عن ظهور سلمان رشدي جديد في العراق هو أحمد الكاتب (٢).

ومن المعلوم أن الإمام الخميني قد أهدر دم سلمان رشدي ورصد مكافأة ضخمة لمن يقتله.

هذه التهديدات تدفع البعض إلى ممارسة إيذاء عملي كما حدث مع آية الله العظمى أبو الفضل البرقي حيث هاجموا مسجده وألقوا القبض عليه واقتادوه إلى المخفر، ولما أطلق سراحه هاجموا بيته مرة أخرى واقتلعوا بابه وكسروا الباب السفلي، وبلغ إيذاؤهم له مبلغاً جعله يترك البيت، وقد مرضت زوجته من جراء فرعها في تلك الحادثة وبعد أيام توفيت (٣).

(١) حركة الإصلاح الشيعة في جبل عامل ٣١٩.

(٢) حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر ١٤.

(٣) كسر الصنم، ملحق ترجمة المؤلف ٣٩٦.

وقد ذكر الدكتور/ إبراهيم بسيوني مترجم كتب موسى الموسوي أنه قد تعرض للتشريد والسجن بل أكثر من ذلك فإن في جسده بقايا رصاصات خائنة حاولت تصفيته جسدياً^(١).

وهذا ما حدث لأبي الفضل البرقي أيضاً، حيث تعرض للأذى من أجل الإصلاحات التي نادى بها، وهوجم كثيرا من الفئات التي كانت تخشى من منهجه وطريقته حتى تعرض للاغتيال فأطلقت عليه النيران في داره أثناء صلاته فأصابته خده الأيسر لتخرج من خده الأيمن فسببت له بعض الأذى في سمعه خاصة أن عمره قد شارف حينئذ على الثمانين، وفي المستشفى صدر الأمر للأطباء بعدم علاجه، فنصحوا أحد الأطباء بمغادرة المستشفى والتداوي في منزله، ثم اقتيد إلى سجن (أوين) أقصى السجون السياسية في إيران ف قضى فيه قرابة سنة، ثم نُفي بعد ذلك إلى مدينة (يزد) فظل بها خمسة أيام فقط، ثم أعيد إلى السجن مرة أخرى، ثم أعيد نفيه حتى توفي بعد ذلك بأيام قليلة عام ١٩٩٣م^(٢).

كل ما سبق كان تهديدات، وإيذاء لم يصل إلى مرحلة القتل، وقد تطورت هذه التهديدات إلى درجة التنفيذ الفعلي مع عدد من رموز التيار الإصلاحي الذين تعرضوا للاغتيال بسبب آرائهم الإصلاحية، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

* أحمد الكسروي:

بعد أن أُلّف كتابه «التشيع والشيعة» الذي بين فيه فساد المذهب الشيعي تربص له بعض الشيعة فضربوه بالرصاص فدخل المستشفى وأجرى عملية جراحية وتم شفاؤه، لكنهم لم يتركوه بل أخذوا يتربصون به حتى رفعوا شكوى ضده إلى وزارة

(١) مقدمة كتاب «المتأمرون على المسلمين الشيعة من معاوية إلى ولاة الفقه».

(٢) مقدمة كسر الصنم للمترجم ٢٤.

العدل يتهمونهُ فيها بمخالفة الإسلام فدعى للتحقيق فى ذلك وفى آخر جلسة من جلسات التحقيق عام ١٣٢٤هـ ١٩٤٦م ضرب بالرصاص مرة أخرى وطعن بخنجر حتى مات متأثراً بجراحه (١).

* محمد بن إسكندر الياصرى:

الذى جاهر برفض المذهب الشيعى ومحاولة تنقيته فتعرض لكثير من المضايقات والأذى لكنه كان حذراً جداً حتى إنه لم يكن ينام فى غرفة لها نافذة -أخذاً بأسباب التوقي من الاغتيال- كما كان لا يسير إلا مسلحاً، إلا أنه قتل أخيراً على أيدي بعض المتعصبين أثناء رجوعه من صلاة الفجر بسيارة صهره، إذ أطلق عليه النار ثلاثة أشخاص فمات رَحِمَهُ اللهُ مباشرة سنة ١٩٩٧م (٢).



(١) انظر: ترجمته فى الباب الثانى.

(٢) أعلام التصحيح والاعتدال مناهجهم وآراؤهم، خالد بن محمد البديوى ١٨٧.

تعقيب

بعد هذا العرض لموقف جمهور الشيعة من الاتجاه الإصلاحي يتضح الآتي:

أولاً:

أن الهجوم والمعارضة لأي فكرة إصلاحية أمر متوقع وذلك باستقراء التاريخ، وعادة ما ينصب الناس العداء لأي طارئ على أفكارهم ومعتقداتهم، وربما يكون ذلك دون دراسة وتمحيص لهذه الأفكار، ودون معرفة ما إذا كانت صواباً أم خطأ.

وقد توقع الإصلاحيون في مذهب الشيعة ذلك وعلموا أنهم يواجهون أفكاراً وموروثات تتسلح بقوة العقائد، يغذيها ويعمل على تقويتها القائمون على الأمر من المشايخ والمراجع الدينية، وإذا كان الأمر كذلك فإن تغيير هذه القنوات أمر عسير يجابه بالرفض والمواجهة.

ثانياً:

أن مؤيدي الاتجاه الإصلاحي رغم قوة حججهم ووضوح أدلتهم في مقابل ضعف حجج المخالفين ووهن أدلتهم فإنهم ما زالوا قلة غير ذات تأثير، وأثرها في المجتمع الشيعي لا يعدو طوائف بعينها من المثقفين وأصحاب العقول المتفتحة، ولم يستطع المؤيدون أن يصلوا إلى جمهور الشيعة، ولا أن يصبحوا عدداً ذا شأن وقوة يُعمل له حساب وتؤخذ أفكاره بجدية تامة، وما زال إنتاجهم الفكري وحركتهم العملية قليلة تحتاج إلى جهد وتركيز حتى تؤتي ثمارها.

ثالثاً:

معارضو الاتجاه الإصلاحي أكثر عدداً، وأقوى تأثيراً في الأتباع، وأشد ضراوة في الدفاع عن الآراء التي يؤمنون بها، ولهذا نجد أن معارضة الاتجاه الإصلاحي

كانت من القوة والشراسة الأمر الذي وصل بهم إلى مراحل بعيدة حتى الإيذاء والقتل والدفاع عن الآراء بشتى الوسائل والطرق، وهذا دليل على عمق تأثير هذه الآراء التقليدية في نفوس الشيعة ومدى قناعتهم بها، ومن ناحية أخرى فإنه يدل بما لا يدع مجالاً للشك على قوة تأثير مراجع الشيعة على أتباعهم وسيطرتهم على أفكارهم وآرائهم الأمر الذي يجعل جهد التيار الإصلاحية الحالي أشبه بمحاولة إسماع أصم.

رابعاً:

تبين مما سبق أن جهد مؤيدي الاتجاه الإصلاحية لا يزال جهداً فردياً لم يتبلور بعد في عمل جماعي مؤسسي يتبنى هذه الأفكار ويدافع عنها، وأن التنسيق بين أفراد هذا التيار ما زال ضعيفاً، والتعاون بينهم لم يصل إلى المرحلة المطلوبة بعد.

في حين أن تيار الشيعة التقليدي منظم وخصوصاً في مواجهة مخالفه، فإذا صدر رأي مخالف مثلاً تجد علماء الحوزة العلمية يجتمعون ويعلنون تضامنهم وبياناتهم في الرد على المخالف، مما يُشعر بقوة الآراء التقليدية وضعف الآراء المخالفة؛ لأن الرأي مهما كان صحيحاً وعليه أدلة مقنعة فإنه يحتاج إلى عرض قوي وقوة تدعمه وحجج تناضل عنه وأفراد يستعدون للحجاج والمنافحة عنه، فإذا عُد ذلك انزوى الرأي وخبا حتى مع صحته وقوته في نفسه.

لكن ظهرت في الفترة الأخيرة ظاهرة جيدة في صفوف التيار الإصلاحية ألا وهي إصدار بعض البيانات الجماعية التي تعلن رأياً في قضية ما من القضايا أو مسألة ما، أو تعلن تضامنهم مع رموز الإصلاحية، وهذه الخطوة بداية للعمل الجماعي وتنظيم الصفوف بين أفراد هذا التيار.

خامساً:

أن شدة مواجهة التيار التقليدي لأفكار الاتجاه الإصلاحية تجعل بعض أفراد

هذا التيار أكثر تحفظاً في عرض آرائهم وأشد احتياطاً في المجاهرة بها في الوسط الشيعي حذراً من المواجهة المتوقعة من ناحية، ومن ناحية أخرى حتى يجعل لقدمه مكاناً بين جمهور الشيعة، فيضطر إلى أن يرسل آراءه بصورة غير صادمة وبطريقة أكثر تلطفاً في العرض.

مع أن البعض يرى أنه كلما كانت المخالفات كبيرة واقتناع الناس بها عظيماً، والابتعاد عن النهج الصحيح شديداً ورغبة الناس عن الآراء القويمة عظيمة، كلما كان الرأي المخالف يحتاج إلى لغة صادمة وجرأة في العرض وإصراراً على الرأي يجتث جذور المخالفة ويقضي على توابعها، من قبيل أن التمسك الشديد بالرأي يحتاج في مقاومته إلى تمسك أشد وضراوة أكثر.

من هنا يقع أفراد التيار الإصلاحي في الحيرة بين التلطف ليقع القول موقعا حسنا عند جمهور الشيعة ويغري الأفراد بالتجاوب مع الآراء المطروحة، وبين استخدام الأسلوب الذي يفضح المخالفة ويقمع الباطل ويجتث جذور الانحراف. وقد اتبع كل طريقة منهما بعض أفراد التيار الإصلاحي.



الفصل الخامس

موقف أهل السنة من الاتجاه الإصلاحى

يختلف موقف أهل السنة من التيار الإصلاحى فى المذهب الشيعى ما بين الرفض المطلق أو التأييد المتحفظ أو القبول والمساندة والمعاونة، وذلك تبعاً لنظرة كل فريق من هؤلاء إلى التطورات التى تحدث عند الشيعة، فمنهم من ينظر إليها على أنها موقف شيعى تغلفه التقية التى يمارسها الشيعة، وهؤلاء يرون أنه لا فائدة من هذه المراجعات والنقد الذاتى، وقد يرى بعضهم أنه لا فائدة فيها لأنها لا تأثير لها فى الوسط الشيعى التقليدى وتقابل برفض ومعارضة من جمهور الشيعة.

وفى المقابل فإن البعض يرى أن هذا الموقف الإصلاحى يعزز من فرص الوحدة بين المذاهب الإسلامية وخصوصاً بين الشيعة والسنة، وأن هذا التيار يحتاج إلى دعم كبير من أهل السنة حتى يستطيع التأثير على قطاع كبير من جمهور الشيعة.

ولكل من الفريقين السابقين وجهات نظر فى المسألة وطرح شرعى يؤصل للموقف الذى ينبغى أن يتخذ، ويمكن تبعاً لذلك تقسيم موقف أهل السنة من التيار الإصلاحى الشيعى إلى موقفين رئيسيين: موقف رفض، وموقف تأييد، وفيما يلي بيان ذلك فى مبحثين:

المبحث الأول: تأييد الاتجاه الإصلاحى.

المبحث الثانى: رفض الاتجاه الإصلاحى.



المبحث الأول

تأييد الاتجاه الإصلاحية

يعتبر بعض أهل السنة أن المواقف التي يتخذها إصلاحيو الشيعة في نقد المذهب وإصلاح ما طرأ عليه من خلل وفساد إنما هي بذور إصلاح حقيقي داخل مذهب الشيعة، وأنها مقدمة لتقويم المذهب:

يقول البعض: «ظهرت مؤخراً مع نهاية القرن العشرين إرهاصات بذور تقويمية جنينية جديدة في المذهب تذكرنا بسابقة التقويمية الأصولية التي جاءت في القرن الرابع الهجري التي ستمكن لاحقاً لتيار الأصولية في المذهب بعد أن لم تكن، ويمثل هذه التقويمية في العصر الحاضر المجتهد الجعفري السيد أحمد الكاتب» (١).

ولذلك فإن أي بادرة للتقويم والإصلاح تستدعي التأييد التام الذي يحفز على استكمال المسيرة الإصلاحية، وهذا ما أعلنه مفتي مصر الدكتور علي جمعة حيث أكد على تأييده التام للتطورات التي حدثت لدى الشيعة في عام ٢٠٠٨م إشارة إلى الدراسات الشيعية التي دعت لمنع سب الصحابة على المنابر، وأكد أنه علينا الاعتراف بما تحزره هذه الطائفة من تقدم يمكننا من التعاون معها في الوقت الحالي» (٢).

ويقول آخر: «إن نقاط الالتقاء مع هذا التيار الشيعي المعتدل كثيرة حتى يصرح أفرادهم بأنهم يتبرءون من كل الروايات المكذوبة والعقائد الموجودة في الكتب الشيعية الحالية، بل يعلنون أنهم لا يؤمنون سوى بالقرآن وما صح من أحاديث النبي ﷺ وهم

(١) الأصولية الجعفرية الشيعية والاجتهاد المؤطر بالأسطورة، د/ محمد عمراني ٢٣٩، مكتبة النافذة - القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

(٢) تصريح منشور على موقع العربية نت:

كذلك يعتزون بالانتماء للأمة العربية فكيف لا يمكن الالتقاء معهم، إن من مصلحة السنة بل من واجب الأخوة الإسلامية والعربية مساعدة هذا التيار الشيعي المستنير بنور الفطرة العربية الأصيلة»^(١).

وهذا تأييد عام لمجمل التطورات التي حدثت في مواقف بعض علماء الشيعة في الفترة الأخيرة، وقد خص بعض أهل السنة هذا التأييد إما لأشخاص أو لمواقف معينة.

فقد أثنى الدكتور محمد عمارة على أبرز علماء الإصلاح الشيعي في الوقت الحاضر الأستاذ أحمد الكاتب في قوله:

«الأخ الكريم الدكتور أحمد الكاتب من أكثر علماء الشيعة غيرة على وحدة الأمة الإسلامية وموضوعية في نقد المواريث الفكرية، وفي مقدمة الذين حددوا نقاط الخلاف بين الفريقين وقدموا الحلول الموضوعية لتجاوز هذا الخلاف المزمّن وتأسيس التقريب على أسس موضوعية»^(٢).

وقد ظهرت آثار هذا الثناء في تقديم الدكتور محمد عمارة كتابين لرمز من رموز التيار الإصلاحية، وهو الأستاذ أحمد الكاتب هما: «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»، و«السنة والشيعة وحدة الدين خلاف السياسة والتاريخ» في طبعتهما المصرية.

وقام الدكتور محمد عمارة أيضا بتقديم كتاب «أكذوبة تحريف القرآن بين

(١) مقال «من وحي نقاشات المستقلة» حامد خلف العمري. موقع مجلة العصر.

(٢) مقدمة كتاب «السنة والشيعة وحدة الدين خلاف السياسة والتاريخ»، بقلم الدكتور / محمد عمارة

الشيعية والسنة» للشيخ رسول جعفریان في الطبعة العربية^(١).

أما بالنسبة لتأييد المواقف فقد ظهر في أكثر من مناسبة منها:

البيان الذي صدر عن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي جاء فيه:

«رحب الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بالفتوى الذي أصدرها السيد علي الخامنئي مرشد الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتحريم سب الصحابة والخلفاء الراشدين، واعتبرها خطوة مهمة ومقدرة في إطار السعي نحو التقريب بين أهل المذاهب الكبار السنة والشيعية وتعليقا على ذلك، اعتبر الدكتور محمد سليم العوا الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، في تصريحات خاصة لموقع الاتحاد الجمعة ٢٤-١١-٢٠٠٦، أن هذه الفتوى تعد خطوة مهمة طالما نادي بها اتحاد العلماء، لافتا إلى أنها ستساهم في إزالة المشاعر السلبية التي تظهر بين وقت وآخر بين السنة والشيعية»^(٢).

ولعل أبرز تأييد حصل للتيار الإصلاحي الشيعي من قبل أهل السنة هو ما قام به الشيخ عبد العزيز البدري^(٣) من تحالف مع الشيخ الخالصي قصد منه تنسيق الجهود من أجل تحقيق أهداف مشتركة وأبرزها مقاومة المد الشيوعي الملحد.

وقد تم هذا التنسيق بناء على رأي الشيخ البدري في الخالصي حيث يرى أنه:

(١) طبعة مكتبة النافذة، مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

(٢) موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

<http://www.iumsonline.net/articles/2006/11/12.shtml>

(٣) باحث اجتماعي عراقي، مولده في سامراء وإقامته في بغداد، توفي عام ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م، من مؤلفاته:

الإسلام حرب على الاشتراكية والرأسمالية، الإسلام ضامن للحاجات الأساسية. الأعلام ٤/ ١٥.

أولاً: أقرب الشيعة الإمامية إلى أهل السنة لأنه كان بعيداً عن الغلو وعن تكفير الصحابة وأمّهات المؤمنين.

ثانياً: المرجع الوحيد الذي قبل التعاون معه في عمل سياسي.

ثالثاً: وجد منه صراحة وقبولاً للحوار والأفكار^(١).

وهكذا فإن هناك تأييداً لمواقف التيار الإصلاحية من كثير من أهل السنة، ومحاولة لدعم هذا الاتجاه، وتشجيع أفرادهم على مواصلة جهودهم اصلاحية.



(١) انظر «أعلام التصحيح والاعتدال مناهجهم وآراؤهم» خالد بن محمد البديوي ٤٧٥. وقد نقل هذه الآراء بناء على حوار للمؤلف مع الشيخ محمد الأوسى، وهو من أخص أصحاب الشيخ عبد العزيز البدرى.

المبحث الثاني

رفض الاتجاه الإصلاحي

يتراوح موقف الفريق الرفض للتيار الإصلاحي بين الرفض المطلق أو التحفظ وصولاً إلى الاتهام بأن موقف أصحاب هذا التيار نفعي يتأثر بالمصلحة العامة للشيعية.

والحقيقة أن هذا الرفض غير مبرر، نعم قد تُفهم بعض جوانب الاعتراض الشيعي على التيار الإصلاحي ويُتوقع من جمهور الشيعة أن يقفوا في وجه من يخالف ما اعتادوه وألفوه وصار جزءاً من عقائدهم، إلا أن وقوف طوائف من السنة في وجه هذا التيار أمر يدعو للنظر.

ومن العجيب أن تتحد مواقف بعض طوائف السنة مع جمهور الشيعة التقليدي في رفض أفكار التيار الإصلاحي والتنديد برموزه، وهو ما توقعه موسى الموسوي في قوله:

«أعلم مسبقاً أن حلفاً غير مقدس سيجتمع بين كثير من مشايخنا ومشايخ السنة للتنديد بما يحتويه كتاب «المتأمرون»...»^(١).

بداية التردد في تأييد أصحاب هذا التيار تُفهم في ضوء ما أشار إليه الدكتور محمد عمارة في تقديم كتاب «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه» لأحمد الكاتب حيث قال:

«ذلك أني شديد الحرص على حسن العلاقة والمودة التي تربطني بالعديد من علماء الشيعة ومفكريها وعلى جمهور الشباب الشيعي المتفتح الذي يتابع كتاباتي،

(١) المتأمرون على المسلمين الشيعة من معاوية إلى ولاية الفقه، موسى الموسوي، المقدمة.

ولأن في هذا الكتاب الذي كتبه الأستاذ أحمد الكاتب نقدا لجوانب من التشيع كتبه شيعي فأنا أخشى أن يؤثر تقديمي لهذا الكتاب على المودة التي تربطني بعلماء الشيعة ومفكريها والتي أعتبرها ثابتا من ثوابت حياتي الفكرية وعلاقاتي العلمية»^(١).

ورغم أن الدكتور محمد عمارة قد قضى على هذا التردد وكتب أكثر من مقدمة لكتب تسير في خط الإصلاح - كما مر - إلا أن هذا الموقف يعطى تفسيراً لإحجام بعض علماء السنة عن تأييد هذا التيار، أو بالأحرى عن إعلان هذا التأييد، ويراعي في هذا الإحجام مراعاة جمهور الشيعة التقليدي أكثر من مراعاة آراء الإصلاحيين.

ويمتد هذا التحفظ والإحجام من الأفراد إلى الدول التي تتحفظ في عرض الأفكار الإصلاحية الشيعية وتحجم عن دعمها رغم أن هذا الدعم يصب في النهاية في مصلحتها، وهذا ما أثار الاستغراب عند موسى الموسوي في قوله:

«بعض دول المنطقة التي عانت كثيرا من النظام الشيعة المذهبي ولا زالت تعاني مع أنها في قرارة نفسها تود الوحدة وترأها ضرورية لحياة دول المنطقة والأمة الإسلامية فيها إلا أن هذه الدول مرغمة على ألا تفتح للتصحيح نافذة وتغلق أمامه كل الأبواب»^(٢).

وهذا الذي توقعه موسى الموسوي حدث من كثير من الدول العربية في تعاملها مع كتابه الشيعة والتصحيح حيث لم يلق الدعم الكافي ولا المساندة المطلوبة، بل على العكس من ذلك قوبل بصدود، وكثير من الشك في مؤلفه.

(١) مقدمة كتاب «تطور الفكر السياسي الشيعة من الشورى إلى ولاية الفقيه» الطبعة المصرية، مكتبة

النافذة، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

(٢) يا شيعة العالم استيقظوا ٣٢.

يقول البعض: «لم تجد تلك الأصوات والمراجعات والآراء حيزاً لدى الجانب العربي المسيطر على مؤسساته الثقافية من النظام الحاكم العربي الذي يهمله دائماً قضية تسعير أو تهدئة الخطاب الطائفي بالقدر الذي يثبت فيه حكمه ومصالحه مع الأجنبي، ولذا حين صدر كتاب الأستاذ موسى الموسوي رَحِمَهُ اللهُ «الشيعية والتصحيح» لم يقابل أبداً بأنه يحمل آراء معتدلة تنبذ الغلو والتشدد، وتبرأ من سب الصحابة، وغير ذلك من أباطيل ولكنه قابل بفتور وتشكيك»^(١).

هذا الفتور في التعامل مع أصحاب الفكر الإصلاحي من قِبَل أهل السنة يمتد ليشمل الموقف من الكتابات الإصلاحية، وكذلك منع أصحابها من عرض وجهة نظرهم في المحافل العلمية العامة تشكيكاً في مواقفهم.

ومن العجيب أن الشيعة يتهمون أصحاب الفكر الإصلاحي بأنهم وهابيون يسعون لهدم المذهب الشيعي وتقويض أركانه، وفي المقابل يُواجهون باتهام من قبل بعض أهل السنة بأنهم ما زالوا معتنقين للأفكار الشيعية.

يقول علي شريعتي: «حرمي علماء الوهابية عام ١٩٥٠ م من إيراد خطبتي في المؤتمر الإسلامي المنعقد بمكة بتهمة كوني شيعياً مغالياً مع ذلك كله إذا بي أواجه وحسينية الإرشاد حملة مسعورة منظمة تتعرض خلالها لاتهامات مدروسة في أكثر من محفل رسمي وعام في طهران وغيرها من المدن وذلك تحت شعار الولاية المقدسة ومناهضة خطر الوحدة بحيث اتهمت مؤسسة الإرشاد وأنا بالذات بأننا لا

(١) مقال «كيف يحتضن الوطن العربي التشيع العلوي» مهنا الجليل. موقع الإسلام اليوم بتاريخ ٢٢/٢/١٤٢٨هـ - ٣/١٢/٢٠٠٧م.

نؤمن بالولاية وننكر أهل بيت الرسالة بل إننا سنة ووهابيون»^(١).

ومما يلحق بالاتهامات الموجهة إلى رموز هذا التيار أن مواقفهم إنما هي نابعة من المصلحة الشيعية ولا يراد بها حقيقة الآراء الواردة، وإنما تهدف إلى حماية الشيعة من أي خطر قد يلحق بهم فيعلنون هذه الآراء ويجاهرون بها دفاعاً عن التشيع ودرءاً لخطر قد يلحق بهم.

يقول البعض معلقاً على كتاب «عمر والتشيع ثنائية القطيعة والمشاركة» للكاتب العراقي الشيعي حسن العلوي:

«لا يريد من كتابه سوى حماية الشيعة من الاجتثاث والخطر القادم إذا ما بقوا على أفكارهم القديمة من المقاطعة والعداء للمحيط السني الذي يكادون يغرقون فيه»^(٢).

ويقول آخر حول نفس الكتاب:

«من وجهات النظر حول الكتاب: لعل المؤلف اكتشف حقيقة التناقض بين التشيع والعروبة فحاول متكلفاً التفريق بين تشيعين «عربي» و«صفوي» لكي يلحق كل انحراف وخيانة بالتشيع الصفوي ويدافع عن التشيع العربي المنزه عن كل عيب، وهذا كله خيال في خيال لأن هذا التفريق لا واقع له فالتشيع الإمامي واحد من ركائزه الكبرى سب الصحابة بل تكفيرهم وعلى رأسهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما... فالكتاب يريد بتفرقة الخيالية أن يبرئ التشيع العربي الذي ينتمي إليه من الخرافة والخيانة والولاء للفرس ولأعداء الإسلام، فالكتاب في حقيقته ليس حبا في عمر ولكن دفاعاً عن

(١) التشيع العلوي والتشيع الصفوي ٨١-٨٢.

(٢) العلوي وكتابه عمر والتشيع وحدوية العلماني والديني عند الشيعي، طه حامد الدليمي ٨ عمان -

الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

التشيع، فلا فائدة منه لأهل السنة»^(١).

«ولعل أفسى اتهام وجه إلى أعمال بعض أفراد التيار الإصلاحي هو ما حدث عندما خالف الشيخ الخالصي جمهور الشيعة وأقام صلاة الجمعة خلافا للسائد عند الشيعة آنذاك، فاتهمه أحد أهل السنة -الأديب محمود الملاح^(٢)- بأن غرضه من إقامة الجمعة التفريق بين المسلمين»^(٣).

ويمكن في هذا المقام ملاحظة ما قاله الشيخ عبد العزيز البدري من مدح وثناء على الشيخ الخالصي -وقد سبق إيراده في موقف المؤيدين للتيار الإصلاحي- وبين هذا الموقف الذي حوّل جانبا مهما من جوانب الإصلاح الحقيقية عند الشيعة إلى اتهام في النوايا بالسعي لتفريق الأمة الإسلامية.

ونتيجة لهذه المواقف من التيار الإصلاحي يصل الأمر إلى عدم الثقة في رموزه والاعتقاد بأنها تعمل وفق مصلحة شيعية، وأن الحل الوحيد لقبول هذه الأفكار هو أن يترك أصحابها المذهب الشيعي مطلقا ويعلنون براءتهم منه براءة تامة.

ولهذا لما صدر كتاب موسى الموسوي «الشيعة والتصحيح» طالبه أحد وزراء الشؤون الدينية في إحدى الدول العربية بإعلانه التخلي عن التشيع جملة وتفصيلا وكانت بعض هذه الدوائر تطارده ثم ووجه بحملة تشكيك حتى مات ثابتا على مبادئه^(٤).

(١) مقال بعنوان «عمر والتشيع للسياسي العراقي العلوي ٤ وجهات نظر» سليمان بن صالح الخراشي.

<http://saaid.net/Warathah/Alkharashy/m/124.htm>

(٢) محمود بن عبد الله بن يونس الملاح، أديب من أهل الموصل، له مؤلفات منها: الآراء الصريحة لبناء قومية صحيحة، الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد. الأعلام ٧/ ١٧٧.

(٣) انظر: أعلام التصحيح والاعتدال، خالد بن محمد البديوي ٤٧٢.

(٤) مقال «كيف يحتضن الوطن العربي التشيع العلوي» مهنا الجبيل.

وكثير من الذين يعقبون على آراء التيار الإصلاحي يرى أنه لا يمكن قبول هذه الأفكار إلا إذا تركوا التشيع في الجملة، وأن بقاءه على المذهب الشيعي يؤثر في قناعاته لأنه لا بد أن يكون متأثرا بكثير مما في المذهب.

يقول البعض معلقا على كتاب «عمر والتشيع»:

«قد نجد أحدا في الشيعي توجهها جادا ورغبة جياشة في التعايش والمشاركة، لكنه - وإن كان أحيانا يعني ما يقول - لا يصلح شخصا لتنفيذ ما يتمنى ويدعي ولا يعول عليه كثيرا ولا قليلا في مشروع كهذا ما دام يحمل في فكره عقائد الشيعة وفي نفسه عقدهم وفي روحه الانتماء إليهم ولا تجد شيئا إلا كذلك حتى يثبت العكس بالأدلة اليقينية، وما مثل الشيعي في رغبته ودعوته للتقارب إلا كمثل طبيب يدعو جادا لمعالجة مرض معد خطير كالسل مثلا ووقاية المجتمع منه لكنه هو نفسه لا يصلح للمهمة لسبب بسيط هو أن الطبيب هذا مصاب بالداء نفسه ومثل هذا يحتاج للحجر والعزل لا أن نضع أيدينا بيده مهلين»^(١).



(١) العلوي وكتابه عمر والتشيع وحدوية العلماني والديني عند الشيعي، طه حامد الدليمي، ١١، ١٢.

تعقيب

بعد عرض هذه الآراء يمكن استخلاص ما يلي:

أولاً:

من الطبيعي والمسلم به أن تتفاوت أنظار أهل السنة تجاه موقف التيار الإصلاحية الشيعية ما بين مؤيد ومعارض وذلك تبعاً لاختلاف رؤية كل فريق لهذه التغييرات عند التيار الإصلاحية.

لكن غير الطبيعي أن يشتط كل فريق في رأيه إلى المدى الأقصى، فيعتبر المؤيدون أن هذا التيار قد هذب ونقى مذهب الشيعة تماماً من الخرافات البعيدة عن الدين، وأن هذه المراجعات تصل بمذهب الشيعة إلى أنه لا خلاف بينه وبين أهل السنة إلا في قشور لا قيمة لها، وأن هذه المحاولات أذابت الفوارق بين الطائفتين.

على حين يعتبر المعارضون أن هذه المراجعات لا قيمة لها عند التحقيق العلمي، وأن أصحابها ما هم إلا وجه آخر للتشيع بكل انحرافات، وأنهم لم يراوخوا مكانهم في النقد ولم يتحركوا خطوة بعيدة عن الشيعة وصولاً إلى اتهامهم في النوايا والمقاصد.

والحقيقة أن هذه الإصلاحات والمراجعات ينبغي أن تقدر بقدرها وتوزن بميزان صحيح بعيداً عن التهويل أو التهوين حتى يمكن الاستفادة منها.

ثانياً:

في كثير من الأحيان لا تأتي معارضة التيار الإصلاحية من جراء دراسة الأقوال والآراء ورؤية مدى صوابها أو خطئها ومقدار قربها أو بعدها عن الاعتدال، وإنما تأتي المعارضة من الرؤية الكلية للتشيع برمته، وبناء على أحكام مسبقة، فيعتقد البعض أنه

ما من خير وصواب يأتي ممن ينتمي إلى التشيع، وأن السبيل الوحيد لقبول هذه الأفكار والاعتراف بها هو التبرؤ من المذهب بكليته، فهو اتجاه رافض لأي آراء تأتي من جانب الشيعة.

في حين أن الإنصاف يحتم علينا دراسة هذه الأفكار بعيدا عن الخلفيات المسبقة والأحكام الجاهزة والنظر إليها بمعزل عن أي رؤيا سابقة وقبول ما بها من صواب ورد ما بها من خطأ.

ثالثا:

بإمعان النظر في موقف أهل السنة من التيار الإصلاحي يظهر بوضوح أن المؤيدين أقل عددا وأكثر تحفظا في التعبير عن آرائهم، وفي المقابل فإن المعارضين أكثر عددا وأشد جراءة في طرح أفكارهم، وأكثر حركة في الترويج لها بين أوساط السنة.

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن كثيرا من المؤيدين يخشون إعلان آرائهم بصورة علنية حتى لا يصنف عند كثير من الجمهور بأنه ممالئ للفكر الشيعة أو غير ذلك من الاتهامات فيخفت صوت التأييد ويخبو ويعلو صوت المعارضة وينتشر حتى يطغى على ما عداه من الآراء.



الفصل السادس

عوامل نجاح الاتجاه الإصلاحى

من المعلوم - كما ذكرت سابقا - أن آراء هذا التيار وأفكاره ما تزال حبيسة طائفة معينة لا تتعداها، فلم تنتقل بعد إلى عموم جمهور الشيعة، ولم يتفاعل معها أكثر أهل السنة بالقدر الواجب، وهذا مما يجعل تأثير هذا التيار ضعيفا لعدم وجود المناصرين له والمعاضدين.

والحقيقة أن مسئولية انتشار هذا الاتجاه لا تقع على عاتق أفراده فقط وإنما تمتد لتشمل معها أيضا علماء أهل السنة ومفكريهم الذين يمكن لهم أن يعطوا هذه الآراء رصيذا من القبول بين الناس، ولهذا فإن هذه المسئولية تتوزع على الفريقين كل بحسب المطلوب منه.

وسوف أعرض هذا الفصل فى مبحثين:

المبحث الأول: واجب أهل السنة.

المبحث الثانى: واجب التيار الإصلاحى.



المبحث الأول

واجب أهل السنة

ذكرت في الفصل السابق موقف أهل السنة من التيار الإصلاحية الشيعي، وبينت أن كثيرا من أهل السنة لم يؤيدوا هذا التيار وتحفظوا في قبول آرائه، وقبل الحديث عن مسئولية أهل السنة لا بد من ذكر مقدمة حول منهج التعامل الأمثل مع المخالفين.

الأصل: التفرقة بين من طلب الحق وسعى إليه واجتهد في سبيل بيانه، وبين من ترك ذلك واستقر على باطله ولم يجتهد في البحث عن الصواب، فطالب الحق مجتهد معذور وإن أخطأ، والمقيم على باطله يائمه.

يقول ابن تيمية: «وأهل السنة والعلم والإيمان يعرفون الحق ويتبعون سنة الرسول ويرحمون الخلق ويعدلون فيه ويعذرون من اجتهد في معرفة الحق فعجز عن معرفته، وإنما يذمون من ذمه الله ورسوله وهو المفرط في طلب الحق لتركه الواجب والمتعدي المتبع لهواه بلا علم لفعله، فيذمون من ترك الواجب أو فعل المحرم»^(١).

ولذلك فإن معاملة أهل السنة للمخالفين للمذهب ليست سواء مع الجميع وإنما تختلف باختلاف حال الشخص من ناحية بحثه عن الحق أو عدمه، فكلما كان جادا في بحثه عن الحق عزوفا عن الباطل يتمنى الوصول إلى الصواب كان أقرب إلينا من غيره بقدر ما عنده من صواب وخير وسعي للحق، وكلما كان مقيما على باطله يرفض مراجعته أو نقده متمسك بآراء الأولين دون نظر كان أبعد عن الحق.

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٢٨/٢٠٩، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي،

يقول ابن تيمية: «وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة فيجتمع له من هذا وهذا؛ كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة»^(١).

ومعاملتنا للمنصف الجاد الذي يبغي الصواب أنفع له من معاملة إخوانه في المذهب، لأن الأصل أننا نتعامل معه بمقياس الإنصاف والعدل الذي يعرف لذوي الحقوق حقوقهم وللمجتهدين اجتهادهم، وهو ما لا يطبقه جمهور الشيعة مع الإصلاحيين منهم.

يقول أيضا: «فأهل السنة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم فإن الظلم حرام مطلقا، بل إن أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا مما يعترفون هم به ويقولون: أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضا»^(٢).

وقد طبق أهل السنة هذا المنهج تطبيقا عمليا في مسألة قبول رواية المبتدع وعدم قبولها.

يقول الذهبي في ترجمة أبان بن تغلب الكوفي الشيعي:

«شيعي جلد لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته. وقد وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم، وأورده ابن عدي وقال: كان غالبا في التشيع. وقال السعدي:

(١) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٠٩.

(٢) منهاج السنة ٥/١٥٧ تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦، الطبعة الأولى.

زائغ مجاهر. فلقاتل أن يقول كيف ساغ توثيق مبتدع وحَدُّ الثقة العدالة والإتقان؟ فكيف يكون عدلا من هو صاحب بدعة؟

وجوابه: أن البدعة على ضريرين: فبدعة صغرى كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة. ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة»^(١).

ولذلك فإن كل من عمل على تصحيح أخطاء عقديّة عند البعض فإن عمله يحمّد ويمدح حتّى ولو كان متلبسا ببدعة من البدع، وهو ما أشار إليه الذهبي في ترجمة ثابت بن أسلم، قال:

«ثابت بن أسلم العلامة أبو الحسن الحلبي، فقيه الشيعة، تصدر للإفادة، وله مصنف في كشف عوار الإسماعيلية وبدء دعوتهم، وأنها على المخاريق، فأخذ داعي القوم، وحمل إلى مصر، فصلبه المستنصر، فلا رضي الله عن قتله، وأحرقت لذلك خزانة الكتب بحلب، وكان فيها عشرة آلاف مجلدة، فرحم الله هذا المبتدع الذي ذب عن الملة، والأمر لله»^(٢).

فكل من ذب عن الدين، وبين فساد رأي من الآراء واجتهد في تبين الصواب

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ١/١١٨، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥، الطبعة الأولى.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨/١٧٦، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣، الطبعة التاسعة.

-رغم بدعته- فهو مقبول في الجملة.

ومن الأصول التي استقر عليها أهل السنة في التعامل مع المخالفين:

* قبول الحق ممن أتى به حتى وإن كان مخالفاً، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله»^(١)، فالقاعدة عند أهل السنة أن العبرة بالقول لا بالقائل.

* ليس من شرط الكمال أن يكون الإنسان سليماً من الخطأ، فالخطأ وارد على كل إنسان عدا المعصوم صلى الله عليه وآله، فالتعلل بأن هؤلاء القوم -التيار الإصلاحي- عندهم أخطاء لا يعني ترك قولهم بالكلية وإنما متابعتهم ومناصرتهم في ما عندهم من صواب مع توجيههم إلى معالجة الأخطاء واستدراك الهفوات.

ويبقى بعد ذلك الرد على من يقول إن مواقف هذا التيار إنما هي تقية لا يمكن أن تكون مواقف حقيقية، فإن ذلك مخالف لمنهج النبي صلى الله عليه وآله الذي بين أننا نتعامل مع الظاهر ونكل السرائر إلى الله تعالى في قوله: «إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم»^(٢).

خاصة إذا كان هناك قرائن تدل على الصدق، منها: وضوح الموقف، والجهربه، ومعاداة جمهور الشيعة له، كل ذلك يدل على اعتبار الأصل الظاهر دون بحث وتنقيب عن الباطن وما تخفي الصدور.

(١) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، ١/٥٣، دار المعرفة - بيروت.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب «المغازي»، باب «بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد رضي الله عنه»

إلى اليمن قبل حجة الوداع» رقم ٤٠٩٤

واجب أهل السنة

من خلال المنطلقات السابقة يمكن بيان ما يجب على أهل السنة لمناصرة هذا التيار في الأمور التالية:

أولاً:

توضيح المنهج السابق في بيان التعامل مع المخالف ونشره بين عموم أهل السنة، ونشر ثقافة الحوار وتقبل الاختلاف في الرأي، ومعرفة أهمية التعامل بالعدل والإنصاف، وهذا الأمر لا يعد من واجبات أهل السنة تجاه هذا التيار، وإنما هو تمهيد وإعداد وتهيئة للجمهور للأخذ بأسباب نصرته هذا التيار.

ثانياً:

من المشاهد المعلوم عدم انتشار هذه الآراء بين جمهور أهل السنة، والظاهر أن عموم الأفراد يعاملون كل من انتمى إلى مذهب الشيعة معاملة واحدة لعدم المعرفة بهذه التطورات والإصلاحات التي تحدث داخل المذهب، والواجب إزاء ذلك نشر هذه الآراء وإبرازها بصورة كبيرة والتركيز عليها عند الحديث عن الفرق الإسلامية، ويكون ذلك من خلال عدة وسائل، من بينها:

* نشر الكتب التي صنفها رموز هذا التيار مع التعليق عليها من كبار علماء أهل السنة.

* إقامة الندوات والمحاضرات التي يُستدعى لها الإصلاحيون لعرض آرائهم وأفكارهم ومناقشتهم فيها.

* دراسة هذه الأفكار دراسة عميقة مع بيان أبرز الإيجابيات التي تضمنتها والتركيز عليها.

* وجود منبر إعلامي - صحيفة أو مجلة - تُعنى بنشر هذه الأفكار من وجهة نظر أهل السنة وبيان الموقف الشرعي الصحيح الذي ينبغي أن يُتخذ من هذه الآراء.

ثالثاً:

ينبغي التنبيه على أمر بالغ الأهمية في التعامل مع هذا التيار ألا وهو ألا يكون غاية مطلب أهل السنة من رموزه أن يتركوا مذهب الشيعة ويتحولوا إلى مذهب السنة، لأن وجود هذا المطلب يظل عائقاً عن الإفادة من هذا التيار، وعن تحقيق المعاونة المأمولة والمشودة منه، لكن ينبغي معاملة هؤلاء الإصلاحيين داخل مذهب الشيعة على أنهم يحاولون التصحيح من داخل المذهب وممارسة النقد الذاتي للأفكار والآراء التي يعتنقونها، والقبول بهم على هذه الخلفية، ولعل ذلك يكون أدعى لأن يُقبل جمهور الشيعة التقليدي على هذه الآراء ويتقبلها دون تحفظ أو حساسية أنها صادرة من الطرف الآخر.

رابعاً:

القبول بهذا التيار وآراء أفكاره ورموزه ومحاولة نشرها، ومشروعية التعامل مع أفرادها لا يعني التسليم بصحة كل ما يطرحون من أفكار وآراء، بل ينبغي معرفة أن النقد الذاتي للمذهب يصاحبه غالباً أحد أمرين:

الأول: الغلو والشطط في المحاوراة والمناقشة مع الآراء الواردة في المذهب حتى يخرج صاحبها عن حد الاعتدال، كما حدث مع أحمد الكسروي لما اشتط في هجومه على الآراء الشيعية الغالية إلى أن تجاوز حد الاعتدال فتبنى آراء وتصورات عن أئمة أهل البيت غير مقبولة، منها قوله عن الإمام جعفر الصادق أنه المؤسس لفكرة النص على الإمامة، وأنه مخترع القول بالولاية التكوينية، وأنه أحدث أقوالاً في

المذهب ومبتدعات عديدة^(١).

الثاني: التأثير ببعض الأفكار والآراء الواردة في المذهب التي ترد في ثنايا الحديث، كما حدث مع موسى الموسوي في تصوره عن سيدنا معاوية رضي الله عنه، فقد وصفه بأوصاف غير مقبولة^(٢).

وكذلك أحمد الكسروي حيث اتهم معاوية رضي الله عنه بأنه أسلم كرها^(٣).

وواجب أهل السنة في هذه الإشكالية تقييم الأمور ووزنها بميزان صحيح، فلا تُقبل جميع آراء الإصلاحيين رغبة في إظهار النقد الداخلي للمذهب الشيعي كاملاً، ولا تُرفض كل أقوالهم لاشتمالها على بعض الآراء الفاسدة، فيقبل ما عندهم من صواب ويرد ما عندهم من خطأ، ويصحح لهم، ويتم توجيه الأنظار إلى هذه الأخطاء وبيان الموقف الشرعي منها.

بعد أن كتبت هذا الفصل وصلني على البريد الإلكتروني رسالة من الأستاذ أحمد الكاتب تتضمن بياناً أصدره بعنوان: «البيان الشيعي الجديد»، يعرض فيها آراءه في التغيير ومناهجته، ويبين فيها أنه مسبوق في هذه الآراء بأقوال فقهاء الشيعة القدامى، ويدعو فيها إلى الوحدة بين الفرق الإسلامية على أساس من الحق والصواب، وختم هذه البيان بنداء وجهه إلى أهل السنة في وجوب مناصرة أفراد هذا التيار والتمييز بينهم وبين الشيعة التقليديين، جاء فيه:

«ندعو إخواننا من أهل السنة وسائر الطوائف الإسلامية إلى الانفتاح على إخوانهم الشيعة، والتعرف عليهم أكثر، والتمييز بين المعتدلين منهم (وهم عامة

(١) انظر: التشيع والشيعة ٤٦، ٥١.

(٢) انظر «المتأمرون على المسلمين الشيعة من معاوية إلى ولاية الفقه». في مواضع عديدة.

(٣) التشيع والشيعة ٤١.

الشيعية) والغلاة والمتطرفين، وعدم الحكم عليهم بناء على أقوال الشواذ والسابقين، والنظر إلى واقعهم الجديد، وملاحظة التطورات الجذرية الفكرية والسياسية التي حصلت وتحصل في صفوفهم، وتأييد النشاطات الإيجابية والتضحيات الجسيمة التي قدموها ويقدمونها في سبيل تحرير بلدانهم من نير المستعمرين والمحتلين». والبيان منشور بأكمله على موقع الأستاذ أحمد الكاتب على شبكة المعلومات الدولية.

والحقيقة أن الأستاذ أحمد الكاتب لخص المطلوب من أهل السنة تجاه أفراد هذا التيار في أكثر من جزئية:

- * الانفتاح على الشيعة أكثر والتعرف على آرائهم.
 - * التمييز بين المعتدلين منهم والمغالين.
 - * تحري الأقوال الصحيحة في المذهب، وعدم الحكم بناء على الأقوال الشاذة.
 - * ملاحظة التغييرات الإيجابية التي تحدث في صفوف الشيعة دائما وتأييدها.
- وهذا ما أشرت إليه سابقا في واجبات أهل السنة.



المبحث الثاني

واجب الاتجاه الإصلاحى

يحتاج التيار الإصلاحى إلى جهود متواصلة من أجل أن تنجح المسيرة الإصلاحية، ويمكن إجمال بعض هذه الجهود في الأمور التالية:

أولاً:

أول خطوة في سبيل إقناع الآخرين بتغيير أفكارهم هو الاقتناع التام بهذا التغيير والاستدلال عليه بصورة سليمة، وهذه أول خطوة ينبغي على التيار الإصلاحى القيام بها، وهي مرحلة التنظير التام للمسائل التي تحتاج للإصلاح ودراستها دراسة جيدة من كافة الجوانب، وبيان ما يمكن أن يثار عليها من شبهات وكيفية الرد عليها، بمعنى أن يقوم التيار الإصلاحى بدراسة وافية للآراء التي يدور في فلكها الإصلاح في صورة أبحاث ودراسات علمية جادة تعرض الأفكار والرؤى مع الأدلة العلمية والردود القوية.

ثانياً:

على التيار الإصلاحى ألا يكتفي في نقده للآراء الشيعية ببعضها دون البعض، أو يقتصر على بعض ما يمارسه عوام الشيعة دون النظر إلى أصول وأركان المذهب الشيعى التي دخلها من الانحراف والتحريف ما أخرجها عن صورتها التي كانت عليها.

على التيار الإصلاحى أن يُخضع كل الآراء والمعتقدات للبحث والدراسة، وأن يهتم بأصول وأركان المذهب من القول بالإمامة والنص عليها، والعصمة، والاعتقاد بالمهدي، والرجعة. هذه الأمور التي يتوقف عليها فهم حقيقة المذهب، فإذا تعرضت للإبطال وظهرت أوجه الخلل المشتملة عليها ساهم ذلك كثيراً في سرعة انتشار أفكار التيار الإصلاحى.

ثالثاً:

على رموز التيار الإصلاحي النزول للواقع الشيعي، ومخاطبة عوام جمهور الشيعة بالفكر الإصلاحي، وليس معنى أن المطلب الأول من التيار كان التنظير الجيد والدراسة المتأنية وإخراج ذلك في أبحاث ودراسات علمية، أن ذلك معناه الانفصال عن الواقع الذي يحياه الفرد الشيعي في محيطه والانعزال في ناحية فكرية بعيدة عن الواقع.

وإنما المطلوب هو الدراسة النظرية الجيدة مع الاهتمام بالتطبيق العملي والنشر الواعي لهذه الأفكار، وحسن مخاطبة الجمهور، والتفنن في اتخاذ الأساليب والوسائل التي تضمن لهذه الإصلاحات أن تجد طريقاً وصدئاً عند الجمهور، وعدم الاكتفاء بمخاطبة شريحة معينة تتقبل هذه الأفكار، مما يعني توسيع دائرة الخطاب عند التيار الإصلاحي.

رابعاً:

من الملاحظ ازدياد عدد الأفراد الذين يتبنون الفكر الإصلاحي باطراد، وانضمام أفراد جدد كل فترة واقتناعهم بهذا الفكر، ويسعى الكل لتأصيل هذه الآراء ونشرها في المحيط الشيعي العام، لكن تبقى هذه الجهود فردية، بمعنى أنه لا تنسيق بين هؤلاء الأفراد في العمل الإصلاحي مما يجعل هذه الجهود قاصرة غير منتجة، لا تعطي الأثر المطلوب منها رغم الجهد المبذول.

وحتى تنجح هذه الإصلاحات وتؤدي ثمارها لا بد أن تتم في إطار عمل جماعي مؤسسي يتم فيه التنسيق بين الأفراد، وتوزع فيه الأدوار، رغم الاعتراف بأن هناك فروقا واختلافات بين أفراد هذا التيار.

خامسا:

ضرورة البحث عن وسائل إعلامية تصل بها الرسالة الإصلاحية إلى أكبر عدد ممكن من جمهور الشيعة، ويمكن بها مخاطبة من يحتاج إلى هذا الخطاب، ويكون ذلك عن طريق الكتب والرسائل العلمية، والندوات والمحاضرات، ومن المهم فى هذا الشأن وجود منبر إعلامى مستمر لعرض الآراء الإصلاحية عن طريق صحيفة أو مجلة، مع الاهتمام بنشر هذه الآراء عن طريق شبكة المعلومات الدولية، ويمكن فى مرحلة لاحقة أن تكون هناك قناة فضائية تعرض صوت الاعتدال الشيعى لتوسيع قاعدة المهتمين بهذه الآراء.

سادسا:

ذكرت فى واجبات أهل السنة أهمية تنبيه رموز التيار الإصلاحى على الأخطاء التى تقع فى مناهجهم، والآراء التى تحتاج إلى تصويب، وفى المقابل فإن واجب هؤلاء الأفراد أن يحتهدوا فى تصويب مسارهم، ويتقبلوا ما يمكن أن يصدر من نقد أو تصحيح لبعض الآراء التى تحتاج إلى تعديل، وهو ما نأمل فى أفراد هذا التيار بعون الله تعالى.



الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن أتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،،،

أحمد الله تعالى على نعمته السابغة فى إتمام هذه البحث، وفى الختام أحب أن أسجل أهم ما توصلت إليه من نتائج فى هذه الرسالة:

أولاً:

رغم اختلاف المؤرخين وكتاب الفرق والمقالات فى تحديد بداية نشأة التشيع، إلا أنه يمكن القول بأن بداية التشيع كانت لا تعنى سوى مناصرة علي عليه السلام فى الفتنة، وهو رأى أغلب الجماعة المسلمة فى ذلك الوقت، مما يعنى أنه تشيع مقبول فى الجملة، ثم حدثت التطورات فى المذهب الشيعى بدخول الفرس فى الإسلام والمؤثرات الأجنبية، مما أدى إلى انحراف التشيع، ونشوء عقائد لا صلة لها ببداية المذهب، مثل القول بالنص على الأئمة، والتحديد باثني عشر إماماً، والقول بالمهدي وغيبته ورجعته فى آخر الزمان، وما صاحب ذلك من القول بتحريف القرآن، وسب الصحابة رضوان الله عليهم واتهامهم، إضافة إلى بعض الفروع الأخرى كالقول بالخمس، والمتعة، وولاية الفقيه.

ثانياً:

تناول الاتجاه الإصلاحى العقائد الشيعية بالبحث والدراسة، والنقد والتمحيص، حتى وصل إلى نتائج مفادها أن هذه الآراء ليست من التشيع فى شيء، وأنها دخيلة على الإسلام، والأدلة على إبطالها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام، ثم من أقوال أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم، ووقائع تاريخهم تنفي هذه الأقوال.

ثالثا:

أهم قضية تصدى لها التيار الإصلاحي كانت عقيدة الإمامة والنص على الأئمة، لأنها تتعلق بالأساس الذي قام عليه مذهب الشيعة، فلو ثبت بطلانها لأدى ذلك إلى سقوط مذهب الشيعة برمته، وقد بين رموز التيار الإصلاحي أن هذه العقيدة لم تُعرف عند أهل البيت مطلقا، ولم يقل أحد منهم بها، وأنها طارئة في الفكر الشيعي، ولا دليل عليها من كتاب أو سنة أو أقوال لأهل البيت.

رابعا:

أكثر قول تعرض للتصحيح والنقد داخل المذهب الشيعي كان القول بتحريف القرآن، لأنه يتعرض لأصل عقيدة المسلم، ولم يقتصر هذا القول على رموز التيار الإصلاحي، وإنما قال به كذلك علماء ومراجع الشيعة التقليديون، حتى يمكن القول بأن الظاهر من أقوالهم أن القول بعدم تحريف القرآن يكاد يكون قولا عاما بين علماء الشيعة ومراجعهم في العصر الحديث.

خامسا:

أن كثيرا من رموز الإصلاح الشيعي نقدوا أكثر مفردات مذهب الشيعة، أصولا وفروعا، بداية من أصل المذهب وهو النص على الأئمة، إلى الفروع الفقهية التي يختلف فيها الشيعة عن أهل السنة، ويمكن أن يُعد هذا خروجا عن التشيع حتى مع تصريح بعضهم بعدم تحوله عن مذهب الشيعة، وأبرز من يمثل هذا الفريق:

- شريعت سنكلجي.
- أحمد الكسروي.
- حيدر قلمداران القمي.
- أبو الفضل البرقي.

- موسى الموسوي.

- أحمد الكاتب.

سادسا:

بعض الإصلاحيين الشيعة انتقدوا بعض مفردات المذهب مع احتفاظهم بالقول بالأصول العامة للمذهب التي يعد القول بها علامة على التشيع، فمع قولهم بالإمامة، والنص، والمهدي، والغيبة، والرجعة، إلا أنهم انتقدوا بعض المسائل الأخرى كالقول بتحريف القرآن، وسب الصحابة، والشعائر الحسينية، والمتعة، وأبرز من يمثل هذا الفريق:

- محسن الأمين.

- محمد بن محمد مهدي الخالصي.

- علي شريعتي.

- محمد حسين فضل الله.

سابعا:

أن بعض علماء الشيعة ومراجعهم التقليديين يشترك مع الإصلاحيين في القول ببعض الآراء الإصلاحية داخل المذهب، كالقول بعدم تحريف القرآن، ووجوب احترام الصحابة وتقديرهم، مع كونهم ممن يعارض رموز التيار الإصلاحي ويشنع عليهم.

ثامنا:

أن الإصلاح ليس وليد اللحظة في مذهب الشيعة، وليس أمرا طارئا على المذهب، وإنما هو ممتد الجذور عبر التاريخ منذ بداية الانحراف الشيعي، وبالتحديد بداية من الإمام علي عليه السلام الذي عانى من غلاة المناصرين له، وصحح لهم كثيرا من المفاهيم، بل وصل الأمر إلى حد إحراق بعض من قال بألوهيته عليه السلام، وامتد هذا الإصلاح مع أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم، وعلماء الشيعة عبر العصور.

تاسعا:

هناك عوامل دفعت رموز التيار الإصلاحى إلى نقد المذهب الشيعى، وأسهمت فى تغيير القنوات عند كثير من الأفراد، وأبرز هذه العوامل:

- القرآن الكريم.
- مطالعة كتب المذهب.
- التطلع إلى وحدة المسلمين.
- الانحرافات فى مذهب الشيعة.
- إعمال العقل.
- الحوار مع علماء السنة.
- مطالعة كتب أهل السنة.

عاشرا:

هناك اختلاف جوهري بين التقريب والإصلاح، فعلى حين يهدف التقريب إلى تعريف المذاهب بعضها ببعض، دون نظر إلى المخالفات أو محاولة إصلاحها، فإن هدف الإصلاح النظر فى عقائد المذهب ومحاولة تنقيتها وتهذيبها، رغم إيمان كثير من رموز التقريب بضرورة الإصلاح الفعلى، ويبقى أن التقريب الحقيقى الذى ينبغى أن تُصرف إليه الجهود هو إصلاح المذهب من الداخل.

حادى عشر:

تباينت مواقف جمهور الشيعة من رموز الإصلاح، فكثير منهم لا يثق فى الإصلاحيين، ويرى أنهم خارجون عن المذهب، ويسعون لتقويضه وهدمه، ويهاجمون التيار الإصلاحى، ويتهمون أفراده بكثير من الاتهامات إلى ربما تصل إلى الاعتداء البدنى أو القتل، فى حين أن بعض الشيعة يؤيد التيار الإصلاحى ويدعمه،

ويصدر البيانات التي تدعم المواقف الإصلاحية، لكن مواقف الدعم مواقف فردية غير منتظمة، بينما مواقف المناهضة قوية جماعية تستند إلى آراء المرجعية الشيعية.

ثاني عشر:

وكذلك تباينت نظرة أهل السنة إلى التيار الإصلاحي، حيث يرفض البعض هذا التيار، ويتهم أفراده بممارسة التقية، والسعي من أجل حماية المذهب تحت مظلة الإصلاح، ويرى البعض أن مواقف هذا التيار مواقف حقيقية، تؤيدها أقوال ووقائع، ويعضدها كذلك مناهضة جمهور الشيعة التقليدي لأفراد هذا التيار، وهؤلاء يرون أن هذا الاتجاه يحتاج إلى دعم ومناصرة.

ثالث عشر:

على أهل السنة التمييز بين المخالفين، ومعرفة أن هناك تطورات تحدث داخل مذهب الشيعة تستدعي الدراسة، ومراعاة الإنصاف في التعامل مع المخالفين، وإعطاء كل ذي حق حقه دون إفراط أو تفريط.

رابع عشر:

على أهل السنة الاهتمام بهذا الاتجاه، ومحاولة دعمه بشتى الطرق، والعمل على نشر آرائه وأفكاره على نطاق واسع بين جمهور أهل السنة، مع النظر بعين الاعتبار إلى الأخطاء التي يقع فيها رموزه ومحاولة معالجتها.

خامس عشر:

يبقى العبء الأكبر في انتشار هذا الاتجاه على عاتق رموزه، ويتطلب ذلك جهداً في محاولة تعميم هذه الآراء في أوساط الشيعة بعد التنظير الجيد لها والاستدلال عليها، ومخاطبة جمهور الشيعة العادي، ومحاولة إيجاد وسائل للتنسيق بين أفراد هذا التيار.

توصية

بعد هذه الدراسة للاتجاه الإصلاحي في الفكر الشيعي في العصر الحديث أتوجه بمناقشة إلى علماء أهل السنة، وأخص بالذكر منهم جامعة الأزهر التي تتبنى فكر الوسطية في العالم الإسلامي، لتبني هذا الاتجاه، والتنسيق الجاد في العمل على انتشار آرائه، وإيجاد رأي عام يقبل هذه الأفكار دون حساسية.

ومما يشجع على ذلك أن جهودا كثيرة قد بذلت في فترة من الفترات تحت اسم التقريب بين المذاهب الإسلامية، وتحمس لها العلماء والدعاة، حتى شعروا بعدم جدواها، وعديم فائدتها، فانفضوا عنها، وأعلنوا أسفهم عليها، وقرروا أنه لا فائدة من ورائها.

وبهذا الاتجاه انفتح باب آخر للتقريب، يقوم على الإصلاح المذهبي، ومحاولة معالجة المسائل التي تثير الاختلاف بين السنة والشيعية، مما يسهم حقيقة في التقريب بين الطائفتين إسهاما عمليا.

وأولى بعلمائنا وأولي الأمر فينا أن يبذلوا جهودهم في دعم هذا الاتجاه، وتمكين أهله من عرض آرائهم بحرية ووضوح، دون تحفظ أو وصاية، وهذا هو سبيل التقريب الحقيقي.

وأقترح في هذا الصدد على جامعة الأزهر إنشاء مركز للتقريب يعتني بمحاولة مد الجسور مع رموز التيار الإصلاحي، وتبادل الأبحاث والخبرات، ومحاولة تقديم الدعم لهذا الاتجاه، والاعتناء بنشر أفكاره وإذاعتها بين جمهور أهل السنة.

وفي ختام عملي هذا، أسأل الله تعالى أن يكون قد وفقني لسداد القول وكريم الحجة، وأن يرزقني أن أشكر نعمته التي أنعم علي بإتمام هذا البحث، وأستغفر الله

تعالى من كل سهو أو خطأ أو تقصير، اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك
الكريم، غير منقوص ولا مدخول، واغفر اللهم به لمشايخي ووالدي، وصلي اللهم
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة
أسباب اختياره الموضوع وأهميته
صعوبات الدراسة
منهج البحث
التمهيد
أولاً: بيان معنى الشيعة
ثانياً: نشأة التشيع
ثالثاً: أصول وعقائد الشيعة
رابعاً: طوائف الشيعة
خامساً: أسماء أطلقت على الشيعة
سادساً: المؤثرات الخارجية فى التشيع
الباب الأول: عقائد الشيعة التى تناولها التيار بالإصلاح
الفصل الأول: الإمامة والنص على الأئمة
الفصل الثانى: عصمة الأئمة وولايتهم التكوينية
الفصل الثالث: المهدي والغيبة والرجعة
الفصل الرابع: ولاية الفقيه

.....	الفصل الخامس: التقية
.....	الفصل السادس: دعوى تحريف القرآن
.....	الفصل السابع: الموقف من الصحابة
.....	الفصل الثامن: الخمس
.....	الفصل التاسع: إباحة نكاح المتعة
.....	الفصل العاشر: الشعائر الحسينية
.....	الفصل الحادي عشر: الفروع الفقهية
.....	الباب الثاني: أبرز رموز الإصلاح،
.....	الفصل الأول: إصلاحيون نقدوا أكثر مفردات المذهب
.....	المبحث الأول: شريعت سنكلجي
.....	المبحث الثاني: أحمد الكسروي
.....	المبحث الثالث: حيدر قلمداران
.....	المبحث الرابع: أبو الفضل البرقي
.....	المبحث الخامس: موسى الموسوي
.....	المبحث السادس: أحمد الكاتب
.....	الفصل الثاني: إصلاحيون نقدوا بعض مفردات المذهب
.....	المبحث الأول: محسن الأمين
.....	المبحث الثاني: محمد بن محمد مهدي الخالصي

..... المبحث الثالث: علي شريعتي

..... المبحث الرابع: محمد حسين فضل الله

..... الباب الثالث: دراسة عن الاتجاه الإصلاحية

..... الفصل الأول: جذور الإصلاح في صفوف الشيعة

..... الفصل الثاني: عوامل الإصلاح

..... الفصل الثالث: بين الإصلاح والتقريب

..... الفصل الرابع: موقف الشيعة من الاتجاه الإصلاحية

..... المبحث الأول: مؤيدو الاتجاه الإصلاحية

..... المبحث الثاني: معارضة الاتجاه الإصلاحية

..... الفصل الخامس: موقف أهل السنة من الاتجاه الإصلاحية

..... المبحث الأول: تأييد الاتجاه الإصلاحية

..... المبحث الثاني: رفض الاتجاه الإصلاحية

..... الفصل السادس: عوامل نجاح الاتجاه الإصلاحية

..... المبحث الأول: واجب أهل السنة

..... المبحث الثاني: واجب الاتجاه الإصلاحية

..... الخاتمة

..... التوصيات

..... فهرس الموضوعات